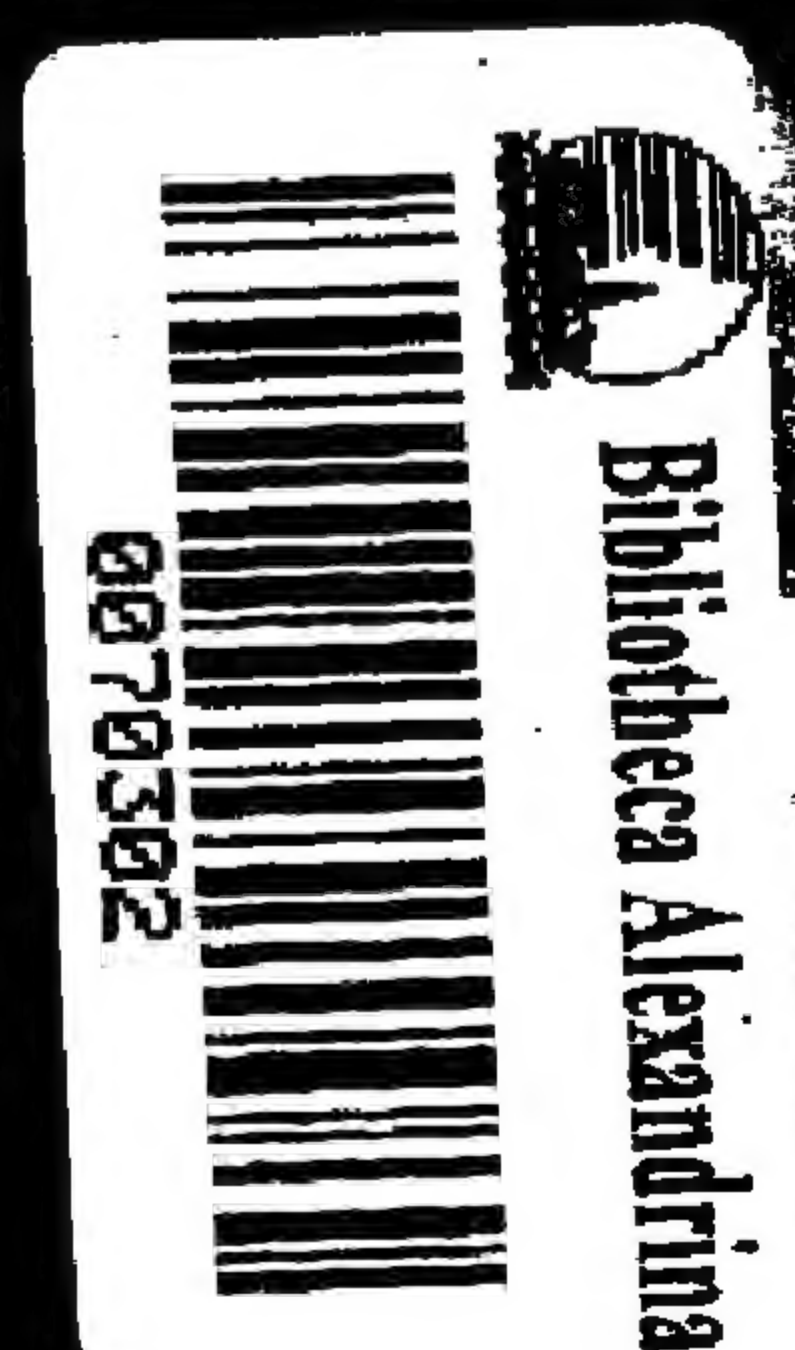


يَانِيسَ رِيْتَسُون

البعيد

مختارات شعرية شاملة

ترجمة: رفعت سلام



البعيدُ

مختارات شعرية شاملة

الألف كتاب الثاني

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفني

لمياء محرم

يائيس ريتسوس

البعير

مختارات شعرية شاملة

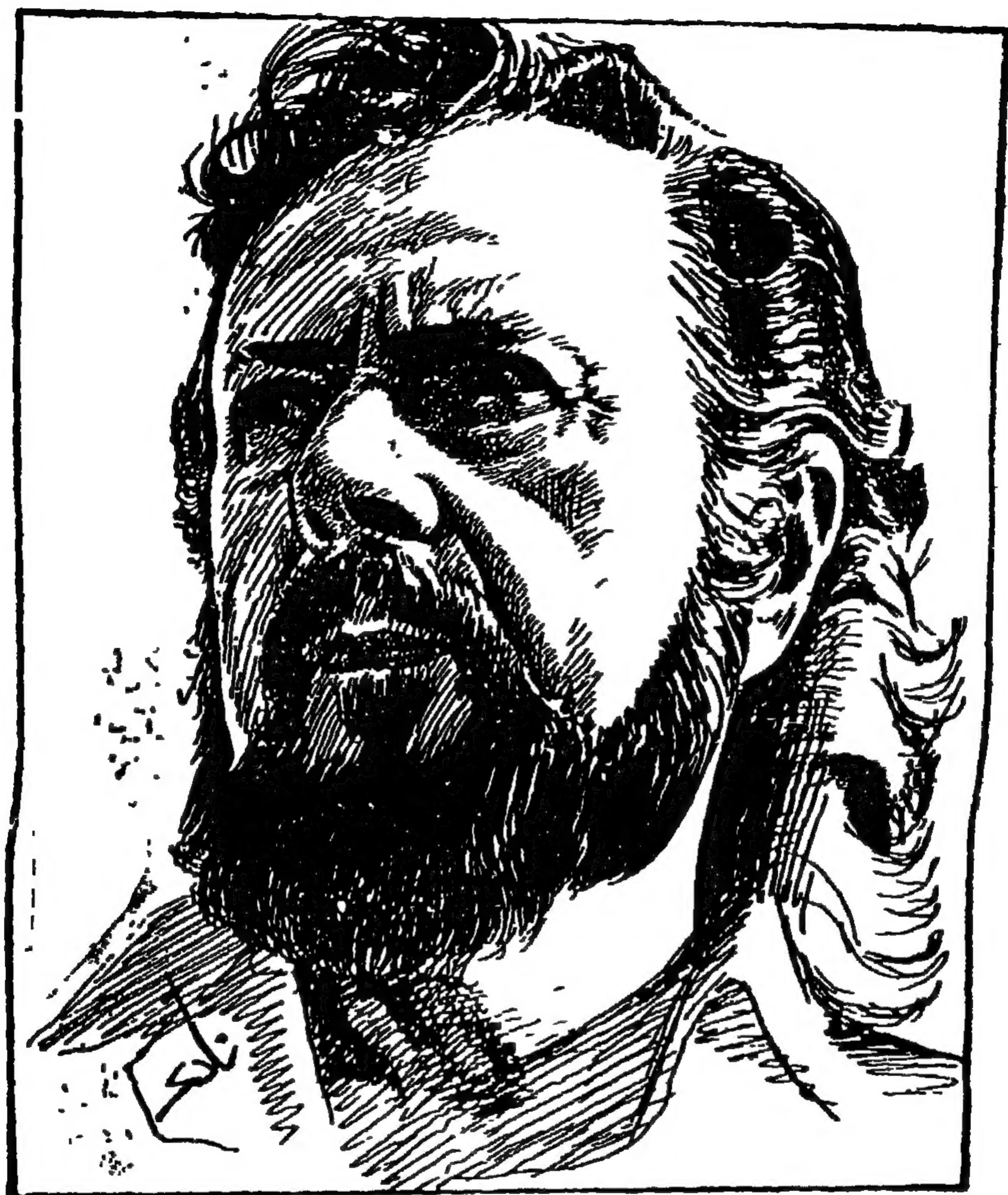
ترجمة وتقييم
رفعت سلام

الهيئة العامة للكتاب - مكتبة الإسكندرية	
رقم التسجيل	٤٤١
رقم الكتاب	٢٧٢٨٨



الهيئة المصرية العامة

١٩٩٧



الصورة من رسم الأستاذ محمد نادى

الفهرس

٩	• • • • •	سيد البساطة الماكرة •
٥٣	• • • • •	أغنية أختي •
٧٥	• • • • •	مسيرة المحيط •
١١٠	• • • • •	روميوسيني •
١٢٨	• • • • •	من شهادات •
١٣٦	• • • • •	أوريسست •
١٦٥	• • • • •	١٨ غنوة عن الوطن المرير •
١٧٠	• • • • •	أقواس ١٩٤٦ - ١٩٤٧ •
١٨٣	• • • • •	أقواس ١٩٥٠ - ١٩٦١ •
١٩٦	• • • • •	البعيد •
٢١٠	• • • • •	دمار ميلوس •
٢٢٩	• • • • •	حجرة البواب •
٢٥٣	• • • • •	الجسد والدم •
٢٧٧	• • • • •	مختارات من القصائد القصيرة •
٣٠٥	•	أعمال ريتسوس الشعرية باليونانية حتى عام ١٩٨٠ •
٣٠٧	• • • • •	المراجع •
٣٠٨	• • • • •	تعريف بالمترجم •
٣٠٦	• • • • •	للمترجم •

فكل ما أحببت

أخذه منى الجنون

والموت •

سيد البساطة الماكرة

فى اللحظة التى كدت أن أمسك به انقطع الخيط ، وانفلت الى
الناحية المستحيلة • وبدأت المطاردة • كان الخيط لم ينقطع ، أو كأنه
استبدل بخيط سري ، أن شله أرخيته ، وان أرخاه شدذته ، فلا أحدا
يفلت الخيط ، أو ينسى •

كان ما يشبه النزوة أن كتبت اليه • نزوة لا تأمل فى اكتمال
الدائرة • حسبها الانفلات من الكبح الناتى الى فضاء ما ، مكتفية بذاتها ،
فى ذاتها • انفتحت دائرة الى نصفها ، وتعلقت قوسا مضيقا فى الفضاء
المراوغ • واستدرت الى اليومى ، ونسيت • كأننى اكتفيت • كأننى •

هل كنت أتناسى أن الدائرة منقوضة ، مغلقة فى قلبى بين بين ؟
هل كنت أهرب من عجزى عن اكمال الدائرة التى فتحتها بنفسى ؟ أم كنت
أراوغ الاعتراف بالهزيمة القادمة ، اذا ما تجاهل السيد البعيد دعوتى
— أنا الحد المجهول لديه — فلم ير قوسا ولا دائرة ؟

لكنه — قبل أن أنسى تماما — أدركنى بالرسالة التى أملاها على
« كاثرين ماكرينيكولا » ، بدار « كيدروس » صاحبة حقوق نشر أعماله
باليونانية : « لقد سعد بأن يعرف باهتمامك بقصائده ، وبنييتك أن تنشر
مجموعة منها بالعربية • وهو يمنحك حق القيام بهذا النشر حينما تكون
مستعدا » • واكتملت الدائرة • ومرة أخرى ، نسيت ، كأننى اكتفيت •
كأننى •

5th April, 1987

Mr. Rifaat Sallam,
5 Rue Cheik Mahammad Rifaat,
(Station Myra)
Héliopolis

Dear Mr. Sallam,

It is through Mr. Yannis Kritikos, a friend of your father-in-law that we were informed of your interest in the poetry of Yannis Ritsos. Kedros is the exclusive publisher of Yannis Ritsos in Greece but the foreign rights for the translation of his poems are owned by him and handled by him personally.

He was pleased to hear of your interest in his poems and of your intention to publish a collection of them in arabic. He gives you the right to proceed to such a publication when you are ready. Unfortunately, he never writes introductory notes to his poems and generally avoids to speak about his poetry. On his recommendation, I enclose some material on his life and work which you will find helpful. If you want to contact him, his address is:

39 M. Koraka Street,
Athens 104 45.

With best regards,

Yours sincerely,

C. Makrinikola

Catherine Makrinikola

لم يكن « حق النشر » شاغلا لى ، أو حافز الكتابة اليه . بل كانت الكتابة فى ذاتها اليه ، نعم الكتابة فى ذاتها . لا أكثر ، ربما . وها هى دائرة الكتابة قد اكتملت ، أى انغلقت ، فماذا بعد ؟

هكذا امتد بيننا خيط . واليونان - آنذاك - بعيدة بعيدة على . وهو - فى تلك البعيدة البعيدة - بعيد بعيد . مسافة عصىة ، وزمن مراوغ ، والحلم لا يخرج من أبجديته الداخلية الى الامكانية . فيا أيتها المسافة العصىة ، المستعصىة على اليد القصيرة ، من أين أمسك بك ؟ وكيف ؟

فهل كنت سيد الأبدية ، ليكون لى أن أنسى ما يديره الزمن من ضربة قادمة ؟ هل كنت سيد المصير ، ليكون لى أن أستند على جدار من هواء ؟

ما كنت هذا ولا ذاك ، لكننى نسيت ، واستندت .
وفى اللحظة التى كدت أن أمسك بالخيط ، انقطع .
وانفلت - دون أن يقول لى - الى الناحية المستحيلية من الأبدية .

(١)

ظل أبى كان شاهقا ، كان يظل المنزل كله ،
ويسد الأبواب والنوافذ من أعلى لأسفل .

هو « اليفثيريوس ريتسوس » الأب المولع بالقمار حتى تبديد
الأرض ، كأحد كبار ملاك الأراضى فى مدينة « مونيمفاسيا » ، بالجنوب
الشرقى من « البلوبونيز » .

وحينما ولد « يانيس » - فى ١ مايو ١٩٠٩ - كان الصوت المرعب
للأب المقامر يحتل فراغات المنزل ، وظله يسد الأبواب والنوافذ المفتوحة
على البحر . حالة أقرب الى الجنون الذى يعقب الخراب فالسقوط .

جنون يمارس تجلياته على طفلين وطفلتين ينطلقون - بلا وعي - الى مصائرهم المجهولة .

كان ظل الأب ظلا للخراب الراهن والقادم . فالعام الذي أنهى فيه ريتسوس دراسته الابتدائية (١٩٢١) هو عام موت الشقيق الأكبر بالسل . وبعده شهور ، تدرك الأم ابنها الراحل ، وهي في الثانية والأربعين .

هي الأم التي ستأتى فى « أغنية أختى » (١٩٣٧) :

ملاكاً أبيض فى الليالى البيضاء .

نسمع صوتها البعيد والحفيف الناعس لجونلتها

فإنما نغمض عيوننا فى نوم ملىء بالنجوم .

ويكون رحيلها رحيلاً لطفولته . تكسرت البراءة الطفولية شظايا انغرست - جارحة - فى القلب الصغير . لابهجة ، ولا حنان . لا طمأنينة ، ولا فرح . بل هو الانزواء فى الأركان المعتمة ، فى ظل الأشياء ، بعيداً عن عين الأب السبابة .

وحيداً مع أشياء المنزل ساعات من التأمل والكلام الصامت الداخلى . هي التي تؤويه ، وتتواطأ على وجوده ، وتمنحه ظلالها والسكينة : الغرفة ، والمقاعد ، والستائر ، المنضدة ، والنافذة ، والملاءة ، والسرير ، والكوب ، والجدار . هي التي تحنو عليه ، وترتضيه . هي الملجأ الحائى ، والأبيرة البديلة . وسيكون له - فيما بعد - أن يبيع لها قصائده لتصبح محورا أساسيا من محاورها ومحاور العالم ، باعتبارها شهوداً صامتين على الوجود ، وشارة على حضور الآخرين الغائبين . هي حضور الغياب ، الحضور الوديع المكتفى بذاته ، بلا صوت أو عنف .

ويصبح المنزل المشرع على البحر نصبا تذكاريًا للخراب واللعنة . ومع الفرصة الأولى للهرب ، يدير له ريتسوس ظهره ، الى « جيثيون » ومدرستها الاعدادية ، صبيا فى الثانية عشرة من عمره ، بعد الاعدادية ،

يفر الى الأبعد : أثينا ، وهو فى السادسة عشرة • صيى قروى ضال يرمى
بنفسه - وحيداً - فى متاهات العالم ، هرباً من لعنة المنزل القديم ،
وكوابيس الليل والنهار •

لكن اللعنة لا تفلته ، فتحل به على نحو آخر • انه نفس المرض
الذى أودى بشقيقه وأمه : السل • فلا مفر من العودة الى المنطلق
« مونيمفاسيا » • لكن رعبه الكابوسى من المنزل يدفع به بعيداً عنه ،
الى فندق المدينة البائس مخفوراً بأشباح الموت ونعيب اليوم • وسيكون
عليه أن يكبت مشاعره هذه لتنفجر - متأخرة - فى « البيت الميت » ، بعد
أكثر من ثلاثين عاماً : فانتازيا الرعب والجنون فى ذلك الحد الفاصل بين
الوجود والعدم ، بين الوهم والحقيقة •

عام واحد فى « مونيمفاسيا » ، فالعودة الى أثينا فى خريف ١٩٢٦ ،
ليعمل فى نسخ شهادات الأعضاء الجدد بنقابة المحامين • وبعد شهر
قليلة ، يدخل مستشفى « باباديميتريو » ، فمصححة « سوتيريا » ، لثلاثة
أعوام تحت العلاج الذى لن ينتهى بخروجه منها • سيطارده لأعوام طويلة
قادمة ، يتأرجح فيها بين النقاها والانتكاس •

ويكتشف الشعر • كتابة تأخذ شكل الزخرفة البيزنطية ،
والصفحات البيضاء تمتلئ بكتابة لن تجد طريقها الى النشر : قصائد
تبحث عن الشعر ، عن الشعرى ، فتضرب - فى بحثها - فى كل
الاتجاهات ، مرتبكة ، مترددة ، متهورة ، متعثرة • لكنها الكتابة التى
ترأب - الى حد ما - الصدع الذى انشق بينه وبين العالم ، تعيد اليه
- الى حد ما - التوازن والقبول والتعويض الروحى •

فى ديوانيه الأولين - « تراكتورات » (١٩٣٤) و « أهرامات »
(١٩٣٥) - يمنح الفرصة للأصوات الكبرى أن تحتله بلا مقاومة • انها
سطوة « بالاماس » و « فارناليز » و « كاريوتاكييس » ، التى حاصرت فى
« سوتيريا » ، فى أجواء المرض والحمى والزحف الواهن نحو مستقبل
غامض ، ضبابى • لم يكن صوته الشعرى تاماً ، ولم يكن - بالطبع -

صوتهم تماما • كانت الغنائية تختلط بالخطابية ، والتحريض بالمأساة • ديوانان ينتميان - بصورة واضحة - الى الشعر السياسي • ورغم ذلك ، فعندما ظهرا لم يستقبلهما تقاد اليسار استقبالا طيبا ، اذ اتهموا الشاعر بكونه مثاليا ومشغولا - أكثر من اللازم - بالشكل الفني • وانتقدوا - على وجه الخصوص - لغته الشعرية ، باعتبارها لغة « زخرفية » ، وأكثر تعقيدا من أن تستوعبها الجماهير •

يبدأ « تراكتورات » بنداء الى الأم / الشعر كى تستقبله ، لينتهى بسيل جارف ضد المجتمع المتعفن المتدهور • وما بين البداية والنهاية قصائد أليمة عن اذلاله على يد « جماعات من البرابرة » التى تحيط به ، ووالده المحجوز فى مصحة للأمراض العقلية ، بينما يحادثه ابنه المريض من مصحة سوتيريا • ويضم الديوان - فى نفس الوقت - أناشيد الى ماركس وانجلز وروسيا ، ودعوة من أجل عالم واحد ، يكون فيه الجميع أخوة متساوين •

ويستمر هذا التوجه المزدوج - الذاتى / السياسى - فى « أهرا مات » : رثاء عاطفى لأخته يمتزج برثاء صباه التعتيس :

آه ، لا أذكر أبدا أننى كنت ذات يوم صغيرا
مثل عجوز مشلول كنت أختبئ بالداخل
أقرأ الكتب العتيقة •

وينتهى الديوان برؤى عن نفسه ، كجندي بسيط بين صفوف العمال ، يحارب من أجلهم ب « قيثاره ومعرفة » •

وفى مايو ١٩٣٦ ، يقوم عمال مصنع التبغ - فى مدينة سالونيك - بالاضراب احتجاجا على تدنى الأجور • وحينما يستدعى رجال البوليس ، يطلقون النار على المضربين العزل ، فيقتلون اثنى عشر شخصا ويجرحون المئات • وفى اليوم التالى ، نشرت الصحف صورة أم متشحة بالسواد ، تبكى ابنها القتيل فى أحد شوارع المدينة • التقط ريتسوس الصورة ، وبعد يومين من العمل الخلاق ، كانت « إيتافيروس » (تراثيل الدفن التى

تؤدي في الكنائس اليونانية الأرثوذكسية يوم الجمعة الحزينة) • انها
- من جديد - مأساة صلب المسيح ، بل تتعدى الصلب الى القيامة •
والعويل فاتحة القصيدة :

تركتني ذات يوم من مايو ،
وذات يوم من مايو فقدتك •

عويل أم لا تستطيع ادراك سبب موته ، كما لا تستطيع فهم أفكاره
السياسية • لكنها - عبر القصيدة - تصل ، في منتهاها الى :

لقد حملت بندقيتك ، فتم الآن ، نم ، يا بني •

وأصبحت القصيدة النشيد الوطني - غير الرسمي - اليسار
اليوناني ، وخاصة بعد أن قام « ثيودراكيس » بتلحينها في أواخر
الخمسينيات • ففي مايو آخر - عام ١٩٦٣ - وفي مدينة سالونيك أيضا
انطلقت الحشود المرافطة خارج المستشفى الذي يرقد فيه النائب البرلماني
اليساري « لامبراكيس » - اثر الاعتداء عليه من قبل ماجورين سياسيين -
في انشاد « ابيتافيوس » وبينهم ريتسوس وثيودراكيس ، رثاء للشهيد ،
لينتقل النشيد الى أثينا أثناء تشييع جنازته • وخلال حكم الجنرالات
القادم - الذي سيعتقل ريتسوس - كانت القصيدة شعار كل احتجاج على
الديكتاتورية •

وفي أعماله التالية مباشرة - التي تبدأ بقصيدة « أغنية أختي » -
واصل ريتسوس استخدامه المطور للغة ، بل وذهب الى أبعد مما تحتمل
متطلبات الفن « المناضل » • انها مفاهيم جمالية جديدة لا علاقة ذات بال
بينها وبين مفاهيم اليسار • وبدءا من ذلك الحين ، سيكون حافز ريتسوس
هو البحث عن « بعد رابض » في الشعر ، ربما لأنه اكتشف محدودية
الاطار الفني الذي تتخذ فيه جميع الظواهر الاجتماعية دلالة اجتماعية •
لا يعني ذلك أنه لم يعد « واقعي » ، أو أنه قد تخلى عن « اشتراكيته » ،
بل يعني أنه قد تخلى عن استهداف « الواقعية الاشتراكية » •

وقبل وفاته بحوالى أربعة أعوام ، سيكون لريتسوس أن يرى :

«ان المضمون الاجتماعى للشعر ليس - بالطبع - المقياس الأول لقيمة الشعر ، لكنه - بلا شك - المقياس الأخير ، المحدد . فعندما يخرج الشعر من أطر الاعتراف الذاتى للشاعر ، فانه يصبح بالضرورة - تعبيرا عن حاجة الناس ، كل الناس ، للعدالة والحرية والبهجة ، الحاجة الى التغلب على العزلة المرهقة ، وتعفن الموت . ان الفن الأصيل والشعر الأصيل يجب أن يصل حتما الى ذلك . لكن هناك مسألة أخرى ، اذ اننا أحيانا ما نكون - فى الشعر - اجتماعيين أكثر مما يجب ، وأحيانا ما نصنع - باسم السياسة - سياسة رديئة فى الفن . ان الجانب الاجتماعى والجانب الجمالى فى الشعر يجب أن يكونا متجانسين ومتكاملين ومتوحدين بشكل لا يمكن - معه - فصلهما .

ولا أحد - بالطبع - يمتلك الحق فى أن يفرض على الفنان أن يجعل من فنه « فنا اجتماعيا » . فلا بد أن يكون ذلك مطلباً ينبعث من أعماق الفنان نفسه . ان متطلبات وحاجات الشاعر الحقيقى والفنان الأصيل تتطابق حتما ودائما مع متطلبات الشعب وحاجاته ، وهى المتطلبات التى يكشفها الشاعر ويبلورها جماليا فى ابداعاته الفنية . وعلى هذا الأساس ، يشارك الشاعر - بشكل مباشر - فى العملية العامة لتغيير العالم . ويناضل الفنان طوال حياته ضد الظلم والاستغلال ، وضد كل أشكال الموت الاجتماعى ، حتى وان كان هذا النضال يبدو - للوهلة الأولى - وكأنه نضال خاص ومنعزل ، الا أنه - فى الواقع - نضال عام وجماعى ، اذ ان هذا النضال يستجيب لشيء مهم جدا عند الفنان ، وهو الحاجة الى التعبير عن مكنونات ذاته ، الحاجة للاعتراف بالحرية ، الحرية التى تزيل الأطر الضيقة لاغتراب الشخصية الانسانية . ان هذا النضال تأكيد لأهمية الحياة الانسانية .

واذا ما كانت ثمة قيمة ما فى عملنا ، نحن الشعراء ، فانها تكمن فى أننا قد تجاسرنا بالتغلغل فى أعماق الألم الانسانى ، واستطعنا أن نستخرج الأمل من كل الآلام الانسانية، وأن نساند الضياء وسط الظلام ،

« أغنية اختي » هي النموذج الأول للشكل المفضل عند ريتسوس .
القصيدة الطويلة التي توصف بأنها « سيمفونية » أو « تركيبية » . كتبت
القصيدة عام ١٩٣٧ ، لكنها تعكس التجارب المريرة التي مر بها ريتسوس
وأخته « لولا » عندما رحلا الى أثينا ، بعد خسارة الأسرة لثروتها ، وهما
يجاهدان من أجل البقاء وسط الغليان الاقتصادي والسياسي الذي أعقب
كارثة آسيا الصغرى ، وما واجهاه من مصاعب مروعة . هو الحزن
الشخصي ملتجما بالوعي التاريخي . وهي أحد أطراف الثلاثية التي تضم
- معها - « سيمفونية الربيع » (١٩٣٨) و « مسيرة المحيط » (١٩٤٠) ،
والتي تمثل - بصورة غير مباشرة - روح المقاومة ضد ديكتاتورية
ميتاكساس في اليونان ، وصعود الفاشية في أوروبا . والشمس - التي
تحتل أفق القصيدة - هي رمز الايمان الراسخ لدى ريتسوس بالقدرة
المخلصة للشعر ، والمقدرة الانسانية - مهما كانت الظروف - على
الاستجابة لنداء الحياة الذي لا يقاوم . ولا يتحقق انتصاره على اليأس
بسهولة ، بل بعد رحلة مريرة نحو الضوء وسط الظلام .

(٢)

سمعنا أغنية البحر

فلم نعد قادرين على النوم

أعوام من الرعب تجيء ، مع النقاهاة .

في مقابل الديكتاتورية الحاكمة ، تصعد الفاشية الى عرش أوروبا .
وتقتحم القوات الألمانية الحدود ، فالاحتلال . وتذكر المجاعة الشاملة
الشاعر - مجاعة ١٩٤١/١٩٤٢ - فيتهده خطر الموت ، بعد أن أصبح
أرضا خصبة بفعل المرض . ويكتشف وضعيته أحد أصدقائه الصحفيين ،
فيطلق صرخة تحذير في جريدته واسعة الانتشار . وتم فتح اكتاب عام
لانتقاد الشاعر ، فاذا به يرفض استلام النقود ، ويطلب توزيعها على الأدباء
الشبان .

البقاء على قيد الحياة : كان الشعار المرفوع في وجه المجاعة .

البعيد - ١٧ .

وجبهة التحرير الوطني : كانت تنظيم المقاومة الشعبية ضد الاحتلال . والتحق ريتسوس بالقسم الثقافي للجبهة مع الكتاب والفنانين، يلقون القصائد ، يعرضون المسرحيات الحماسية ومن بينها « أثينا تحت السلاح » لريتسوس . هو العمل الذي سيعيد صياغته - بعد سنوات - ليتحول الى « قصيدة حوارية » تحمل عنوانا آخر : « أبعد من ظلال النرو » .

كانه « القرن الأخير قبل الانسانية » : القصيدة التي كتبها ريتسوس في صيف ١٩٤٢ ، أملا في عهد جديد شبيه بالعهد الذي بدأه المسيح ، وهو الشاعر الذي سيكون حلقة وصل بين العهدين القديم والجديد . وهي احتفال بأبطال الواقعة الألبانية الذين صعدوا جيش موسولينى ، وبكاء للمجاعة والغزو الألماني ، وتمجيد لجبهة التحرير . وهي الأمل الكبير في مستقبل يمشى فيه الرجال تحت الشمس بحرية كاملة . قصيدة تستخدم رموزا مسيحية لتأكيد ايمان ريتسوس النهائي ، لا بالمسيح ولا بأية قوة ميتافيزيقية ، وانما بأسمى غرائز الانسان ، في الوقت الذي تطفو على السطح - مؤقتا - أسوأ تلك الغرائز وأكثرها انحطاطا . وتنتهى القصيدة بلافتة على مفترق الطرق : « من هنا الطريق الى الشمس » . وعندما يتساءل أحدهم عن رسم تلك اللافتة « بحروفها الغليظة تلك » ، يجيب آخر : « انه يانيس ريتسوس ، شاعر القرن الأخير قبل الانسانية » .

كان الجميع يأملون في بعث وحدتهم من جديد عند انسحاب الألمان . لكن النتيجة كانت حربا أهلية جاءت مباشرة بعد التحرير ، حيث انهزمت المقاومة التي كان يقودها اليسار ، في ديسمبر ١٩٤٤ ، بمساعدة الدبابات البريطانية . وهو ما عمق الفجوة بين الطرفين المتقاتلين . وما ان حلت المرحلة النهائية للحرب الأهلية ، حتى استقبلت المعتقلات اليونانية في الجزر ما يزيد على عشرين ألف معتقل ، حكم على ثلاثة آلاف منهم بالاعدام ، الذي تم تنفيذه في ألف معتقل بصورة عاجلة .

معهم ، تم القبض على ريتسوس عام ١٩٤٨ ، الى معتقل جزيرة « ليمنوش » ، وبعدها الى « مؤسسة إعادة التأهيل الوطني » في جزيرة

« ماكرونيسوس » ، حيث مارس عليه حراسه كافة أشكال التعذيب الجسدي والنفسى كسياسة عامة ، لتحويل الشيوعيين الى « هيلينيين صالحين » . بعدها نقل الى « آى ستراتس » (أجىوس افسترايتوس) . ولم يصمت طوال السنوات الأربع التى قضاهما فى المعتقلات . فقد واصل الكتابة فى أحلك الظروف ، ليضع قصائده داخل زجاجة يدفنها فى أرض المعتقل الحجرية . وأولا بأول ، كان يلقي قصائده على زملائه المعتقلين . ذلك ما يفسر استخدامه للأسلوب المباشر فى قصائد تلك الفترة ، ومن بينها « رسالة الى جوليوت كورى » (نوفمبر ١٩٥٠) :

عزيزى جوليوت ، أكتب لك من آى ستراتيس
حوالى ثلاثة آلاف هنا ،
أناس بسطاء ، عمال أشداء ، كتاب أدباء ،
تغطى ظهورنا جميعا بطانية واحدة مهترئة ،
بصلة ، وخمس زيتونات وكسرة جافة من ضوء فى
أكياسنا ،

أناس بسطاء كالأشجار فى ضوء الشمس ،
جريمتهم الوحيدة المدونة فى سجلاتهم :
هى - فقط - أننا ، مثلك ، نحب السلام والحرية .

حقة أعاد فيها ريتسوس النظر فى رؤيته للعالم واليونان والتواريخ ، بحثا عن ذاته التاريخية الشعرية ، وعن صوته الشعرى الذى يختصر الذاكرة اليونانية ، ليجد بين يديه « روميوسيني » : قصيدة ملحمية تستمد لغتها وإيقاعها من التراث الشفاهى الذى يرجع الى الأناشيد البطولية للفدائيين فى حرب الاستقلال (١٨٢١ - ١٨٢٧) ، والقصائد الأكريتية البيزنطية خلال الحكم التركى ، رجوعا الى الأغاني الهومرية ، حيث الشاعر منشئ الجماهير ، راوى الحكايات الذى يمجده ويحتفل بمن يعشقون التراب اليونانى ، الموتى منهم والأحياء . عشق يجعل المشهد الطبيعي - فى القصيدة - يتخذ نفس نسيج الوعي الحى للعاشق ، فيما يتخذ العاشق ووعيه نفس نسيج المشهد الطبيعي الحى .

وليست « روميو سينى » مكانا فحسب ، بل هى - أيضا - زمان .
فالطبيعة اليونانية هى محور التشكيل الشعرى للقصيدة ، لكن هناك
- أيضا ، وبصورة متزامنة - الوعى الحاد بالانقسامات المرعبة فى
التاريخ اليونانى . هى تجربة الحقبة المأساوية والفاصلة بين الاحتلال
الألمانى والحرب الأهلية، والتي تعنى - من وجهة نظره - خيانة للمقاومة .
قصيدة ملحمية ، لكنها لا تتطور خطيا وفقا لبنية سردية
أو أيديولوجية . فالشكل الزمنى ليس تعاقبيا ، يتحرك أفقيا من بداية
- عبر وسط - الى نهاية ، ولا جدليا ، من فكرة الى تقيضها الى مركبهما .
بل تتمحور القصيدة - على نحو مكثف - على موقف تاريخى معاصر يفتح
رأسيا حتى أقصى حدود الماضى اليونانى . فخيال ريتسوس الشعبى واللغة
المفعمة بالحياة التى تعبر عنه يكتشفان ، أو - تحديدا - يفتحان زمن
الذاكرة الذى يتحقق فيه حضور كل الأزمان اليونانية ، زمن تلتئم فيه
الشظايا الزمنية وأطلال التاريخ اليونانى - صورة مطايرد الحكم التركى
والثورة اليونانية ، حراس الحدود المدنيين ، والمقاتلين الهومريين - تنبثق
من البنية العرقية لما تحت الوعى ، لتحقيق الهوية والتواصل مع الصورة
المعاصرة (رجال الميليشيات الجبلية) . فالخيال العامى لريتسوس - بمعنى
آخر - يحول سلسلة من المواضى الميتة الى حاضر حى لا بد من ادراكه
- بالطبع - بصورة متزامنة .

بذلك - على سبيل المثال - يحتسى البحار (المعاصر) البحر المرير
من كأس أوديسيوس ، ويلتقى رجال حرب العصابات مع « ديجينيس »
فى نفس تلك الطوابق التحتية على الحدود البيزنطية حيث تصارع مع
الموت ، والمرأة العجوز تصعد الى مواقع المراقبة حين تبلى الرسوم الجصية
المنوية للغروب فى البعيد ، والشاعر يحفز الريح كى تدفع « دب
الليل » الى رقص « التساميكو » فى الميدان ، بينما يقرع القمر الدف الى
أن تهتز شرفات الجزيرة .

واستعادة الماضى - هنا - ليست استحضارا رومانسيا ، ولا بحثا
عن الزمن الضائع ، ولا هى - حتى - استعادة اليوتية (نسبة الى اليوت)

لـ « الحس التاريخي » ، حيث يبحث الشاعر - بوعى - عن تواصل الماضي مع الحاضر . فبالنسبة لريتسوس ، فانه لا يتخلى أبدا عن الوضع الراهن؛ واحتمالاته في مستقبل حقيقي . فالراهن المفتوح يبقى في الخلفية منذ البداية حتى النهاية التي ما تزال في طور البداية . وتواصل الماضي اليوناني متحقق - لديه - كمعرفة مباشرة في ذاكرته العرقية ، أو في إيقاع دمه اليوناني ، ويحيا ضمن إمكانيات لغته الدارجة الديموطيقية ، الشفاهية .

انه التزامن سمة أساسية ، والمعرفة الوجودية المباشرة محور أساسي للرؤية . وتلتحم الاحالات - المتعلقة بكائنات بشرية ، أو أشياء من الطبيعة - في شخص اليونان الأم ، التي تتخذ - في قفزات سيربالية خاطفة - تشكيلة مدهشة من الهويات الأثوية التي تنتمي الى الماضي اليوناني المتشظى والكثيف : حورية الماء ، ربة الأرض الأم الأورفية التي تنجب ايروس وسط الهيولى ، وليدا التي تشر تاريخ اليونان القديمة ، وأثينا الربة المقاتلة ، وأخيرا برفسبون (بالاحالة الى ابنة الحداد) ، وأمها ديميتير التي توزع عليهم خصب الأرض والنشور .

استدعاء للتواصل التاريخي أو - بالأحرى - الاكتمال التاريخي ، دون أن يتحقق على حساب الحاضر . فهو يكتشف - من ناحية - التوحيد بين ابنة الحداد المعاصرة والأم النائية ، و - من ناحية أخرى - بين الأرض الأم وحورية البحر والعذراء وديميتير وبرفسبون . لكن موضوعه الدائم الملح هو الأنصار اليونانيون المعاصرون . فالاستدعاءات من الماضي اليوناني لا تستهدف - كما عند اليوت وييتس وجويس - اجتذاب البانوراما الهائلة للاجدوى والفوضى « المرادفة للتاريخ الانساني » الى علاقة متوازنة من أجل ضبط وتنظيم وتشكيل ومنح المعنى لها . فهي ليست أداة لتشكيل عالم جمالي أو روحى متعال من الخيال ، يترفع على الحاضر الخشن . انها حاضرة من أجل الاحتفال بالخيال المعاصر الواقعي لليوناني ، الذي يعرف أن « هذه الأرض لهم (للموتى) ولنا ، ولا يمكن لأحد أن ينتزعها منا » . ذلك هو السبب في أن ريتسوس - باعتباره مغنى الجماعة - يقدم الصورة التاريخية والأسطورية والشعبية عن الماضي من

منظور الاحساس اليوناني البيولوجي أو الطقسي (أكثر من الذهني)
بالزمن والتاريخ .

وصورة هذا العالم الذي يكتشفه ريتسوس - العالم الذي تندمج فيه كل الأزمان والفضاءات ، كل الأحداث والأشياء في انسجام خالص - تصبح ، بذلك ، مقياسا حيا للتهديد الذي يوجهه ال « هم » الغزاة في القصيدة . وفي ذلك يكمن السبب في قدرة ريتسوس على أن ينطق في المقطع السابع - بكلمات الحب في سياق يستدعي الكراهية والمرارة ، وأن يؤكد الأمل في سياق يستدعي اليأس .

هكذا ، تقدم القصيدة الزمن اليوناني ، دون أن يهم كم هو مشبتت ظاهريا ، كراهن أبدى . انه حضور حي في وعي « الشعب » المعاصر :

« الشعر ظاهرة معقدة للغاية ، لأنها تتحدد بتأثير عوامل عديدة ، اجتماعية وتاريخية وأخلاقية وبيولوجية . وأنا واثق أن آلاف الصفحات من النصوص التوضيحية ، وآلاف الخطب ، لا تستطيع - بشكل كامل - أن تعبر عن الشيء الذي تتضمنه هذه القصيدة أو تلك . بل أقول ما هو أكثر : ان قيمة القصيدة لا تكمن - فقط - فيما تتحدث عنه ، وانما - بالأساس - فيما يجعل القصيدة نتاجا فنيا . وبعبارة أخرى ، فان القصيدة فعل جمالي متكامل . ولهذا ، فان اخضاع القصيدة للتأويل والتفسير مسألة خطيرة للغاية . . . فلا يمكن تفسير الشعر حتى النهاية ، وروعة الشعر وسحره المتفرد يكمن في ذلك بالذات . انه التعبير عن أدق حركات روح الشاعر وفكره .

ومهمة النقد هي تقسيم الصورة النسيجية التي يكمن فيها جوهر الشعر نفسه الى أفكار منفصلة وأحاسيس وصور فنية وإيقاعات ، ثم يجرد ارتباطات كل هذه العناصر ، ويكتشف فيها آلية تأثيراتها ، ومن ثم الموقف الوجداني المحدد للشاعر في علاقته بالواقع الاجتماعي والحلقة الفكرية لتلك العلاقة . لكن ذلك يجب ألا يقضى بالنقد الى وضع متطلبات

وشروط قسرية ازاء الانتاج الأدبي قد تؤدي الى ابتعاد القارئ نتيجة لتلك الآراء والادعاءات .

وأسوأ ما فى الأمر أن نرى الناقد يؤدي دور المراقب أو المعلم تجاه الشاعر . أن هذا الموقف هو خرق للأخلاق وظلم للشعر والشعراء . يجب أن يتخلص النقد من نبرة الحاكم أو الرقيب ، ويجب أن يتفاعل مع أخلاقية الفن ، وهو ما سيؤدي بالنقاد (والقراء أيضا) الى اكتشافات واستخلاصات كثيرة وجديدة . يجب على النقد أن يقرب الشعر للقارئ ، وهى مهمة عظيمة ، اذ ان الشعر هو منبع التقنية الجمالية للروح الانسانية ، انه يعلم الانسان أن يحس بعمق ورقة ، ويغنيه روحيا ، ويعمق عالمه الوجداني . ان الشعر يربى فى الانسان الأوليات الجمالية ، والتي هى - فى جوهرها - اجتماعية بلاشك، اجتماعية بأوسع مفهوم للكلمة .

(٣)

لا يستطيع أحد أن يسكت غناءنا .
سنواصل الغناء .
فالعالم جميل - نحن نوكد -
جميل ، جميل ، جميل - وسنواصل الغناء .

لم يكن ممكنا نشر « روميوسينى » عند كتابتها . وكان لها أن تنتظر ست سنوات كي تنشر عام ١٩٥٤ للمرة الأولى . وللمرة الثانية ، يقوم « ثيودراكيس » بتلحين احدى قصائد ريتسوس ، ليقدمها الاثنان معا الى الجماهير الجاشدة قبل فترة وجيزة من منع النظام لأعمال الاثنين .

لا يستطيع أحد أن يسكت غناءنا .

كأنه يكتبها وأسنانها مطبقة ، وشفتاه مزمومتان . لمحة من السخرية والمرارة بدأت تظلل قصائده الأخيرة، دون أن تقمع الأمل الكامن فى قلبها . وبعد اطلاق سراحه ، جمع القصائد المكتوبة فى ظلمات الحقبة الماضية

(١٩٤١ - ١٩٥٣) فى مجموعة بعنوان شامل : « سهر » ، تحت عبارة اقتبسها من فترة حالكة أخرى فى تاريخ اليونان ، من « ديونيسيوس سولوموس » : « أعين روى مفتوحة دائما ، لترقب دائما » . انه السهر على جثة الميت فى مواجهة انحطاط وظلم الحياة ، بلا يأس أو انكسار ، بل بالأمل والعنفوان .

تزوج عام ١٩٥٤ ، وفى العام التالى احتفل بطفلة القادمة بديوان « نجمة الصباح » ، الديوان الأول الذى لا تشوبه لمحة مرارة أو حزن . لكن الفرح بنجمة الصباح الوليدة لا يلغى الاحساس بضياح ما . كما أن الوضع اليونانى - بالرغم من تحسنه الجزئى - لم يكن ليرضى شاعرا بقامة وأفكار ريتسوس .

كانت الحقبة التالية - وحتى اعتقاله الجديد عام ١٩٦٧ - فترة خصوبة إنتاجية هائلة : ما لا يقل عن ثمانية وعشرين ديوانا من الأعمال الجديدة ، وثلاثة مجلدات لقصائد ١٩٣٠ - ١٩٦٠ ، وتسعة مجلدات لترجماته الى اليونانية . ويتكشف الاهتمام بتعميق التجربة الشعرية ، والتجاوب مع المتناقضات والتعقيدات الصارخة التى مر بها . نزوع الى الحوار الذاتى الدرامى ، كشكل طبع لتقديم رؤية للعالم يمتزج فيها الأسطورى بالآنى ، والصفاء والبساطة يتعايشان مع الغموض والكوابيس ، واليومي يمتزج بالفانتازى .

هكذا ، يستعيد « أوريسست » من الذاكرة الأسطورية فى مونولوج درامى يطرح الصراع بين « الفعل » و « الفكر » . وتقود القصيدة بطلها الأسطورى فى طريق تأمل يفضى به - فى نهايته - الى الرغبة فى الفعل ، برغم ادراكه لأعمق تعقيدات الحياة . وبمعنى ما - اذن - يقدم ريتسوس مراجعته لـ « هاملت » . فهناك :

.. الوعى جعلنا جميعا جناء .
ولهذا فالمظهر الأصيل للقرار
قد علاه شحوب الفكر .

أما بالنسبة لأوريست ، فالقرار ليس مقموعا بفعل الفكر، بل يقوى به . انه مشلول - بصورة مؤقتة - بفعل تأملاته ، لكنه - فى النهاية - يذبح « كليتمينسترا » ، ويقدم على ذلك لا برغم ادراكه الأعرق ، بل بسببه .

انها الوحدة التناقضية للتعارضات . فليس غريبا - اذن - أن يكون الأسلوب البلاغى المهيمن فى القصيدة هو « المفارقة » : (« حركة بلا حركة » ، « ضبابى ، لكنه محدد » ، « صرخة صامتة » ، « ما لا يعزى ، .. يعزى ») . ولا يمثل ذلك تلاعبا ماهرا بالألفاظ ، بل تحقق لغوى لمادة الموضوع . وهو ما لابد أن يوجه انتباهنا الى الطبيعة الثنائية والتناقضية للصور التى تنقسم - فى عمقها - الى نمطين . ثنائية محددة و / أو مدمرة ، فى النمط الأول تتجلى فى تشبيه لسان الجرس والجرس ، الذى يصف اغتراب اليكترا عن صوت عويلها :

وهى تتدلى هناك داخل صورتها

كلسان جرس ، وهو يقرع ويقرع الجرس .

وصوتها هو صوت الانتقام ، أو هكذا تظن . لكن أوريست - وهو يمضى تدريجيا الى المعنى الأعرق للأشياء - يدرك أنها « سجينه عدالتها الضيقة » . انها مفارقة أن الدوافع الطبيعية للفعل الانتقامى تسجن الذات ، وتحد منها . ولهذا ، فاليكترا الشابة انما هى عجوز ، وحزامها « يشبه شريانا بلا دماء حول بطنها » .

ويرفض « أوريست » أن ينحصر فى نفس الطريق . واذ يبحث عن « مخرج وأيضا مدخل » ، فانه يتوصل الى ذلك عن طريق النمط الثانى للرؤية الثنائية ، حيث الذات الفردية الراجبة فى الفعل (اللسان) تكف عن التصادم مع المحيط الضيق ، اللفظ - (الجرس) - ويتم استيعابها فى لانهاية ما غامضة وحافزة . وما ان يدرك أن النضال الانسانى كله - حتى قتل « كليتمينسترا » و « أيجيثيوس » - « يحفز الحياة » ، فانه يقوم - راضيا - بالفعل .

والصور - في هذا النمط الثاني - تجمع المتعارضات معا : السكينة والغليان ، الحركة والسكون ، والمتناهي واللانهائي ، والموت والبعث . فالليلة الساكنة - التي تكسرهما صرخات « اليكترا » - تشبه نهرا مظلما :

ينساب نحو البحر بقفزات لا مرئية
(ربما كان أحدهم يرمى أحجارا في النهر)
وفلاح يسير على حافة حقل
وهو يحمل تحت ذراعه الظل الذي رمته غيمة -
ظل يرسم مشهدا طبيعيا بعيدا للانهائية (
(فأر يهوى في الآبار ويغرق ،
لكن الآبار نفسها تعكس الكواكب
وهي تتحرك ببطء عبر السماء)

وفي جميع هذه الحالات ، يرتبط شيء ما صغير ، محدود ، ومدمر
في الغالب ، بشيء كبير ، غامض ، بلا ايذاء : نجوم ، غيوم ، النهر ،
الظلال ، مربوطين معا ضمن :

• ايقاع الحياة المتكرر •

في هذا السياق من السكينة والايقاع الأبدى ، والصمت الكامن في
النسق الذي ينتظم البذور والنجوم ، نلتقى - لأول مرة - بالبقرة
الصابرة المتحملة ، التي تساعد عيناها الكبيرتان الأرض على التآلف مع
الأبدية •

وعندما نلتقى بالبقرة مرة ثانية ، فأننا ندرك أنها - أيضا - وأكثر
حضورا من أى رمز آخر ، تتوج المتعارضات المتصارعة • فهي لم تعد
مربوطة - فى كسل - كما السابق ، بالأوراق والسماء الزرقاء والترربة
الدافئة • وما ان تتحرر من النير حتى نكتشف أنها :

مجروخة فى ضلوعها وظهرها ...

فهي - بذلك - مشاركة فى كل من الايقاعات الخلاقة للأبدية ،
والمعاناة المدمرة للحياة الأرضية •

أما ذلك النهر الآخر - النهر المظلم الذي ينساب نحو البحر مضطربا بفعل الصنحور التي ربما ألقتها أحدهم فيه - فقد تصعدت أحجاره إلى دماء ، ترتبط بالسيف الدامي الذي سيستخدمه « أوريسيت » . في قتل « كليتمينسترا » و « أيجيثيوس » . وفيما كان التقابل - في الثنائية السابقة - قائما بين الأشياء الضافية وغير الضافية ، فإن الايقاع المتكرر للحياة يفتقد - الآن - صفاءه ، بل انه - الآن - جرح كوني . مفارقة تتراكم فوق أخرى ، فما كان - في البداية - متناقضا لأنه جمع التعارضات الظاهرية معا ، يصبح - الآن - مزدوج التناقض . ورغم ذلك ، فالنهر المعتكر للحياة المنسابة أبدا ما يزال يستبقى خصائصه الشبافية . والدم النازف من شفتي البقرة قد تلاشى - بالتدرج - في ذلك الجرح العظيم ، كأنه ينساب .

متحررا ، بلا ألم ،
خلال شريان خفي للعالم .

وهذا الشريان الخافز للحياة هو المقابل لذلك الشريان الآخر ، الداوي بلا دماء حول بطن « اليكترا » . وبينما تظل « اليكترا » - في عماها السيجان - عدوا للمفارقة ، لأي شيء « غير منطقي » ، فإن البقرة - بحكمتها - تبدو وقد تعلمت ، تبدو قادرة على القبول في سكينته :

بأن دفنا لم يهدر ، أن لا شيء قد أهدر ،
لا شيء مطلقا قد أهدر في هذا الهباء العظيم .

وهذه الحكمة يتبينها الآن « أوريسيت » ، ثمرة لتأمله الطويل أمام بوابة الأسد . يدرك أنه يحمل هذه البقرة في ظله (نذكر ذلك الفلاح الذي يحمل ظل غيمة تحت ذراعه) ، يدرك - أيضا - أن الظلال اللينة ، اللامحسوسة لقرني البقرة يمكن أن تتحول إلى أجنحة مسنونة يتمكن بها من عبور الباب المغلق (فلنتذكر « اليكترا » - في المقابل - وهي معلقة في واجهة جرسها الفظ) .

لقد اكتشف أننا نشترك في الحقيقة الكونية (للشيء العظيم)
بأن نسمح لأنفسنا - من خلال التسأل - بأن نتعلم المفارقة أن كل

المغتصبين أبرياء ، « لأننا جميعا مغتصبون على نحو ما » . اننا نشارك في حقيقة كونية بالعمل في توافق معها . ذلك هو قدرنا . وقد يبدو أوريست وكأنه يفعل باسم تبريرات « اليكترا » غير المقنعة - العقاب ، العدالة ، الانتقام والكراهية - لكن تلك التبريرات لا تزيد عن أقنعة يرتديها كي تغطي ذاته الحقيقية . وحين يشارك في الموت ، فانه يختار - بحرية - « المعرفة وفعل الموت الذي يولد الحياة » .

ولهذا ، فالأفعال التي تشارك في كلية تتضمن التدميرية هي - الى حد ما - ايجابية . ولا يستطيع « أوريست » أن يقوم بالفعل بناء على أسباب غير مقنعة تقترحها « اليكترا » ، لكنه ربما يستطيع الفعل من أجل هذه ال « نعم » اللامنطقية ، التي تشرق غامضة ومنيعة فيما هو أبعد من كل فرد ، أو « ربما من أجل انتصار ما بلا فائدة على أول وآخر مخاوفنا » .

تلك هي الكيفية التي يحل بها ريتسوس الصراع بين « الفكر » و « الفعل » . فهو - من ناحية - يرفض القبول بالفعل الطائش ، فيما يرفض - من ناحية أخرى - السماح للمعرفة العميقة - المعرفة المتحققة بفعل التسامح - أن تشل بطله . وعلى النقيض من « هاملت » ، يقهر « أوريست » تردده بفعل الحكمة المأساوية، ويقوم بالفعل ، بينما صرخات « كليتمنيسترا » و « أيجيثيوس » تذوب في الايقاع المتكرر للحياة ، الايقاع الذي يتضمن - الآن - لا أصوات الطيور المغردة فحسب ، بل - أيضا - أصوات الصيادين المدمرين . ولهذا ، ففي نهاية المونولوج ، تستقر البقرة - وهي الصورة الأساسية في القصيدة عن المفارقة المحلولة - في منتصف بوابة الأسد ، وتحلق بعينين سوداوين في ضوء الصباح .

(٤)

أتخفى وراء الأشياء البسيطة كي تعثروا على ،
فان لم تعثروا على ، فستعثرون على الأشياء ،
ستلمسون ما لمسته يدي ،
فتمتزج بصمات أيدينا .

وكان سدا ما قد انفتح في هذه الحقبة من السلام النسبي ، التي تشبه هدنة ما ، أو استراحة المحارب ، قبل أن يعود الى الجحيم .
فيضان من الأعمال المنشورة - التي أجلتها المطاردات والمصادرات وظلمات الاعتقال . وفيضان آخر من الكتابة الجديدة التي أنضجتها المحن ويران المواجهة والتصادمات .

كتابة تخترق كل الاتجاهات بلا حدود ، وكل الأشكال والأزمان التاريخية والأسطورية . أعمال مونولوجية درامية تستمد من الأساطير الاغريقية شخصياتها المعذبة ، الأليمة ، ومناخاتها الكابوسية ، الفانتازية ، المشحونة بالصراخ والجنون وحكمة الزمن . وذاكرة متخمة بالتواريخ والرموز الحية التي تتزاحم بحثا عن مخرج شعري الى الضوء ، دون أن تستغرق البصيرة - أو تستلب - في الوراثة . انه الراهن ، الآن ، والبصيرة المعاصرة ، والعين التي تدور حول محورها - أفقيا ورأسيا ، في آن - بزاوية ٣٦٠ درجة ، فترى ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون .

ولا بحث عن أفعال بطولية خارقة ، ولا عن أبطال يتسامون على البشرى . فالبطولة - في ذاتها - كامنة في البشرى ، اليومية ، الاعتيادية في مواجهة الكارثة ، ومواجهة الحياة المأزومة . لا رومانتيكية ولا تجريد ، لا عدمية ولا ذهنية . احتفال دائم بالحياة كلها ، بشهواتها الانسانية العارمة ، بمكنوناتها التي تضج بالرغبات والأحلام والتشوفات ، دون تواطؤ على شيء . اضاءة - في نفس الوقت - للحظات الانكسار ، للعجز عن التواصل ، للأحلام المحبطة ، للبكاء الليلي في الوحدة الباهظة .

هنا - بالتحديد - تبدأ « الأقواس » ، تلك القصائد التي كتب ريتسوس مجموعتها الأولى عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، ولن تعرف طريقها الى النشر - أول مرة - الا عام ١٩٦١ ، والمجموعة الثانية التي كتبت بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦١ . أما ديوان « البعيد » ، فكتب عام ١٩٧٥ ، ونشر في مارس ١٩٧٧ .

ما يجمع المجموعات الثلاث هو وحدة الرؤية الرمزية والحيثانية،
سواء في قصائد المجموعة الواحدة أو قصائد المجموعات الثلاث معا .
رؤية شاسعة الفضاء داخل القوسين . هما قوسان يشبهان يدين
متواجهتين عبر مسافة ما ، تجاهدان من أجل التجامع معا والغاء المسافة،
من أجل اللقاء الذي يعيد تأكيد التواصل الانساني بين الذات المعزولة .
لكن ، بالرغم من أن هناك اشارات واضحة نحو انغلاق الفجوة بين اليدين،
فإن الاشارات تبدو محكمة - بصورة حتمية - بالفشل .

والقصيدة الافتتاحية في الأقواس الأولى - « معنى البساطة » -
تصلح تقديمًا للانشغالات الأساسية للشاعر . انه الاقرار بمسافة
مفترضة بين الأنا والآخر - قد تكون المسافة بين القوسين - واحتمال
الفشل في اللقاء . لكنه الإلحاح - في نفس الوقت - على ضرورة
المحاولة . وهي قصيدة يتم تأويلها - غالباً - باعتبارها عقيدة :

« مثل كافافي ، لا يمكن فهمي الا من خلال الأشياء المختبئة ، لكن
الأشياء التي أختبئ وراءها بسيطة ، وهناك مدخل لها عبر الكلمات عندما
تكون الكلمات صادقة : أيها القارئ ، حاول أن تعثر على من خلال كلماتي ،
لأنني أريد اللقاء ، ولا يهم مدى الصعوبة التي تواجهها من أجل أن يصل
كل منا الى الآخر - في الحقيقة ، انني أصر على اللقاء » .

انها إحدى قصائد ريتسوس القليلة التي تحمل خطاباً شخصياً .
ولن يظهر صوت « الأنسا » - مرة أخرى ، في الأقواس الأولى - حتى
القصيدة الأخيرة . وبين الأولى والأخيرة ، سنجد القصائد تستخدم ضمير
المخاطب ، وضمير الغائب ، وضمير المتكلم الجمع ، وضمير المخاطب الجمع ،
وأية صيغة نحوية أخرى من أجل تغادي « أنا » الشائعة في الخطاب الغنائي
أو الذاتي ، وهو ما يمثل شاهداً إضافياً على اصرار الشاعر على التخفي
في هذا المثال وراء موقف موضوعي .

وليس القصائد بسيطة - بالمعنى الشائع - رغم تركيزها
الظاهرة على الأشياء البسيطة ، نسبياً . فالأشياء البسيطة هي

« نسخة مصغرة » ، على سبيل المثال - تكمن فى امرأة بلا هوية ، وضابط بلا هوية ، وبعض شرائح الليمون النحيلة ، ومقعد قديم ، وكبريت وسيجارة وكوب شاي • ويمكن الفعل فى غياب الفعل : زيارة قد تفضى الى تلاق من نوع ما ، التقاء لا يحدث فى النهاية • وشرائح الليمون البسيطة تلك تصبح مجازا مركبا يمثل قلب القصيدة • وتواجه المرأة والضابط بعضهما عبر قطع الأثاث المحدودة ، مع أمل ما فى علاقتهما غير المحددة ، أمل يكفى - على أية حال - لمنع الزائر من النظر الى المرأة ، ولبيت الرعشة فى يده التى تمسك بالكبريت • أهو احتمال شهوانى ، لقاء محتمل لعاشقين عند أكثر المستويات جوهريّة ؟ بالكاد يبدو كذلك ، عندما تشكل شرائح الليمون - تلك التى أعدتها اليدان الحزینتان للمرأة من أجل الشاي - عربة صغيرة تستعيد عالم الطفولة بحكاياته الخرافية البعيدة ، بقدر ما تستعيد بعد المرأة / الابن فى هذا اللقاء بين امرأة غير مجددة العمر وضابط محدد - بوجه خاص - كشاب « له ذقن رقيقة » • وقيل ادراك هذا التوقع بالحب ، توقف الساعة دقائقها لبرهة ، وتوقف الوقت • بعدها ، تأجل اللقاء أيا ما كان مستواه ، ولحظة التلامس المحتمل ، سواء كان جسديا أم عاطفيا أم الاثنین معا ، تمر وتنقضى • وفى مرورها ، تستبدل عربة شرائح الليمون الخاصة بحكاية الطفل الخرافية بعربة لا مريئة تحمل الموت • أهو موت إمكانيات تلك اللحظة ؟ موت تلك التوقعات الغامضة ؟ أم انه نذير يموت الضابط فى معركة ما ، والقضاء على أى مستقبل له ؟ (كتبت هذه القصائد فيما بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ ، لتعطى - أحيانا - تلميحات قوية الى السياق التاريخى الأكبر ، الحرب الأهلية القاسية) •

والأسئلة العديدة المطروحة تتخطى الأشياء البسيطة ، دون أن تقدم القصيدة اجابة محددة على أى منها ، فلا نعرف سوى أن العربة التى تحمل الموت قد جاءت ومضت فى لحظة الغموض التى توقفت فيها الساعة عن دقائقها ، وأن الأمل فيما هو أكثر من مجرد لقاء على شاي قد تأجل ، وأن الوقت الآن قد فات على اكمال هذا اللقاء المرتعش بين رجل وامرأة يؤديان أحيائهما - دورى الأم والابن • ولا مجال الآن لتجديد الموت العبارض

أو الدائم • ويعود انتباههما الى مائدة الشاي ، المنسية بالعربة ذات العجلات الليمون المتوقفة في الجانب المظلم من الشارع – شارع الآمال الضائعة ، والتوقعات المستحيلة ، ربما •

والقصيدة التالية – « امرأة » – تمثل ما يعتبر المجزى العام لشعر ريتسوس ، ذلك الانشغال بالفقراء وهمومهم • لكن ما تحت السطح ينطوي على استراتيجيات وتوجهات تربط هذه القصيدة بالسابقة وبالقصائد الأخرى ، فتضيء الايماءات التي فشلت في تأسيس تواصل ما بين أشخاص منعزلين، والمحاولات الفاشلة لاختراق العزلة أو الوحدة ، أو تقصير المسافة التي تفصل بين اليدين اللتين تتواجهان في شكل قوسين • وعنوان القصيدة – المتضمن حذف أداة التعريف – يؤسس مسافة ما ، وانتفاء للشخصية ، على نحو ما يفعل الضمير المقابل (نحن) في السطر الثاني ، لندخل – بذلك – في متاهة الايماءات ، حيث تفترض الايماءة الأولى الصادرة من العنوان – الدلالة على « النساء » عامة ، اللاتئي يعنين بـ « تصبح على خير » ادارة الظهر • لكن ايماءة أخرى سرعان ما تتقدم كمحاولة لملء الفجوة بين « هن » و « نحن » : « يضعن الخبز على المائدة » كي يصبح حضورهن أقل ايلاما لنا • ونستجيب بايماءة مشابهة ، بأن نعرض اضاءة المصباح ، لأننا ندرك دورنا في خلق هذه المسافة : « كان ذلك خطأنا » • وبينما نشعل الكبريت ، تصبح النساء عامة – فجأة – مفردا ، « هي » شخصية ، لتبتعد عن ايماءتنا بعبء موت على ظهرها ، يشمل « موتك » •

وعند نهاية المقطع الثاني ، لا تحدث – فحسب – نقلة نحوية من الجمع الى المفرد ، في حالة النساء ، لكن ضمير المتكلم الجمع – المطابق لنا المذكور العام – يتقلص الى ضمير المخاطب المفرد ، كإشارة نحوية الى حميمية أكبر ، وهو ما يمتد الى مخاطبة القارئ أيضا ، « القارئ المنافق hypcorite lecture ، ان صبح التعبير • واذا تستدير النساء ويبتعدن الى عالمهن الحزين حيث تصرخ الأطباق في الرفوف ، فانك – أنت ، وأنا ، وشخص الشاعر – نرى أن حزننا ربما لم يكن شخيصيا كما كنا نظن •

إنه نتيجة لدورنا فى حياتها ، وإيماءاتنا الفاشلة ، أو حتى بفعل موتى العائلة وموتنا نحن الذى تحمله داخلها ، مثل هؤلاء الذين يمضون الى جبهة القتال ، وبفعل الدور الرمزي للمرأة كعاشقة وزوجة وأم تندبهم جميعا . وقد حولت الاشارة الى الجنود الذاهبين الى المعركة من ايقاع الدراما فى اتجاه السياق العام الذى بدأت منه ، والذى بدا التأشير النحوى - فى المقطع الثانى - وكأنه ينقذنا منه . وبالرغم من جسور الإيماءات الوقتية ، تبدو المسافة الفاصلة محتومة ومنيعه ، حينما نصل الى السطر الأخير ، على نحو ما كان الشاعر قد افترض فى السطر الأول .

هكذا يؤسس ريتسوس خطابا كليا عبر تكرار جزئيات مترابطة من قصيدة لأخرى ، وهو نمط أصبح أكثر وضوحا ودرامية - فى تأثيره - فى مجموعاته الأخيرة . وسوف تكشف لنا سطور قليلة من قصائد أخرى الملمح الكلى لاحدى الأفكار المركزية التى سبق استكشافها، فكرة الشخص الوحيد الطامح - والذى يفشل دائما - الى الالتقاء بالآخر المعزول . ومع الفشل ، فانه أحيانا ما يتوصل الى نوع من الاكتفاء الذاتى . من قصيدة « ربما ، ذات يوم » : « لكننى أصر على الرؤية وإن أريك ، قال ، / لأنك إن لم تر أنت أيضا ، فكأننى لم أر - / ساصر ، على الأقل ، على ألا أرى بعينيك - / وربما ذات يوم، من اتجاه مختلف، سوف نلتقى »، ومن قصيدة « اكتفاء ذاتى ؟ » : « تحت الأشجار كرسيان . لماذا هما اثنان ؟ / آه ، نعم ، واحد لتجلس عليه ، وواحد لتمدد رجلك » ، ومن « فهم » : « كفى تستطيع النظر خارج نفسك - دفء وسكينة . / لا أن يكون » أنت وحدك » ، بل « أنت أيضا » . ومن « نفس النجمة » : « ذلك الرجل يشك فى أن كل مرآة / بها امرأة واضحة ، أخرى ، محبوسة فى عريها - / تقريبا كأنك تريد أن توقظها ، لن تستيقظ . / تستغرق فى النوم وهي تتشمم نجمة . / ويستلقى يقظانا وهو يتشمم نفس النجمة » .

وفى الأقواس الثانية (١٩٥٠ - ١٩٦١) ، ثمة انشغالات واستراتيجيات ترتبط بالسابقة ، على نحو ما يؤكد اختيار الشاعر

للعنوان المشترك • فالفشل فى التواصل ، والتكوص الى اكتفاء ذاتى ،
حاضران - مرة أخرى - فى احدى القصائد القليلة التى تستخدم ضمير
المتكلم - « اكليل » - حيث يقرر الشخص المنعزل أن يتوج نفسه بالاكليل
المجدول من الغار ، والذى ظل محتفظا به من أجل الآخر الذى يحاول
- سدى - العثور عليه • وهناك - أيضا - فشلنا فى التألف مع حقائق
كل من الحضارة والطبيعة ، وضياعنا فى محيط لا يستوعب مقاصدنا
الطائشة والخرقاء أحيانا •

لكن الفكرة الأكثر إلحاحا فى هذه المجموعة تكمن فى عجزنا عن
الفعل ، أو فى هواجسنا ازاء الأشياء التى لا تحدث ، والأماكن الخاوية
والمغلقة • ففى « الوحيد » ، لا يكفى أن ما تم انتظاره زمنا لا يحدث - وهو
ما لا يتم تحديده - لكن هؤلاء الذين انتظروا شيئا ما أن يحدث يجدون
- وهم يخفضون الأعلام - أنهم متروكون وليس معهم سند وحيد، أو بديل
وحيد لما كان متوقعا ، مع افتقاد الحل البربرى فى هذا العالم الكافى
الجديد ، افتقاد التبرير • وإذا كانت الجدران - فى « الوحيد » - « تفوح
- بقوة - بالغبية » ، ففى « تعبير الحريف » ، تفوح الأشياء المحيطة بالحواء،
بالغياب ، بالموسم الخطأ ، لأن « الرطوبة الهائلة بدأت • ورحل
المصطافون » • ونعرف من « تقويم مكتبى » أن « الجميع ذهبوا الى الخارج »
فى منتصف الشتاء ، ليتركونا الى « ملامح الياس من الريح / فى واجهة
الباب الزجاجى للفندق المغلق » •

ولا يحدد ريتسوس مصادر أو أسبابا بعينها للاحساس بالهجران
والغياب ، بالجمود والصمت الذى يسود المشهد لديه فى الأقواس الثانية،
ولا يقدم إشارة واضحة لما يمكن أن يكون سببا فى تغيير الاحتمالات المرجأة.
والتوقعات المجهضة • والمدخل الوحيد الذى يتيح لنا التوصل الى رؤيته
للمستقبل ، وللکیفیه التى يمكن أن تتحول بها الأشياء ، يتحقق من خلال
قصيدتين من أهم قصائده فى « الأقواس الثانية » • وكل منهما تقترح
آلهة جديدة تحل محل القديمة •

فى القصيدة الأولى - « فى أطلال معبد قديم » - يضع ريتسوس
الآلهة القديمة والجديدة فى تقابل مباشر : « حارس المتحف كان يدخن

أمام حظيرة الغنم • / كانت الغنم ترعى وسط الأطلال الرخامية « • ويبدى الراعى والحارس القبول بالأطلال الرخامية القديمة كأشياء حياتية ، عادية ، كان الأطلال قد استنزفها الزمن من أية وشائج الهية ، لتصبح - الآن - جزءا من هذا العالم كنفس تلك الأشياء التى ترعى بينها • والواقع أنه لا يمكن الفصل بين الأشياء والأطلال : « جرت الغنم اليه كأن الأطلال الرخامية كانت تجرى » • وتبدو المرأة - مع الثياب المغسولة - طارئة على الآلهة القديمة ، وهى تعلق سراويل زوجها الداخلية على أكتاف « هيرا » • وبدلا من موكب تمجيد الآلهة ، نجد صيادين بسلال مليئة بأسماء وامضة ، متعددة الألوان - بل الأسوأ أن وشاح الربة المطرز فى أبهة قد تم تمزيقه لصنع ستائر ومفارش الموائد • وبدلا من الاحساس بالسخرية ، يملك المرء الاحساس بمنطقة ومناخ تم تنظيفهما من أجل بدايات جديدة • ففى التعامل مع الآلهة القديمة بهذه الصورة العارضة ، بهذه الألفة ، فى تحويلهم من أدوات غموض الى أشياء منزلية نافعة تتطلبها الضرورة ، يبدو أهل العالم الرعوى الحديث لا وكأنهم قد كيفوا ماضيهم القديم ، بل وقد فرضوا عليه الحياء ، كأنهم يهيئون لقدوم آلهة جديدة •

وسيجد هذا التفسير ما يدعمه فى قصيدة تالية - « بخور » - وخاصة فى سطورها الأخيرة ، حيث يبدو اشعال سيجارة كنوع جديد من طقس الهى ، من بخور جديد من أجل اله مجهول ، لا يبلغه أحد ، مرصود باعتباره « الههم تماما » (كى نميزه عن آلهة الآخرين ، عن آلهة التراث ، وآلهة الأعداء ، الخ) ، اله بلا اسم ، ولا تحديد • وعلى العتبة يتذكره الرجال ، وهم فى غمار الانبثاق من الأحياء المخلقة ، الزجاجية - فى المقطع الأول - الى الهواء الطلق ، فى طريقهم الى عملهم ، مفترضين - ربما - أنه اله جديد ما يشير اليه دخانهم •

ونصل الى « البعيد » الذى كتبت قصائده بعد خمسة عشر عاما من آخر قصيدة من « الأقواس » • ويتخذ المشهد الذى يطرحه ريتسوس خشونة وكآبة تتخطى تجليات أعماله السابقة ، غير أن هناك قوة جديدة

تنطوى عليها هذه المرحلة من رؤيته • فالقوة العليا المهيمنة - على نحو ما يفترض العنوان - هي المسافة، والصمت، وما يتعذر بلوغه ، والبطالة، أى كل ما تضمنته الأقواس الأخيرة، لكنه يصل - هنا - حدوده القصوى • ورغم أن قصيدة العنوان هي الأخيرة فى الديوان ، فإنها تنطوى على نغمة الابتهاال ، كصلاة ما الى اله يرفرف بأجنحة من أقواس ريتسوس ، وقد احتل - هنا - منصة مركزية ليتلقى التراتيل مباشرة : «أيها البعيد» • وتبدو الفجوة الفاصلة بين اليمين المجازيتين للأقواس وقد اتسعت الى ما لا نهاية ، اذ ان الخطر الأكثر حقيقية انما يأتى من « القريبين ، من القرب ذاته » ، واذا ان ما يستند اليه العالم انما هو شيء ما لا يمكن التسليم به ، شيء ما بلا ضمان ، يعيش خفيا فى عالم البطالة حيث تهيم الموسيقى •

ومعظم العناصر التى تؤسس للمشهد الجديد فى « البعيد » مألوفة منذ القصائد المبكرة ، لكنه يقدمها - فى هذا الديوان - بأسلوب متخلص من كل زخرفة ، ليحقق قوته فى نوع جديد من البساطة والاقتصاد ، لا عاطفية مباشرة، لا استعارات واضحة ، والتركيب الأساسى للعبارات ، والألوان الأولية ، والتفاصيل مركزة - فى تدقيق - من أجل خلق صورة بلد ينتابه عنف سرى :

الصوت العميق سمع فى الليل الأعمق •

فالفعل - فى قصيدة « فى اتجاه السبت » - قد تمت بمبالجته باقتصاد ، محض الحقائق العارية ، ولا تعليق • مشهد تم تصويره - بقوة - لأحلام رديئة ، لرعب تستعيده الذاكرة مع المخاطر والتهديدات التى تظل بلا حل • وربما كان الشخص المحورى - فى هذا المشهد الكابوسى - يمثل ضحية فى شرك ، يحاول أن يتخفى من قوى وأعداء غير واضحين ، ولا تحديد لهم سوى ب « هم » •

وتهديد الاعتقال والاذلال يطارد ضحية الكابوس ، حتى فى تلك اللحظات المنذورة للبهجة ، مثلما فى « الاعداد للاحتفال » ، حيث الشخص

الذى يحتفلون به فى اجتماع عام فى قاعة كبيرة ، لا يكتشف فحسب أنه ضائع فجأة ، بل يدرك أيضا أنه اذا ما استعاد نفسه ، واستطاع أن يحرك قدميه كى يمضى ، فان الحاجب سيقبض عليه .

وافترقاد الضحية للتواصل مع نفسه يتوازى مع افتقاد كلى للتواصل مع الآخرين فى هذه القصائد التى تلتقط فكرة اثنين يواجه كل منهما الآخر فى محاولة للتجاوز . لكن الحوار الجوهرى قد مضى لما هو أبعد من اللقاء عبر الكلمات ، على نحو ما يؤكد عنوان احدى القصائد : « حوار موجز » . فحتى السريـر الذى تواصل فيه الحوار ، تراه المرأة كـ « حيوان صامت ، متوحش يتأهب للرحيل » . والبعد الفاصل بين « هو » و « هى » فى هذا الديوان — يبدو غير قابل للعبور . انهما ميطان بالنسبة لبعضهما البعض . ذلك ما يبدو — حرفيا — فى « اكتمال تقريبا » ، حتى لو كان حوارهما يجاهد فى انكار ذلك . وفى أفضل الأحوال ، فهما يتواجهان كمشلولين ، مسترييين ، يرى كل منهما الآخر بعينه الزجاجية .

والقصيدة التى تقدم — بالفعل — صورة للاتصال الجسدى — « شروق شمس الشتاء » — تخبرنا بأن الشخص الثالث فى المنتصف ليس سوى تمثال، ويرى الثلاثة يتمشون فى « اللامبالاة المضيئة للموت » . وهذه الفكرة — فكرة موت اللقاء حينما يبدو ممكنا وضروريا — تجد خلاصتها المنطقية فى « مع ما يتعذر بلوغه » ، حيث الـ « هو » يصل الى ما يبدو وعدا أقصى بالاكتمال الذاتى .

ان رحلة الثلاثين عاما من « أفواس ١٩٤٦ — ١٩٤٧ » الى « البعيد » هى رحلة تطهير مريرة ، من تركيزه على ما يسمى بالأشياء البسيطة والايـماء المجهضة الى التركيز على الأساسيات العارية — لا الجرداء — والطقوس البدائية . لاختطابة أو انشائية ، لا غنائية ذاتية ، بل المجازى الذى يضىء — فى غموضه — مأساة الحضور الانسانى .

أيها الألبم اللانهائي
أيها الفرح باتساع العالم ،

كأنه كان يسابق الزمن ونفسه ، دون اطمئنان الى حريره ، أو كأنه
— بحدس الشاعر العميق — كان يدرك أنها حرية موقوتة كالقنبلة التي
لم يحن موعد انفجارها • وقبل أن تنفجر كان قد نشر ديوانه « شهادات »
على جزئين ، عامى ١٩٦٣ و ١٩٦٦ • تجربة جديدة من قصائده القصيرة
المكثفة ، التي يعيد فيها اكتشاف أركان العالم المختبئة ، ولحظاته الهاربة ،
وايماءاته السرية • وللمرة الأولى ، ينشر تقديمًا لـ « الشهادات » كان
قد كتبه بطلب من إذاعة براغ لبرنامج خاص عن الديوان :

« ان مهمة الشاعر ، فيما أعتقد ، تكمن فى أن يتحدث لا عن الشعر ،
بل من خلال الشعر ، حتى لو كان هو الأكثر ملاءمة والمرشح الأكثر
مسئولية عن تقديم خيط « ارياذنى » لنا ، الذى يمكن أن يقودنا الى السر
العميق لكيفية فعالية الشعر • مسئول ، نعم ، لكنه لابد أن يتحدث
بطريقته ولغته الخاصتين — ولغة الشعر لغة للتركيب ، فيما لغة النقد
لغة للتحليل : لغتان مختلفتان كليًا • ولهذا ، فعندما نطلب من الشاعر
أن يحدثنا عن عمله الشعري وليس من خلال عمله ، فاننا نطلب منه تغيير
الوظيفة • وفضلا عن ذلك ، كما قلت كثيرا من قبل ، فان « الشعر ،
كشعر ، يقول لنا الكثير والكثير وعلى نحو أفضل بكثير مما يمكن لنا أن
نقول عنه •

كيف — اذن — ولماذا يتوجب على الكتابة عن الـ « شهادات » ، طالما
أنك تستطيع التواصل معها مباشرة ؟ وحتى لو أردت سحب تحفظاتى على
المنهج التحليلي للنقد ، الذى يفرغ القصيدة على نحو يصعب اصلاحه ،
وقررت أن أستخدمه ، فاننى سأحتاج — غالبا — ستة صفحات للإشارة
الى العناصر التى تنطوى عليها ثمانية مطور أو عشرة فى هذه القصائد
القصيرة — مهمة مستحيلة بوضوح ، فضلا عن عبثيتها ، طالما أن التجربة

الجمالية غير قابلة - عمليا - للنقل : فهي تتطلب - ابتداء - ادراكها الخاص من قبل كل قارئ ، من خلال تجارب الحياة اللانهائية ، والمعرفة ، والممارسات ، و - قبل كل شيء - التوجهات الخصوصية .

بحكم الضرورة - اذن - فالسبيل الوحيد المتاح لنا هو اللجوء الى التبسيطات والتعميمات ، والتي ليست أكثر فائدة في المقاربة الحقيقية للفن ، أو يمكننا اللجوء الى تفسير تاريخي موجز لكتابة القصائد . وهو ما يمكنني القيام به استجابة لطلبكم الكريم .

لقد بدأت كتابتي لـ « شهادات » تقريبا منذ الوقت الذي بدأت فيه الكتابة ، أي عندما كنت في الثامنة من العمر . أعني بذلك أن أساسها قد أرسى منذ ذلك الحين ، بل وقبل ذلك بكثير . لكن شكلها الأكثر تحديدا بدأ في التشكل عام ١٩٣٨ ، في سلسلة من القصائد القصيرة التي تحمل عنوانا كاشفا « ملاحظات على هوامش الزمن » . واستمرت هذه القصائد - فيما بعد - في « أقواس » وفي سلسلة كبيرة تالية « تدريبات » ، الى أن تكثفت واتخذت شكلها النهائي ، وحملت عنوانها العام « شهادات » . وقد ظهرت - خلال هذه الفترة - مجموعات أخرى من القصائد تحمل عناوين مختلفة .

ولا أستطيع - بالتحديد - أن أقول كيف ولماذا حدث أنني - أنا الذي انكببت في البداية على القصائد الطويلة التركيبية بحكم الميل والتوجه - قد ارتبطت لسنوات عديدة باصرار وحب بالـ « شهادات » ، وماأزال مشغولا بها بصورة مستمرة ، جنباً الى جنب ما أعمل فيه أيضاً ما كان - مقلما لها اهتماما متميزا ومستقلا ، ولا يمكنني أن أقول لماذا أواصل كتابة هذه القصائد المقتضبة ، الابيجرامية . ربما يكمن السبب في أنني مقتضب بحكم السلالة (وليس ذلك مجرد تلاعب بالألفاظ) ، وربما يكمن السبب في نزوعي الى أن أثبت لنفسي وللآخرين أنني قادر على التعبير عن ذاتي بكلمة مكثفة ، محكمة ، وربما نتيجة للرغبة في الاستراحة بعد التوتر العالي المؤرق ، لفترات ابداعية طويلة ، ربما كان نتيجة لاحتياج ما لممارسة يومية في احكام شحن قدرتي الفنية الى الحد

الذى يمكننى معه أن أستخدم - مباشرة ، وبلا أخطاء - التجارب المتجددة أبدا للحياة فى الفن ، وربما يأتى من محاولة تكتيف تعبيرى ، كرد فعل على خطر الاسهاب والخطابية الذى يتوارى خلف القصائد الطويلة ، وربما كان نتيجة للاحتياج لتقديم استجابة بسرعة البرق للمشاكل الحيوية الملحة لعصرنا ، ولعله يأتى - حتى - من رغبة فى التوقف المفاجئ، ورصد لحظة منفردة قد تسمح بالتأمل العميق ، الميكروسكوبى لذاتها، والكشف عن جميع عناصر الزمن التى ربما تلاشت فى مدى محدود - ادراك للمخفى بمعنى آخر ، من خلال الرؤيا ، ادراك للحركة الدائبة خلال الثبات .

والقصائد - على أية حال ، وبرغم ما قد تمثله ، الى حد بعيد ، من مفارقة (وهى كذلك ، عن عمد) - انما هى شهادات حقيقية لتجربة عامة بقدر ما هى معينة . عامة ، حينما تتعلق بسؤال أصل الانسان ومصيره ، وموقعه فى العالم ، حتى وهو يواجه الموت ، والعلاقات الانسانية فى سياق الزمن والمكان الاجتماعيين والتاريخيين ، ومعينة حينما تتعلق بالفن وتقنيته ، كأن هناك مكانا متماثلا ، وان يكن خاصا أيضا ، للبحث والتعبير الاجتماعيين والوجوديين .

وكثيرا ما سوف نلتقى لا فحسب باتجاه للاقرار والتسامح المجرد باسم الادراك والوعى العميق بعناصر الحياة الغامضة ، المعقدة ، العسيرة على الفهم، المستعصية على التفسير واللامسئولة، ولا فحسب باتجاه للكشف المكتفى بذاته لعمق قد ينطوى على تبريره الذاتى ضمن جذوره الغامضة (الذى قد لا يحتاج - أصلا - لآى تبرير من أى نوع) ، بل سنلتقى - أيضا - باتجاه للموازنة الاجتماعية والأخلاقية ، للنقد والنقد الذاتى ، وباتجاه للمسئولية الجزئية والكلية عن اللحظة التاريخية الراهنة ، عن تاريخ الجنس البشرى كله ، وخصوصا - بالطبع - تاريخ اليونان .

ولا تتردد القصائد فى التعالى على الملاحظة والوعى الحياذى ، والسحر المريح للصمت والضبابية ، وأيضا الدائرة السحرية (أو اللولب السحري) لتقديمهم من خلال « روابط ذاتية الحركة » . ولا تتردد فى

الميل الى تحديد وتعيين الحديث ، والمحادثة ، وجتى - أحيانا - الى التحقق من الأسباب ، والشرح بل والاقتراح المحدد ، الحافز ، والتحذير ، والحل ، والاستنتاج ، أو النصيحة ، وبالطبع - ليس دائما ، وانما كثيرا - فوضوح الفن يمكن أن يسمح بالاسراف فى البوح ، أو بالحدلقة فى التعليم ، والحيادى - الذى مارس واكتسب تواضع الشعر - يمنح الشاعر الحق فى اتخاذ موقف ومزاج المعترف والكاهن ، والأخلاقى وحتى المعلم .

أما بالنسبة لنغمة « شهادات » ، فانها (عن عمد ، وبالغريزة) لا شخصية ، لا مبالية غالبا ، وليست - فى الحد الأدنى - عاطفية . ليست - فى الحد الأدنى - خطابية ، فيما تخفى أى عنصر مأساوى خلف تعبير حيادى لأعرف - على وجه التحديد - ما اذا كان على أن أسميه تواضعا أم عجرفة ، أدبا أم وقاحة ، حنوا أم ازدراء (حيث الخنو - كما الازدراء - جبن فى الأغلب) ، جرأة أم خوفا من سوء الفهم ونهجا فى الفهم ، اخلاصا مطلقا ومتواضعا أم قناعا مطلقا للامبالاة مدهشة وقولية يتعذر مقاربتها ، ورامها يمزق الهدوء الداخلى الانسانى نفسه بين وجهى الحياة والموت ، دون أن يتخلى أبدا عن نضاله من أجل الوجود ، واكتشاف ذاته ، والتعبير عنها واستدامتها ، ومشاركتها وتبريرها (حتى ولو كان ذلك من خلال كلمة مساوية للفعل) فى العالم .

لا أدري . ربما كانت كل هذه الأشياء تحدث بالتبادل أو - حتى - على التوالى ، جنباً الى جنب معاونة الأشياء البسيطة ، الواقعية ، المستعصية على الادراك والمهدئة (تلك المولدات الصغيرة للطاقة الانسانية النافعة ، تلك الأساطير اليومية البسيطة) ، التى تساهم وتشترك - لا اراديا - فى الأدوار الرئيسية فى دراما لا تخصها . لقد استدعيت لتؤدى دور « لا شئ يحدث » بالتحديد عندما يحدث كل شئ ، ويصاب المشاهدون بالذعر من كل ما يجرى ، ليرحلوا دون أن يروها ، دون معرفتها ، ليتركوا الشاعر متهما فى عزلة مطبقة ، فيما يغرقون - هم أنفسهم - فى عزلة أكثر سوءا ، عزلة بلا ومضة جل ممكن لها .

هكذا ، فالأشياء البريئة قد استدعيت كما لو كانت غير منجزة ، ومتسامحة ، أو كوسائط نزيهة (برغم أن حضورها يظل مؤثرا الى حد

بعيد ، على نحو غامض فى النهاية ، ورسالتها الخفية هي - على أية حال - رسالة قبول وتسامح) . وفى مواجهة الأشياء ، لا انحيازات لنا ، ولا اهتمام ذاتيا أو معارضات ، ولا نكن لها عداء أو احتراما (كما نفعل تجاه المبادئ والمشاعر) . فى ذلك ، يكمن سبب قدرتنا على احترامها ، والاعتراف بها ، والثقة فيها .

ذلك ما يتحقق - اذن - حينما يهبط الفن من التجارب العظيمة الى مستوى المكر والحيلة (كعنصر ضرورى فى تقنيته) ، وبالتى لا تزيد - فى النهاية - عن « ابتسامة بعيدة » ، عن طيبة ما ، وفهم ، واحتياج انسانى وعينى الى المشاركة ومحاولتها ، والصدقة المشتركة ، والاخوة .

وبودى أن أنتهز هذه الفرصة لألاحظ (رغم يقينى من أنكم قد لاحظتم) كم أننى كثيرا ما أستخدم - فى ال « شهادات » (وفى هذه المقالة أيضا) - بل وأغالى فى استخدام كلمة « ربما » وحرف العطف « أو » . وأنا متأكد - أيضا - من أنكم تعرفون الآن - سواء ما اذا أحببتم ذلك أم لا - أن ذلك لا يحدث بالمصادفة : انه أمر مدروس على نحو مطلق ، والزامى غالبا . لا أعنى - هنا - افتراض أن الضرورة الشخصية تتجاوب ، بأية حال ، مع التبرير الموضوعى الجمالى (اذا ما كان مثل ذلك التبرير موجودا) . ولا أنا طامع فى تبريرات : لا حاجة اليها ، وهى ليست بذات أهمية . فالموضوعية الشخصية تكفى ، وهى الموضوعية الوحيدة - فيما أعتقد . اننى أفسر - فحسب - بقدر ما أستطيع ، بعض ايماءات الشعر التى لا تتصل - كلية - بالقصيدة (وبالتالى، فهى ليست - كلها - تافهة) ، مدركا - مع ذلك - أنها تظل عصية على التفسير (هل ذلك الذى يظل - فى النهاية - عصيا على التفسير ، حتى بالنسبة للمبدع ذاته ، هو تحديدنا - ما ينتمى الى الشعر ، ويحفز القارئ تجاه الابداع ، أى تجاه اكتشافه الخاص ، أو - فى الحد الأدنى - بحثه الخاص ؟) .

ان الاستخدام المتكرر لـ « ربما » - اذن - فى كتاباتى ، وخاصة خلال هذه الأعوام الأخيرة ، ليس حيلة أو مجرد صنعة . انه أيضا تشككى الخاص ، تساؤلى ، واحتياجى الى اجابة . هو نوع من أداة حفر متاحة

من أجل بحثنا المشترك (بقدر ما هو ممكن) ، حتى عندما تنبع هذه
الـ « ربما » من يقين أو ترفع شخصي ، أو من ذم يتخفى في شكل تجاهل ،
أو سذاجة ، أو تواضع ، أو كرم .

وعلى نفس النحو ، فالاستخدام المتكرر لحرف العطف « أو » ليس
— ببساطة — تأكيداً على تعددية أبعاد الحياة والفن ، ولا مجرد نصيحة
بالاختيار بين بدائل مختلفة . فالأكثر أهمية أنها كشف لنظرات قابلة
للدراك ، ومقبولة على نحو عام ، وأنها تحذف وعياً أساسياً (أسىء تشكيكه
على نحو متسق ، أو تم تجاهله كلية) . وهذا الحذف الصامت — على
وجه التحديد ، فيما اعتقد — هو الذي يجعل مثل هذا الوعي قابلاً للدراك ،
حاضراً ، ومرئياً حتى بعده الأول والآخر اللامرئي ، اللامحدد ، اللانهائي .
وهو ما ينطبق — بلا فشل — على أولئك الذين أهلوا أنفسهم إلى حد ما ،
والأكثر على أولئك الذين تأهلوا تماماً .

مع الجميع قلت اننى أخشى أن أكون قد جعلت « شهادات » الغامضة
بالفعل ، كما يقولون ، أكثر غموضاً — هي غامضة ، بالتأكيد ، نتيجة
للوذوح الزائد ، والتحديد ، والحميمية .

والطعم الأخير الذى يتبقى فى أفواهنا من الـ « شهادات » ربما هو
العرفان الصامت تجاه الفن والفكر والفعل والحياة الانسانية ، رغم أنف
كل المحن ، ورغم الموت — وربما بسببهم حقاً . وربما كان ذلك — أيضاً —
عكساً أو تحويلاً جديداً للأشياء ، يجلب العزاء (أود القول : تغييراً
أو تحريفاً) ، على نحو ما يحدث دائماً فى كل كشف ، أى فى كل ابداع ،
حيث كل لحظاته المجيدة العارضة بالاحساس بالعنفوان ، وبهجته الساحرة
اللحظية (من قبيل الاحساس المباشر بالأبدية والمسئولية المشتركة عن
الكون) لا تخفى — بشكل كامل — شعوراً ما باللاجدوى والجهد الضائع ،
مهما كانت رغبته (أو عدم رغبته) كبيرة فى تحييده أو — على الأقل —
عكسه ، لتحويل خصائصه السلبية الى خصائص ايجابية ، ولتحويل
النفي المطلق الى تأكيد غير نهائى ، كلى . وهو — فيما اعتقد — ما تشهد
عليه « شهادات » فيما يتخطى مزاج أو سيماء السخرية والسخرية

الناقية • وربما سيكون ذلك - أخيرا - شهادة كل انسان ، فى كل زمان
ويمكان ، يحس بالشعر ويعمل فى مجاله •

(٦)

أيتها الرحلة بلا متاع
نار بلا فحم
جوع بلا خبز
عطش ونشوة بلا نبيذ •
فات الآن أوان الرجوع •

وفى ليلة ٢١ أبريل ١٩٦٧ ، ينتفض الكولونيالات على الحكم • ومع
آلاف المعتقلين من السياسيين والنقائين والمثقفين ، يعتقل ريتسوس •
ثلاثة أيام محتجزا لدى البوليس ، ثم الى ستاد « هيبودروم » ، أحد مراكز
تجميع المعتقلين قبل نقلهم الى الجزر التى تلعب دورا مزدوجا فى التاريخ
القسمى فى اليونان : دور المعتقل السياسى ودور المنفى •

أما ريتسوس ، فالى « ياروس : جزيرة الشيطان » • جزيرة جرداء
صخرية ، وبضعة أبنية متنسائرة ، مهجورة ، لن يأوى اليها المعتقلون
المنفيون، بل الى خيام تنتظر أكثر من ستة آلاف وخمسمائة معتقل منفى •

ومن « ياروس » الى « ليروس » فى سبتمبر من نفس العام ، حيث
وقع عنه تحريم الكتابة • فكرة يلون فيها مسوداته الشعرية التى
ستؤسس قصائده القادمة • مسودات مكثفة وخاطفة لايماءات الرعب
والهذيان ، والكلمات المتقاطعة ، أفعال بلا وعى ، ووعى كابوسى ، لكنه
ما يزال قادرا على تحويل المأساوى الى كاريكاتيرى ، ليمنح احتماله •

ومع اعتقاله ، نظم « لوى أراجون » حملة واسعة للمطالبة بالافراج
عنه ، ضمت « موروا » و « ناتالى ساروت » و « موريلاك » و « جينو »
و « سوبو » و « سولير » ، الى ايطاليا وألمانيا وسكندنافيا والبلاد
الأنجلوسكسونية •

ويعاوده التدهور الصحي ، فينتاب الكولونيلات العرب : « لست بحاجة الى لوركا يوناني » . وفي أحد أيام ديسمبر ١٩٦٨ ، يسمحون له بالعودة الى منزله في « ساموس » ، دون أن يكون من حقه لقاء أحد ، أو الاتصال بأثينا أو الخارج ، لا خطابات ، ولا مغادرة . نوع آخر من الاعتقال يحتفظ بجوهره الأساسي ، في شكل تقيض . ولن يتمكن من الذهاب الى أثينا قبل مرور عام من الافراج الشكلي عنه .

كانت الرقابة سيدة الثقافة في تلك السنوات . وقائمة المنوعات لا تغلت شيئا . وقرر الجميع الصمت الثقافي وعدم النشر ، ومن بينهم « سيفريس » و « ايليتيس » . وفي أوائل ١٩٧٠ ، رفعت الرقابة السابقة على النشر الى رقابة لاحقة عليه ، ليتحمل الكتاب تبعات النشر بعد صدور المطبوع . واتفق الكتاب على كسر الصمت بالمواجهة الجماعية : انه كتاب « ثمانية عشر نصا » للأدباء والمثقفين الذين رفضوا أن يخضعوا كتاباتهم للرقابة ، في صيف ١٩٧٠ ، عن دار نشر « كيدروس » . وفي شتاء ١٩٧١ ، صدر « نصوص جديدة » عن نفس الدار اليسارية ، صاحبة حقوق نشر أعمال ريتسوس في اليونان . وقد اعتبر استكمالا لـ « ثمانية عشر نصا » : ٢٦٣ صفحة من المقالات والقصائد والأعمال الدرامية القصيرة التي كتبها معتقلون سياسيون وضحايا لنظام الكولونيلات . وفي موقع افتتاحية « نصوص جديدة » ، نشر ريتسوس - لأول مرة - « دمار ميلوس » .

عمل شعري حوارى عن تدمير « ميلوس » على أيدي الأتنيين عام ٤١٦ ق م ، فيما يمثل مجازا رمزيا عن نتائج الديكتاتورية العسكرية في اليونان . ففي زمن العنف والارهاب الذي أشاعه النظام ، كان اليونانيون كأنهم أسرى في وطنهم ، كنسوة ميلوس . ورغم أن المساحة الغالبة من العمل تستعيد الذكريات الأليمة للضحايا ، الا أنه ليس عملا عن اليأس ، اذ تدرك نساء ميلوس - في نهاية العمل - أن « وطنهن » انما يكمن داخلهن ، وأن « حريتهن » انما تتحقق داخلهن . وبالرغم من السبعين والثمانين عاما ، فان النسوة يشعرن بالحمل ، يشعرن باستعادة الشباب ، وأنهن على استعداد للانجاب مرة أخرى . وسوف تعود هذه الفكرة - فكرة

العجائز القابلات للحمل والولادة - فى « الجسد والدم » التى كتبت عن انتفاضة طلاب جامعة العلوم التطبيقية فى أثينا فى نوفمبر ١٩٧٣ ، ضد النظام العسكرى .

وربما كان مشهد السفن التى تنقل المعتقلين السياسيين من أثينا الى الجزر - عبر بحر ايجه ، هو ما أيقظ فى ذهن الشاعر نهب ميلوس على أيدي الأثينيين فى حرب البلوبونيز . قوفقا لثيوسيديديس ، أرسل الأثينيون وفدا الى جزيرة ميلوس المحايدة سياسيا عام ٤١٦ ق.م ، ودخلوا فى حوار مع سكانها ، فى محاولة لاقتناعهم بأن يصبحوا عضوا فى الامبراطورية الأثينية يدفعون الجزية ، فيكون من حقهم - بذلك - الاحتفاظ بحريتهم فى التمتع بثرواتهم . وأوضح الأثينيون - لأهل الجزيرة - حماقتهم فى الظن أن باستطاعتهم مقاومة أثينا القوية ، وأن الآلهة سوف تحميهم ، طالما أنهم يدافعون عن الصواب ضد الخطأ . وقرر الأثينيون - فى غطرسة - أن السلوك الحصيف يكمن فى التخلي عن الشعور الزائف بـ « الشرف الذى يجلب على الناس الدمار » ، وطالبوهم باللجوء الى الجانب الأقوى . ورد أهل ميلوس بـ « لا » متحدية : « لسنا مستعدين للتخلي لحظة واحدة عن الحرية التى تمتعت بها مدينتنا منذ تأسيسها وطوال ٧٠٠ سنة . ان ثقتنا فى القدر الذى سترسله لنا الآلهة ، والذى حفظنا حتى الآن » . ويقيم ريتسوس « حوارا ميلوسيا » بين ثلاث نسوة عجائز ، قتل أزواجهن وأبناؤهن فى الحملة الأثينية ، وهن - الآن - مسبيات فى أرض أجنبية .

وبرغم استلھام أحداث تاريخية ، فان « دمار ميلوس » - شأن الكثير من قصائد ريتسوس - لا تطرح السياسى بصورة مباشرة . فبدلا من الحديث - بصورة محددة - عن الاعتقال والاقتلاع الجرافيين اللذين عاناهما ريتسوس - مع غيره - على أيدي النظام ، فانه يطرح فكرتين شموليتين لا تنفصلان : الوجود والاندماج . فاذا تستيقظ نسوة القصيدة فى بطن ، يتساءلن عما إذا كانت جزيرتهن موجودة ، وعما اذا كن - هن أنفسهن - موجودات ، أم أنهن قد متن ، ويشهدن الآن مرحلة البعث ؟ لكن هل يتذكر الموتى ويتكلمون ، أم كن نائمات لسنوات ، ويتذكرن الآن

الحلم الفارغ للحياة ؟ وفى مجرى الحوار ، ينتهى الى أنهم الآن موجودات ، وأن ميلوس لم تكن حلما بل مكانا واقعا . واذ ينظرون الى البحر ، يلمحون جزرا صغيرة تنبثق وهى تومض مثل الجواهر ، وتذوب الى رماد . ويعلقن على المشهد : « لكننا رأيناها بأنفسنا وعرفنا بوجودها ، / وعرفنا أن العالم كبير ، أكبر مما استطعنا رؤيته ، / وأننا لم نكن وحدنا » .

انها الحقيقة البسيطة - أنهم لم يكن وحدهن - هى التى تدفع النسوة الى الايمان بوجودهن . وخلال مناقشة حياتهن - فيما قبل الغزو - يتذكرن القحط القاسى ، والعمل الذى يقصم الظهر فى جمع الزيتون ، وقطف الكروم ، وصنع النبيذ . لكن هذه الحياة - بعملها الشاق - كان لها مباهجها . تتذكر النسوة الاحساس العميق بالرضا والأمان الذى كان يلفهن بعد تسديد الحساب الأسبوعى للبقال ، وهن مازلن يجدن زيتا يكفى لأسبوع آخر فى الجرة . يتذكرن الفخر السرى بالانتهاء من الغسيل ، اذ توضع رائحة الثياب المعطرة بالشمس والصابون والجهد . وما يستقر فى الذاكرة - بشكل خاص - انما هى أعمال المنزل الروتينية ، والاحساس بالنظام والانتماء الذى يتحقق من القيام بها : فى تلك الأوقات يتصالح كل شىء بالمنزل ويصبح واحدا : « الكنيسة ، والقمر ، والكلب ، والعندليب - الكل واحد » . يتمتعن باحساس واحد بالانتماء الى بعضهن البعض ، يتمشين الى ما وراء الحدائق ، يدركن الروائح المتميزة لكل عشبة وزهرة . هذا الاندماج فى العالم المحيط بهن يقدم شيئا ما أكثر عمقا من بهجة عابرة : انه يجعلهن واثقات من وجودهن ذاته . ادراك العادى والمألوف هو ما يؤكد لهن أنهم وجدن ، ومازلن موجودات . فالوجود والاندماج شىء واحد ، وهما نفس الشىء .

لكن الغازى يقتلع صحيته ، لينتزع الإنسان المندمج من العالم المألوف ، ليصبح الجوهر العميق لوجود الضحية مهددا بالزوال . فالآن ، وهن فى أرض أجنبية ، تعجز نسوة ميلوس عن تمييز الروائح القادمة من الحدائق ، حتى البحر بلا رائحة . وأيديهن لا تتعرف على يد الكنيسة ، أو مقبض الباب : كل شىء غريب ، أجنبى . لذلك ، فلسن بحاجة الى مرآة ، ذلك أنهم لن يبصروا ولن يتعرفن على أنفسهن . وحده الوجه القبيح للموت

سوف يعاود التحديق . فى ميلوس ، لم يستخدم المايا أيضا ، لكنها كانت - هناك - مسألة بسيطة من مسائل الخيلاء . كن يأكلن نفس الحبوب التى يطعمن بها دواجنهن ، فلم يكن لديهن أى دافع لتمرير مشط فى شعرهن : « لم نهتم - هل ينظر الحمام والمجاج فى المرأة ؟ » . وعبودية الحياة - هنا - مشابهة ، بصورة فادحة ، لعبودية الحياة فى ميلوس ، عمل شاق فى الحالتين . لكن فى ميلوس ، كان البيت ، والاحساس بالانتماء الذى أنقذهن من السقوط فى بثر النسيان .

ومع تقلم القصيدة ، تأخذ نسوة ميلوس فى التحول . فبعد العويل على المناخ القاسى وسنوات القحط فى الجزيرة ، يهدأن تدريجيا ، ويستدعين عنوبة الحياة التى عرفنها . وعند نهاية القصيدة ، يستعدن خصوبتهن من جديد ، ويلقن تحية الصباح على المارة . بذلك ، ينتهى العمل بشارة أمل ورؤية لمستقبل أفضل .

« دمار ميلوس » : أول صوت لريتسوس بعد ظلمات « جزيرة الشيطان » ، فى مواجهة ظلمات الكولونيالات . لكنها لم تكن أول كتابة شعرية وسط الاعتقال . فعقب تلقيه لرسالة من « ثيودراكيس » - يطلب منه فيها احدى قصائده غير المنشورة ليقوم بتلحينها - قام بكتابة ست عشرة قصيدة فى يوم واحد (١٦ سبتمبر ١٩٦٨) فى معتقله بجزيرة « ليروس » ستكون صلب ديوانه « ثمانى عشرة أغنية قصيرة عن الوطن المريب » . لكنه لن يسمح بنشره وترجمته الا فيما بعد (١٩٧٣) . وما ان قام « ثيودراكيس » بتلحينها ، حتى أصبحت عملا شعبيا جماهيريا فى اليونان ، ثم عبر العالم الخارجى .

لا هتاف ولا عويل . لا شعارات ولا خطب رنانة . انها « وردة بخور مريم » الصغيرة التى تشق الصخر ، والفجر الرهيف للربيع ، وتل منسوج من أجراس الماشية وثغائها ، وشرع أبيض ، والفتاة تنسج أشياء المهر ، والشباب يجدل السلال .

تألف كل أغنية من أربعة أبيات طويلة ، حسب التقليد الشعرى للأغاني الدارجة ذات الخمسة عشر مقطعا وزنيا فى السطر . وهناك الكثير

من الملامح المشتركة مع تلك الأغاني، لا في الشكل فحسب، بل - أيضا - في الروح . وأقرب مثال غنائي لها هي الـ « كلفتিকা Kleftica » ، تلك الأغاني الشخصية التي تحكى بطولة المقاتلين من أجل الحرية في حرب الاستقلال الوطنية اليونانية . تشترك أيضا في الروح - بالرغم من الاختلاف في الشكل - مع « روميوسيني » الملحمية . وليس من قبيل المصادفة أن الأغنية الأخيرة من الثماني عشر تتضمن « روميوسيني » في عنوانها « من أجل روميوسيني ، لا تبكوا » .

(٧)

رحلت السفن وتركتنا
بلا خبز أو نبيذ أو فحم
في منتصف البحر .

وفي ربيع ١٩٧١ ، يكتب « حجرة البواب » . وللعنوان دلالة على موقع ومنظور الرؤية والملاحظة ، بما يسمح باستقلال ما عن المشهد ذاته . فكل قصيدة - من قصائد الديوان القصيرة - مشهد مكتمل . وكل مشهد استعارة أو رمز أو مجاز . لا مجانية في الألفاظ ، ولا تسجيلية في رصد التفاصيل اليومية . كثافة مثقلة بالدلالات . وبين كل سطر وآخر فضاء تتقاطع فيه التأويلات . يختلط التفصيل اليومي بالفانتازي بالسيريالي ، بذلك العصى على التفسير . وغموض ضبابي شفيف يتخلل سماء القصيدة ، لعله غموض السماء اليونانية في ظل الديكتاتورية .

فما الذي رآه ذلك « البواب » الذي يحرس النوم واليقظة ، الحلم والكابوس ، والإيماء والإشارة ؟ وكيف رأى ما رأى ؟

بلد يشبه البقالة الفارغة ، التي مات صاحبها في مؤخرة الدكان . والهبوط يتم في الظلام ، في مكان بلا جدران ، بلا سقف ، بلا سلالم ، بلا أثاث ، كأنه انحدار مدرك في هاوية من هبولى ، حيث « هناك تكمن النقطة الوحيدة الثابتة » ، أو هروب مما هو أفدح من الهاوية . وفي الخارج : لا أحد ، « لا شيء آخر ، لا شيء آخر » .

ذرائع ، والتواءات ، وأقنعة • والموت خلاص من نزع ما ، حل ما فى مواجهة الغثيان والقرف • ولا اجابة للسؤال الجارح : « كيف كبرنا بين أيدي غرباء ؟ » • نوم ينقسم نصفين ، وحياة توزع أوقاتها – كالشظايا – بين الأماكن الغريبة • والوقت يتهشم الى فتات بفعل الصراخ والرنين ، ويرقة خضراء ، لزجة تأتي الآن « لتأكل المنزل ، والصور المعلقة على الجدران والجبل المتدلى من السقف » • والوهم بالقفز من شرفة الى أخرى دون تحريك سوى يد واحدة • فهل يكون متأخرا اكتشاف الفرق بين الورق والحديد ؟ وهل ينقسم العالم – بالفعل – الى اثنين لن يتوحدا ؟

والتعامل – برفق – مع الدب الأسود سينتهى بالسلاسل التى تتدلى من الجدران ، والسلاسل حول الرقبة • فهل يشبه المندبل الأبيض الذى تنساه العجوز ورقة بيضاء نسيها الشاعر بلا قصيدة ؟ وهل يساوى العثور على « شىء ما بلا أهمية » اللامبالاة باعلان الحرب ؟ هروب الى أعماق الذات ، وبحث – فى النفايات المهجورة – لا يمتنع سوى قشرة برتقال جافة وكسرة مرآة • انها الأشياء التافهة مدار البحث ، كأنها السبيل الى مخرج ما أو مهرب ، « أشياء كنا نعرفها تماما ، فأصبحت مجهولة وبعيدة » ، لن يفضى العثور عليها الى شىء ، انه البحث فى ذاته • أما النباح ، فلا يحمى أحدا « من القمر ، والزمن ، واللصوص » •

انهم يترددون برهة ، ثم ينحنون لالتقاط ما يرمى اليهم من أعلى • أما الوحيد الذى لا يمد يده ، فيخفيها فى قميصه ، ليدارى أنها مبتورة • والمشروع المبرمج المعقد (هل هو النظام الديكتاتورى) محكوم عليه بالفشل • ويظل ممكنا – فى « البرودة المظلمة للأعماق » – تحديد موقف وموقع « داخل العالم المعلق » •

« كل شىء قد استنفد » • لكن – وسط البقايا القديمة – يمكن العثور على « الجمجمة المقدسة لأحد حصانى أخيل » و« صنولجان البطريق » • بهما مغا ، كمجازين ، تتحقق المعجزة : أن يسمع الناس المحتشدون الأخرس الواقف على منصة الخطابة •

ومن بعد ، سيضى ريتسوس بعض أبعاد هذه التجربة :

« بمرور الزمن ، أتكشف - بوضوح أكبر فأكبر - أن عملي ، في تطوره ووظيفته ، يميل الى التحول (بلا قصدية، بلا تخطيط) الى سخرية وحط من قدر كل كابوس واستغلاله (سواء كان ليلىا أم نهاريا) ومن الموت على نحو أعم . وإذا ما كان ثمة عامل تحريري هنا ، فهو الراحة من كثافة الألم والخوف (الجسدى ، والأخلاقي ، والاجتماعي) ، الناجمة عن النزعة التهكمية المحكومة تجاه هلوساتنا « التاريخية » ضمن وحدة الشبحور بمشاركة أو تورط حقيقى أو خيالى - ضمن وحدة المصير المشترك .

ويبدو أن الشخص المغلوب يستمد القوة - مهما كانت موضع سؤال - من غالب ما ، خلال هذا الميدان الغامض غير المضبوط ، قوة « التثبيت البصرى » للكابوس ، أو تحديده فى مفهوم ، أو حتى تحويده - شئ ما يشبه خلاصا أو تحريرا . بذلك ، يتحول « المأساوى » الحتمى الى كاريكاتير (أو الى شئ ما مفارق - أى بعيد موضوعيا) - أعمق مأساوية ربما، الا أنه ينطوى على حل المأساوى فى تكشيرة بإسمة، أخيرة، ارادية ، تتحول أحيانا (خلال الشعر) الى ابتسامة حقيقية ، الى مزاح ، الى قرار أو حتى الى قوة لبداية جديدة ، ولفعل جديد . وليس ذلك فحسب نتيجة لتأثير الفعل الجمالى على القارئ أو المستمع ، بل ومن خلال واقع الفعل ذاته .

ويتحقق ذلك - بوضوح فى قصائد عديدة مبكرة من « شهادات » ، و « تدريبات » ، و « الحائط فى المرأة » ، و « إيماءات » ، و « الممر والسلالم » ، والأكثر فى « حجرة البواب » .

ففيها ، تذوب - بسلاسة - « الفردية » التى لا تطاق لما هو شخصى فى الكونى. الخلاص الذى يشمل كل شخص وكل شئ . فالافتقار الى التواصل والفهم ينتهى الى نحو وغفران ، ان لم يكن الى قبول وتوافق

بما يسمح بمزحة أو حتى سخرية الأصدقاء - كشيء ما يشبه أخوة سامية تمتد فيما وراء الاختلافات والاتهامات المتبادلة (انها كأننا نتكلم عن أخلاقيات للجماليات) . فأمام أناس حميمين لنا ، فقط (أم ربما أيضا أمام غرباء عنا تماما ؟) يمكننا أن نفصل أنفسنا عن أى ادعاء دفاعي أو تهجمي بالجدية أو الأهمية ، وأن « نمزح » معهم . ألامهم - وحدهم - يمكننا أن نقنع أنفسنا (كممثلين في نفس المأساة أو الملهاة) ، أو - حتى - أن نتعري ، فنخلع ثيابنا واحدا واحدا ، والشعر المستعار ، واللحي ، وقبعات الريش ، وحذاء التراجيديات ، والأقنعة ، وسيوف المقتنعين الخشبية - ممثلين في دراما حقيقية لم تكتب ، ممثلين يتظاهرون بإزالة ماكياجهم وخلع ثيابهم بعد العرض ، لينتهوا بنا الى الفكرة المعزية بأن « الدراما الحياتية » السابقة كانت - ببساطة - « دراما مسرحية » انتهت ، ولا يمكن تكرارها على الخشبة ، بل لا يمكننا اعادةتها على نحو أفضل .

ف « الواقعي » (و « واقع » الخيال والحلم) قد تحول الى « التخيلي » ، والاستبدادي الى محاكاة تهكمية ، « مسلية » . ليس دائما بالطبع . ومع ذلك ، فلدى المرء انطباع بأن اعادة التمثيل البسيطة لصور الكابوس المحرفة والمحرقة ، وصور الوجود الانساني المستعصى على التفسير (وتحولها ومسسخها وتحريفها) يمنح (لا الفنان وحده) اشباعا فائنا معيننا ، قد يعنى القدرة وامكانية التحكم والتحكم الذاتى ، بل والشعور الخالص بما لا يستنفذ ، بالقدرة على الاحتمال ، بل وبالنجاح .

ويعود التدفق الشعري الى مجراه المنشور . فللقصائد القصيرة دواوين « أحجار وتكرارات وقضبان » و « ايماءات » و « الممر والسلالم » . فقصائده التراجيدية الطويلة ، ذات الطابع الأسطوري : « هيلين » و « اسمين » و « عودة ايفيجينى » و « كريستوثيميس » و « أجاممنون » .

وفى يوليو ١٩٧٤ ، تنقشع الظلمات ، مع سنقوط النظام العسكرى ، بعد أن تكون قلب انغريست فى الذاكرة أبدا . وسيكون له أن

يعود - عام ١٩٧٨ - اليها ، ليكتب قصيدته « الجسد والدم » ، مهداة الى الانتفاضة الطلابية ضد الديكتاتورية العسكرية . ففي ١٧ نوفمبر ١٩٧٣ ، احتل الطلبة حرم جامعة العلوم التطبيقية بوسط أثينا ، ودعوا أهل العاصمة - من خلال محطة اذاعة أنشأوها بأنفسهم - الى الثورة ضد الطغيان ، والقتال من أجل الحرية . وأصبح ذلك الفعل الأول - واسع النطاق - في التحدى العلنى للنظام نقطة البداية فى المقاومة . وأرسل الكولونيلات دباباتهم الى الطلبة العزل . وبعد أن كانت الديكتاتورية تنكر كل الممارسات الوحشية التى ارتكبتها فى السر ، فان الطريقة المروعة التى سفك بها دم الأولاد والبنات - فى تلك الليلة - قد عرت الوجه الحقيقى للنظام .

ومنذ طبعتها الأولى عام ١٩٧٨ ، أعيد نشر « الجسد والدم » فى أكثر من خمس عشرة طبعة . انه نفس العام الذى شهد صدور سبعة دواوين أخرى : « عسكرى المرور » و « البوابة » و « امرأة مونيمفاسيا » و « الرائعة الرهيبة » و « فيدرا » و « اذن ؟ » و « مطرقة الباب » .

وحتى عام ١٩٨٠ ، سيكون قد صدر له ثمانون عملا شعريا ، وسيكون قد ترجم الى اليونانية أعمالا لألكسندر بلوك وأتيلا جوزيف وماياكوفسكى وناظم حكمت واهرنبورج ونيقولا جين وغيرهم .

وحينما يطرق الموت بابه فى ١١ نوفمبر ١٩٩٠ - عن ٨١ عاما - سيجده مثقلا بالزمن والنياشين : « كم من الآباد أحمل فوق أكتافى وفى جسدى وروحى . لقد عبرت ميتات كثيرة ، وهأنذا أموت أخيرا وأنا أحمل بعض الأبدية » .

القاهرة

الثلاثاء ١٦ يوليو ١٩٩٦

أغنية أختي

الى أختي لولا

فى المرايا المشوهة للدموع
تهشم وجه الأبدية الساكن
لكننا ما نزال نسمع بداخلنا
• هممة السكينة •

أختى ،

على أن أقف منتصباً فى مواجهة الشمس
وأرفع أعمدة شعري نحو الفضاء الأزرق
فلعلك تتمشين فى الأمسيات
مبتسمة بجوار « ايوريديس »
تحت سماوات مترعة بالنجوم
فى أصياف لا تنتهى •
لكننى ، يا أختى ، لا أستطيع فعل المزيد •
فبالنهاية حطمت قوسها الساطع على حاجبى
وأنا أدور حول نفسى فى اللحظة الأبدية
مبعثراً وحسبياً •
صوتى انهار •
وفكرى قطف زهوره الأخيرة •

• بالنشيج وحده أنطق أغنيتك •
فلا الألم ولا النشوة يجرؤان بشفاه دامية
على التفوه باسمك •

على نضارة السماء تركع الرحمة
للتوسل على قدميك •
وحمام أحلام الطفولة الأبيض
يخلق خفيضا في سهول ابتسامتك •
وتأملات الحكماء ما بلغت أبدا
حواف عظمتك الجلييلة •
والشعراء الذين ذابوا في الضوء
يعترفون - في ضياء وجهك - بخواء القصائد •
وحده الصمت العظيم ، بزنبقة في يده ،
يلمس في رفق ظهرك المحتنى
الذي رفع الى سدة الرب صرخات الرجال
فيما الليالي الزرقاء القاتمة ، بنجومها المنتحبة ،
كفت - من الندم - عن الحركة •

أختي ،
ها أنا أنشر جناسي
أنحنى وأقبل أطراف قدميك الحافيتين •
لعل عقلي أن يعرف السكينة
لعل أغني الترنيمة المناسبة لك ، يا أختي ،
يا أخت كل العالم •

يداك البيضاوان اللتان غطتا جراحنا بالمر
تلتويان الآن مربوطتين خلف ظهرك
في تقاطع مع جسدك كأنهما ، يا أختي ، يدا لص •

وجسدك النحيل مجلول في العباءة الرمادية للسعار ،
وعيناك قلعتان من زجاج خاويتان
حيث تهيم - ضائعة - أشباح الماضي •
أختي ، كيف تتخلي عني في منتصف الليل
لتبعثي دون مصباح
وتعثرى على آثار خطواتك الضائعة ؟
فلتغمريني أيضا في نفس الظلام
لعل لا أسمع بوق صرخاتك
التي لا تحصى المقابر التي لا تحصى •
فجري في اللانهاية عيني
لعل لا أرى يديك المربوطتين •
فاينما استدير لا أرى سواك •
أستجدي رحمة الجمال أن تهبنى قطرة ندى •
لكن ما من مجيب لتوسلات المقهورين •
غبار أصفر من ورود ميتة
تساقط ثلجيا على الحداثق •
والشاطئ الصامت انسحب في الخسوف
والربيع نام ووجهه المضيء مخفى في يديه •
أين الصمت الآن بنومه الصافي
بنشوته الثلجية ووروده الداوية ؟

أختي ،

لم أعود شاعرا
لا أتنازل بأن أصبح شاعرا •
أنا نملة شوهاء ضلت طريقها في ليل لا ينتهي •
أنفخ في جمرات أبريل الخامد
فلا أجد شرارة تشعل النار القديمة •
لقد وزنت كتوز القرون في راحة يدك النحيلة •

وجرت الجبال الى حيث استرخى الشعراء .
 وأنا لم أعد شاعرا .
 أعرف أن الشعراء
 لا يلوثون الأبراج العاجية للمدن بدموعهم .
 انهم يمنعون النظر ،
 ونظرتهم المجلقة موجهة بلاشبهة ،
 حتى ليتمكن أن يحصوا ومضات الضوء ونبضات الكون .
 لكنني ، يا أختي ،
 أمعن النظر وأنا أعد دقات قلبك وأنفاسك .
 أقف ، كبرج معتم ، وسط القذائف المدمرة الوامضة
 والمس - بلا تردد - حده السيف .
 أقواس الضوء خبت تحت رموشك .
 وما من شيء آخر يحيا خارج الدائرة الجنائزية
 التي ترسمها عيناك على العالم .
 لا أريد طبول الانتصار
 لإعلان مجدى فى غابات الربيع .
 فابتسامتك تكفيني .
 ونبع عينيك يستطيع أن يطفى عطشي
 ويدفع حياتي الى الازدهار .
 كانت لدى سترة جميلة تدفى ساعاتي .
 كانت لدى صحبة من قصائد تكلمني
 فى ليالى الحملات الطافرة .
 وأنا أجلس صامتا ووحيدا فى هذه الصباحات الضائعة ،
 مهيبا أنصب خيمتي
 على حلم بالترحيب اللازوردى
 الذى يعده لى أصدقائى المجهولون
 وسوف أحرق فى سهول الفجر
 من السطح الطحلبى لبرج الجرس المغطى باللقاق البيضاء .

أطفال شقز في عيونهم ذهول رائس
سوف يفتحون العهد المخطوطة لأغنياتي .
(كم من ابتسامات استدعيتها في وحدتي المزيرة
من أجل نهجة الآخرين !)
آه ، للحاشية التي انتظرت دخولي الى القدس .
كمسيح صامت أسمع أبواق السماوات .
التي تنبأت للشوارع المغطاة بالسعف
والصبر الذي لم يخذلني في عذابى الحارق .
لكننى ، يا أختى ، لم أعد أعرف .
كيف أنتظر وأتوسل
أنصتى ، فهذا المساء
الذى ينسج غلالة وزدية فوق الحدائق
يعيد الى روحى القديمة .
تغريد الطيور ينتهك حدادى اللائق .
أختى ، فلتطمئنى ،
فشلالات الصداح لا تسعد حزنى .
وأنا مقيم على الوفاء فى ذراعى حبك
لم أعد شاعرا ، وأنا موجوع .
فلتغفرى لى ، يا أختى ،
حزنى هذا الذى يحيا خارج حزنك .
أختى ،

دائما ما كانت غيمة تظلل رموشك .
وأنت تنحنين على الشرفة
- حتى وأنت طفلة -
كنت تحديقين فى البحر
فتنشرين الحلم بعزلة لا نهائية .
وكنت تطعمين قلبك بأوراق الخريف .

لغز ظل الأم انعكس في عينيكَ •
والضوء الشاحب لوجهك
ظل باقيا على الأرض في بيتنا •
لم نرك أبدا تبكين •
على صفحتي وجهك وخدكما
ألمحت الشرايين الرهيفة
- خطوط من ضوء لازوردي -
ألى حمى شفتيك الموضدتين •
(كم من مرة - وأنت نائمة -
انحنيت عليهما لأقرأ شرك) •
مفعمة بالحب والحنو
كنت تضمدني جراحنا في صمت •
صمتك قال كل شيء •
وفي أمسيات الشتاء
كنت تمشين وحيدة في الغابات
لترعى العصافير العارية ،
لتدفئي الحشرات المثلجة •
قطرة قطرة ، لملت داخلك
دموع الفقراء والمقهورين •
وعندما انهار بيتنا ظللت منتصبه ساكنة
- كظل للسيدة العذراء -
لترينى النجوم عبر ثقب السقف •
الآن ، انكسر صمتك
وفي الرعشة الصغيرة التي أخفيتهما
سمعت صراخ المحيط •
أختي ، ما من حجر ظل لي لأنحني عليه •

مازلت أمشي في قعر الزحام
في شوارع بلا شبها •
لا أحد •
الأطفال يلعبون دون حدس بالأجراس
التي تدق بعيدا فتوقف دمهم •
والناس يمكن أن يواصلوا الضحك
ويمكن لي أن أسمع حديثا يدور عن أشياء أخرى
- مراكب التجارة تمر بالقرب من الفئار الوحيد في البحر •
ومن واجهات القصور ترن الساعات :

لا شيء ، لا شيء ، لا شيء •
البعض يقعون في الحب بالمصادفة ،
البعض يفسرون الأحداث ،
والبعض يحتفظ بالكتب ، يحكون عن النساك المهزولين •
القطارات تحمل ضبابا وأشباحا من محطات مهجورة •
الزنايق تنفض بقايا داكنة الزرقة
لحلم غارب عن جبهات حجرية •
لا شيء •
وهذا الأريج الواهي لذكرى الطفولة
ذوي سدى - بلا سدى •
لا أحد يسري •
غشاوات من رماد تغطي الأرض •
يارب ، فلتغلق عيني ،
فلتعقد ذراعي
ولتطرحني في رحي الريح •
متعب حتى النخاع وأنا أهوى في الهاوية ،
وسرعة السقوط تصفر في أذني أغنية الارتياح •
أغلقوا النوافذ •

فوقاحة الضوء تعشى عيوني •
 كفى حديثا ورديا لا يفيسه •
 صمت الأم يأتي بيدك الى صفحتي وجهي •
 وعلى رأسى العارية تلقى غابات الخريف بظلالها •
 أختى ، أنا نعبسان • فأين يمكن أن أستريح ؟
 أين يمكن أن أنام ، وأنا بلا سرير ؟
 الفجر المريض يعثر على مصباح سهري
 مشتعلا مرة أخرى •
 وساعة المساء فاجأتني مبتعدا عنك ، يا أختى •
 جمال جليل نقر على كتفى بيد حانية •
 وعلى فجر الأفق شعلة وردة منسية •
 والذرى الناعمة تحمل سلال البنفسج
 الى الأقدام الشفافة للراحة •
 وأنا أمسك فى مريلتى بمصباح وليد •
 وأغمر روحى فى عينيه الواهنتين •
 أحرق فى السهول
 مستشفا - فى هدوء - سكون المساء
 وأحيى أرواح الأشياء •
 وخلف أشجار الكمثرى المزهرة
 يرقبني ظلك الأسىيان •
 لم أنسك ، يا أختى •
 أعي الطبيعة من رحمتك •
 أوزع الابتسامات على الخطوط والأشكال
 المنيرة بضوئك القدسي •

لكن ، وأنا أجمع لك باقة من زهر الربيع ، فانك يا أختى ،
بعينين مسعورتين كسيف يومض
تنيرين القبة الزرقاء ،
لكنك لا تدريين أن الأشياء الحية التى ترينها منعكسة هناك
تستعيد صورتك اليك
خلال طبقات من الصمت والذكرى •

أختى ، وعدتك بأن أجىء لك بالماء الأبدى •
وعدت بأن أرمى بالشمس عند قدميك •
الآن تصرخين : « أختى ، عطشانة •
فأين الماء الأبدى الذى أطفىء به عطشى ؟
أختى ، بردانة ،
فأين الشمس التى أطفىء بها يدي ؟ •
وأبقى بلا حراك ، بلا حيلة •
أنا الذى طفت بالسموات
لا أستطيع تغطية شبر واحد من الأرض •
وتحت الثلوج أسمع جذور حديقتنا العجوز
توثقنى الى الأرض •
نسيت كيف أمشى •
أنحنى على هبولى روحك ، مفعما بالرهبة •
تتصادم النجوم فى أعماق عينيك
وتدمى قلبك معارك الأرباب •
فكيف يمكن تشكيل احتراقك
فى سكون منحوت بارد ؟
لقد آمنت ذات مرة بالسماء
لكنك كشفت لى أعماق البحر ، بمدائنهم الميتة
بغاباتها المنسية ، وأصواتها الغريقة •
والآن ، غاصت السماء - كنور من حريق - فى البحر •

ويدي - التي ابتنت لك جسرا على الهاوية - تداعت •
انظري الى •
بأى عرى وبراعة أستلقى أمامك •
بردان ، يا أختي •

فمن سيأتى لنا الآن بالشمس لتدفئ أيدينا ؟
أنصت ، صامتا •
لا أحد يعبر طريق الليل •
والنجوم غرقت في العينين الصديقتين •
للسر المتحول الذى يتأرجح على حافة مغارك الظلام •
يداك المقيدتان تسدان طريقي •
وصوتك يتمشى وحيدا فى ممرات الليل •
وسيفه الطويل يرتطم بالقمرميد •
فات الأوان •
لا الحياة تتقبلنى ولا الموت •
قال أين أمضى ؟

مخطيء يا أختي • فلست ربا •
لا أحدد أى شيء •
ونارك بخرت قوتى حتى الخمود •
ومثلما تنفضين الغبار الذهبى للضوء عن رموش الكون •
حدقت فى صلبان الانسان العظيمة •
التي تنتصب فى أفك المسائى •
وأحببت الحيزانى •
الذين يعبرون صامتين - كقطبان بيضاء مختومة على الجبين •
مختومة على الجبين بخاتم أحمر •

قرأت تاريخ العالم في قطرة من دمك •
آه ، يا شعبي ، آه ، يا أخوتي وأخواتي ،
يا أخوة وأخوات أختي ،

في البحر اللانهائي لقلبك
تغرق الأحلام بكل أشرعتها ،
مع جراءة الأفكار والتأملات اللامبالية للأرباب •
كم من رحلة قمتم بها !
ولم تحضروا معكم صورة واجدة للزدهار
لتزينوا بها بيوتكم ،
صدفة بحرية واحدة
من تلك التي تطيح بها العواصف على الأرض
تذكارا لامعا ومفتاحا موقعا
ليوصلد أبوابكم عندما تهب الرياح في الليل •

تظل عيونكم أبدا محبوسة وبريثة -
كقطرات مطر ملونة بالصمت والشك •
لا ملجأ لكم •
تموتون بلا بعث
بلا شفاه وردية لطفل تنطق باسمكم من جديد
تحت السماء الوديعه لمايو الجديد •
لكنني رأيت ذكراكم ترفرف كحمامة مهيبة
على كتف أختي •
أخوتي وأخواتي •
فلتستقبلوا الأبق في صدوركم الواسع •
فيالدموع أغسل أقدامكم الجريحة •
بالدموع أنظف يدي من تراب التعالي •
لعل أكون جديرا بتقبيل شفيركم •

أختى ، تعالى لنتكىء كطفلين عليين
على الحديقة الروحية التى غرقت داخلنا ،
لنلتفت الى الشذى المتلاشى
الذى ظل منسيا فى ركن معتم من قلوبنا •
... وفى ليالى الصيف
سوف نرى - بمفعمين بالبهجة -
البدر يشرق على شاطئ مسقط رأسنا •
والطريق الفضى سوف يحملنا
الى الحفيف اللازوردى للكون •
وستكون أمنا بجانبنا
ملاكا أبيض فى الليالى البيضاء •
نسمع صوتها البعيد
والحفيف الناعس لجونلتها
ونحن نغمض عيوننا فى نوم مليء بالنجوم •
آه ، أيتها الحماية العذبة التى سهرت بجانبنا
وهى تدفىء طيور أحلامنا العارية •
لننا ازدهاز الضوء
وهربنا ، يا أختى ، بين السماء والبحر •
... وبعد ذلك ، الأبواب المغلقة والنوافذ الجامدة
كل سابق تغير •
صوت الأم ميت •
وحيدان ، اليد فى اليد ، فى مدائن مجهولة -

متسولين صغيرين ، مع حلمنا الدافئ، تحت سماء متكسرة •
لم يعد لدينا مأوى ولا عكاز •
لكننا ما نزال نعرف كيف نكون محبوبين ، وكيف نحب •
عندما أتعب أسبتك عليك •

وتثبتين نظرك في نظري
تأتين لي بشقائق نعمان ذهبية
من شقائقك الى حلمي •
أختي ، تعالى مرة أخرى
وقبلي جبينى المشتعل •
انظري ، ها أنا أفتح لك كوة ضوء صغيرة وشعاع مائل
يرسم الخط الخارجى لظل وجهك •
فلتدفعي عنك الليل ، ولتأتى الى
وسياخذ كل منا الآخر - كأنذاك - يدا بينه
ونطوف خلال مدائن باردة
- متسولين صغيرين بحلمنا القديم ،
- أميرين عظيمين للحب •

هل تذكرين ؟
ذات مرة أعطتك أمنا ثوبا قرنفليا
ومظلة قرنفلية صغيرة •
وكنت تتسلقين منحدر التل المزهر
فى صباح ربيعى ، أثرية شفافة -
غيمة قرنفلية من ضوء •
وكنت تحديقن فى السماء
كان شيئا ما من أعلى كان ينادى عليك :
الضفائر الحزينة لشعرك الفاحم
تنسدل وحيدة ثقيلة على ظهرك النحيل •
كنت خائفا من أنك - فى وقت ما - ستتلاشين
مع الضوء الوردى فى الغروب •
آنثى ، كنت أجمع أصدافا لامعة
وحصى ملونسا على شاطئ جزيرتنا

كى أرى عينيك تبتسمان
 وأفتن قلبك الذى كان يذوب - صمتا - فى حزن العالم .
 لكنك لم تعرفى كيف تضحكين .
 وكنت أصنع أجنحة من دموعك
 لأمضى بعيدا كى أجيء لك بقلع سماوى
 لأحرر صمتك .
 لكنك لم تعرفى كيف تأخذين .
 كنت تعطين . فقط تعطين .
 كل مواهبك .. كنت توزعينها
 لتبقى يداك خاويتين .
 أحنيت رأسك - طائرا أسيانا ، فى جناحك المعتم
 وغنيت الغنوة المدهشة لكل العالم الجريح .
 أختى ، فلترفعى رأسك .
 أنحنى بجوارك وأجىء لك بفجر طفولتنا
 لعلك تستنشقين ملوحة جزيرتنا ، ورفيف المساء
 وترسين بجانبى ،
 عابرة سديم الاشتياق الى البيت .
 عودى ، يا أختى ، الى بتليهم الصغير
 الذى حملنا جميلا ومتواضعا
 ولسوف ترين أننى سأريق أحلام القديس
 التى أخذتنى بعيدا عنك
 وسأظل بجوارك الى الأبد - زيزا بسيطا
 لأغنى لك فى أمسيات الربيع .
 ألا تسمعيننى ؟
 رفضنى الجميع ، ورفضت كل شئ .
 ولا عزاء لى حتى فى الفكر .
 فكل ما أجببت

أخذته الموت منى والجنون •
وبقيت وحدى ، تحت أنقاض سمائي ، أحصى الموتى
جرفت الريح من طريقى آثار خطى الرب الطاهرة •
لا يمكننى العثور على الموت من جديد
فأحبائى الموتى أعادونى الى الحياة لأبكيهم •
والآن ، ما تزال الطاحونة المكسورة تدير أجنيحتها
فوق السهول المحصورة ، فى سكون سماوات المساء •
آه ، هذه الأجنحة التى تمس رموشى بالحركة البواهنة !
الصفحات

وأتبع أمرها الغريب ، بلا ارادة ولا نسيان •
فلتتم - فى النهاية - تلك الأجنحة
التي تشكل الملامح المتعبة لطيور جريجة
فى غيوم الخريف الأبدي الكابية •

يا لها من برودة تستقبلنى بها
الأصوات والألوان هذا المساء •
يجر جر الغروب تحيته الذهبية على أكتاف الأشياء
فما الذى يريده هذا الضوء الوردى ؟
لم هذا التبرج فى الاحتفال اللامبالى ؟
لم هذا الاستفزاز لى ؟
الأشجار والصمت اتخذوا سمى مغرورا
لخطباء يتحدثون أمام تماثيل عمياء •
آه ، كم أكره الغيوم الناعمة
التي تتعلق ساكنة مخادعة فى الضوء الراضى •
ألا يعرفنى أصدقائى القدامى ؟
لا ، لا حاجة بى لشيء •
لا تليق الشفقة على بى •
أقضم شفتي وأشرب دمي •

اننى أحتقر جمالهم الميت •
— أيتها السماء ، ما الذى تتباهين به ؟
أنا الذى انسحقت تحت أقدامك
سأتخطى جمالك البارد بأغنيتى الدافئة •
أختى ، لقد تركتنى لتستندى على قلبك
وتنصتى الى نبض الناس •
وحياتى تواصلت تحت سماء عينيك •
وكنت تجيئين — محبة رقيقة —
فى الأمسيات التى كتبت فيها — وأنا أنحنى صامتا —
قصائد الغاضبة عن حروب الضوء والدم التى لا تنتهى •
أحسست بحضورك خلف الليل •
وغطت سطحى البارد شجرة الساعات الحانية
عندما سمعت وقع أقدامك •
كنت تبتسمين
فتأتى كل السماوات الى غرفتى •
وانعكاسات لازوردية ترتعش على الجدران
وذكرى بيتنا تستثير قلبى
عندما أعود مثقلا بتجوالات الليل
والمرارة الأبدية للوحدة ،

كنت أجد عشاء الحب ينفث البخار على المائدة
وذكرى الطفولة — فراشة واهية تلعب حول مصباحك •
وتظلين واقفة فى انتظار عودتى •
وعندما أغرق — أنا عاشق اللانهاية —
فى ظلال شكوك غامضة ،
فانك — باصبعك الدافئ —
تريننى آثار الأقدام على الأرض ،
وتعيدين تشكيل رمادى من جديد فى شكل انسانى •

- تقاسمت معك مقعدك
• فاحتفظت بمكان لي على الأرض
• قست الزمن بنبضك
أصغيت الى قطرات البرودة عن قرب
• وهي تسقط من نبع خفي
• وجف النبع
• رحلت
• فخرجت السماء - غبارا أزرق وراء خطواتك
• انها تهطل الثلوج
• أيتها الحياة ، الحياة ،
• أخذت مني الكسرة الدنيوية الأخيرة
• ما من دموع أخرى لدى
• ولا خوف عندي
• فما من شيء آخر لدى كي يسلبوه مني
• فقيرا ، عاريا ، مهجورا -
• انها ثرواتي التي لا يستطيع أحد أن يسلبها مني
• لن أطرق أي باب
• لن أنطق بأي رجاء
• بلا خبز ، بلا جربندية ، بلا رباط
• أتخذ الطريق الى الغرب بخطوات ثابتة طويلة ،
• عاريا ومطلقا ، جديرا بأن ألمس الرب

غيمة بيضاء من قمر سهران
تذوب وثيدا في زرقة الفجر
• وزجاج النوافذ على جبهة البحر
- كسلسلة من عيون باكية -
يعيد في تصوير شبحي
• الأقول الشاحب للقمر

أهـ ، هذا الشحوب الذى يرمى بظلال الشك
على الليل والنهار ، ويرفرف بلا وزن •
وفى الأسفل ، البحر الرمادى
يعكس الرعشة ذات اللون السماوى
التي تتوانى على ظهور النوارس الهشة •
والصواري الظليلة تخط الأفق فى سكون
متأهبة للحركة •
لرحلة جديدة ؟
لعودة جديدة ؟
والضباب يؤخر برهان الشمس •
لا شيء يتكرر دائما •
الريح والخسارة يتركان آثارهما على القمر الأبيض
الذى يتلاشى تدريجيا فى الفجر •
النوارس تجيء من بعيد ، تحيى القوارب الراسية ،
تحيط - كعنقود من الزنايق - بالمراسى الصدئة •
أختى ، شاطئك يتقهقر •
ورحلة الاكتشاف تبدأ •
ومضة ضوء منقوشة على الجفن الناعس للسماء والبحر •

أختى ، هناك خط مضى يرتسم حول بابنا المغلق •
صحوة تغمر الهواء البالى مع صخب البحر •
أحدى خنافس مايو تزعج زجاج النوافذ الموصد •
والشمس تنسكب فى فوضى الغرفة
ورجفتها المرفوضة تملكننا •
أى يد للرحمة تسحب ظلها
على الجدران الباردة ؟
ها هو تذكار الحياة فوق الركوع •
ها هي راية الربيع فوق المقابر •

- الأشرعة البالية تنهض - تبحر فوق المراكب •
- السرير يتحرك •
- نسمة •
- براح يسلب العقل •
- أطيع الأمر
- أفتح ذراعى وأقبل ما لا يقاوم •
- الوجوه الفاتنة فى متنزه النساء
- وموكبهم الوضى فى جسدى •
- يتراجع الصباح ، مؤجلا
- يزيح أيدي الضباب بعيدا عن جبينى •
- لا مزيد عندي من البكاء •
- هزمنى الغناء •
- منحنى الغناء الانتصار •
- الشمس ، الشمس تذيب المشهد الثلجى فى عينى •
- والأغنية القوية صعدت سقالات السماء
- لتبنى بذراعين عاريتين بيتى •
- والضوء يتماوج فى عضلات صوتى •
- أسمع حلقات القيود تساقط وتنكسر
- أسمع الفرسان البيض يمرون بالخارج
- منشدين أناشيد الحرب •
- انفتحت النوافذ على مصاريحها فوق بحر الصباح •
- وعتبة بابى تلتهم كعين مفتوحة •
- أختى ، لم تعد لى طاقة على البقاء •
- فغيا بى سيجىء لك بالماء الأبدى •
- وأنا - الذى عجزت عن انقاذك من الحياة -
- سوف أنقذك من الموت •
- هناك الطرقات مشرقة واضحة فى ضوء الشمس •
- فلتتنحى ، يا أختى جانبا ، كى أمر بيديك المقيدتين •

علقت على صدرى التعويذة التى صنعتها لى
ذات مساء ربيعى - أتذكرين ؟ - عندما كنا صغارا •
فيها قطعة طين حمراء صغيرة
لتذكرنى ببيتنا الأخير ،
وورقة ورد جافة من حديقة منزلنا
وقليل من غبار الجدار الذى حفرناه ذات ليلة بأظافرنا
الى المنفى الطويل الأخير •
وداعا ، يا أختى •
فقبلى لى العسافير فى باحتنا والأطفال الأبرياء
والأمهات الحزاني اللاتي يطرزن بجوار المصباح
والشبان الذين يؤسسون مكانا لهم - فى عناد ودون تردد -
على حدود الحياة والموت •

الآن ، أرد نفسى الى العالم •
فالتبيعة الفاتنة - بمروحة شاسعة من جريد النخيل -
تنعش أعضائي وتذيب دموعى •
والمذاق المعافى للصحة الأبدية
يغنى فى فمى ويلذع لثتى كفاكهة نيئة •
أحرق فى السماء
وأرمى - بمحبة - فى الأرض حفنة من بذور •
أختى ، فيما وراءك وورائى ، فيما وراء نظرتنا الكابية ،
فيما وراء الخط الكابى للأرض ،
هناك عند جذر الأشياء
أنصتى الى موجة النبض العلوية
- الخارجة على السيطرة والتفسير -
التي خلقتنا وتحكمتنا •
ماذا يمكن أن نقول ؟
أفتح البوابات - باندعاش مذعور - فى مواجهة الخلق

وأحول: الألم إلى نشوة
والصرخة إلى صلاة •
الضفائر البهيجة للآفاق تجفف قدمي الداميتين
وأقفز - خفيفا ، سعيدا - إلى ذروة الابتسام •
أيتها الشمس ، الشمس ،
أبي ، أيها الحامي لي ، تلقفني الآن •
لا قيد يربط أجنحتي بالأرض •
والضوء يشرق متوهجا ، أعلى من حبك ، يا أختي ،
أعلى من حبي ،

الوجه الساكن للأبدية
يهشم المرايا المشوهة للدموع
وما تزال نسمع بداخلنا
عاصفة حقيقية من دموع •

مسيرة المحيط

ميناء ليسلى
الأضواء غريقة فى الماء
وجوه بلا ذاكرة أو ترابط
تضيئها الأنوار العابرة لسفن بعيدة
ثم تفرق فى ظلال الرحلة
أشعة مائلة مزينة بمصابيح الحلم
كأجنحة مكسورة لللائكة آثمين
جنود بخوذات بين الليل ونيران الفحم
أيد جريئة كالاعتذار الذى جاء بعد الأوان .

سجناء مربوطون الى المرسى
سلسلة حول عنق الأفق
وسلاسل أخرى فى أقدام الأطفال
وفى أيدي الفجر التى تحمل باقة زهور

والصواري مشابرة على عهد النجوم
بمساعدة ذاكرة مطمئنة .
- باقة من نوارس فى الفجر الساكن

اللون يرحل عن وجه النهار
والضوء لا يستطيع العثور على تمثال
ليدخل ، فينال المجد والسكينة .

فهل سنظل - اذن -
نحمى جرح الشمس المفتوح
الذى يفيض ببذور الزهور
على نفس المسيرة
على نفس الهدف
في شرايين الربيع المخصبة
عندما يستأنف السينونو دورانه
بحثا عن عديم عاشق
على القبة الزرقاء المتعبة ؟

أى جرح
لم يضمن لنا - حتى الآن -
أن نصل بجنة الرب الى الكمال ؟

كانت لدينا حديقة على حافة البحر .
وكانت السماء تنزلق اليها من خلال النوافذ
فيما الأم جالسة على المقعد الخفيض
تطرز حقول الربيع مع أبواب مفتوحة في منازل بيضاء
مع أحلام بجذوع الأشجار على السطح القش
مرسومة على زرقة فاتحة ناصعة .

لم تأت بعد .
سأطلع الى الغرب وأراك

— فى شعرك بريق وردى
— فى عمق البحر طيف ابتسامة •

أُمى تمسك بيدي •
لكننى وراء كتفها الحانى
وراء شعرها الشاحب
الذى يلتصق بأريج الصبر والنبل
أتطلع — فى وقار — إلى البحر •

هناك فى منحنى الجبال الأزرق
يناديني أحد النوارس فى أعماق المساء

تهشمت المرأة التى رسمت حدود الفجر والحديقة •
وبالنايات الحزينة للزهور
دفنا السنونو الأول ، أول أمس •
ثم جلس الأطفال وحيدتين عند نافذة المساء
ليشهدوا الشمس المحتضرة •

وراء جدار الباحة الأبيض كان الطريق يصحو
وحالما تلاشى الضوء الذهبى فى البعيد
صعد الظل الهائل للجبال
مع خطوة الموت الصامتة إلى أيدينا البيضاء
إلى قلوبنا
إلى جبهاتنا المحنينة •

أُمى ، من الذى يدق
الجرس اللازوردى على الأضيق ؟

غيمة فضية بجوار القمر •
صيادون عجائز •
لم يعد لديهم قوارب ، لم يعد لديهم شباك
يجلسون على الصخرة ويدخنون غلايينهم
يتأملون أحزان الترحال والظل •
لكننا لا نعرف شيئاً
عن الرماد في مذاق الرحلة •
نعرف الرحلة ونصف دائرة الأفق
الأزرق الفاتح مثل الحاجب المخيف لاله البحر •

نقفز في القوارب
نرعى الجبال
ونغنى البحر
محدثين في الغيمة الفضية
بجوار قمر رئيسي •
أية مدينة مرصعة بالجواهر
تنام وراء الجبال ؟
أية أضواء ترتجف في أغوار الليل
تنادي علينا ؟

هناك قبور صغيرة بيضاء
لنوارس بريشة
بعيدا في جزر مهجورة مجهولة
لم تعرف سوى الضوء القادم من المحيط الليلي •
هناك وضعنا أزهارنا الأولى •
شهقتنا الأولى والفكرة الأولى •

سمعنا أغنية البحر
قلم نعد بقادرين على النوم •

أمى

• لا تمسكى بيسدى •

البحر البحر

• فى عقولنا وأرواحنا وشراييننا البحر •

رأينا سفنا تحمل بلدانا أسطورية

هنا على الرمال الذهبية

• حيث يتمشى عابرو المساء •

البسنا محبات طفولتنا طحالب مبلولة •

• قدمنا الى آلهة الشاطئ حصي وأصدافا لامعة •

ألوان الصباح تذوب فى الماء

ونيران الغروب على أكتاف النوارس

الصواري التى تشير الى اللانهاية

تفتح أبوابها عند حلول الليل

مرفرفة فوق نومنا الحجرى

• متألقة ، أبدية •

وأغنية البحر

تأتى عبر النوافذ الصغيره

فترسم حدائق وأحلاما مضيئة

• على الجوانب الرطبة والجباه النائمة •

ايقاع مؤرق أليم •

على الصخور القاحلة فى الخارج تبصر الجمال

نحن الأطفال المشردين الحفاة

وفيما نمشى بأقدام عارية فى البحر

نسمع صوته الذى يرتجف بأصداق هادئة

مع الوميض القوسفوري للنجوم
التي تزرع حكايات ذهبية في الأعماق الخضراء •

قلب مهيب
قلب طفل بلا شبهة
لا تتبرأ منه أبدا •

مددنا أيدينا لنقطف زهورا من النجوم
لنقطف نجوما من دقات قلوبنا
التي ردت على نداء البحر لنا
بأن نعتصم بحبل الجمال
ونحن نسافر الى اللانهاية
على طريق قمر الصيف الهائل
المرسوم على البحر المباح •

عرايا ، تصارعنا على الرمال في الظهيرة
بأجساد مبلولة لأطفال الثانية عشرة من العمر
من أجل العناق لا الصراع
من أجل الصراع لا الانتصار
الانتصار وحده •

شبح ملحي
أفخاذ أحرقته الشمس
الموجة الملهوفة في القبلة
البحر فيما وراء الفوران • •

الظهيرة تنحدر صاخبة في زوابع من نار
تطوى بيوت الصيادين بلهيب أبيض
فتحرق القلوب التي لا تقاوم •

خارج النوافذ نسيم البحر الرهيف
الوجه المضيء للسكون
في ذاكرة الصيف البيضاء
مع بصيص طيفي ، داكن الزرقة
منحرف على وجنته الملساء .

نفس ذهبي لماء لانهائي
شباك تتشمس على الصخور
قوارب مملوءة بفاكهة وزهور
وهناك بيوتنا
بيوتنا مكتوبة على البحر .

ايام من الشاطئ
من الصخور الحمراء
من زهور الزنبق الصغيرة
والبنات .

من ينادي علينا
من شرفة بيتنا ؟
بنينا بيتنا في البحر .
هناك لآلئ في الأصداق
وغابات مرجان هائلة في الأعماق المعزولة .

صنعنا ناينا من العظام التي أخرجها مساء أمس
في باحتنا غناء العاصفة .

أنصتي إلى أغنيتنا ، يا أمي ،
أغنية الرحلة الجديدة .

أنت يا من تنوحين على الموت
لا تعرفيننا •

البحر لا ينسوح •
ببل يغنى •

متحررة من طقوس الأحـد
باحة مطلية بالأبيض
فى مواجهة البحر برج الكنيسة الضامـت
الذى دق « يوم كل الأرواح » للبحارة
والآن يقهقه فى ضوء الشمس •

فى أفواهنا غليون أبينا
تحت قبعة المدرسة •
وعلى صدورنا مطرز الصليب الجنوبي
والعدراء العجوز •

بدلة بحار قاتمة مزررة حتى العنق
وعندما ترانا الفتيات
نتخذ المشية المائلة لقباطنة جابوا العالم •
ويرتعش فى نظرات الفتيات
صوت غابة صباحية شاسعة
موسيقى حقيقية واضحة •

لكن فيما المنازل الساكنة تحيينا فى حنان
بنبات المسك المتدلى على الجدار الأبيض
فسوف يدخلنا من جديد ، ليقهرنا من جديد
الضوء الباهر من المحيط العظيم •

هأنت هناك أيها القبطان
تأكل خبزك الجاف على عجل
والزيتون الأسود المنقوع في الملح والشمس
على قمة صخرة منحطرة •

انه وقت الابحار
ونحن نلتقط أنفاسنا
يرتفع شراع الزفير الأزرق الفاتح
وطياته المضيئة تتماوج
وهي تتلاشى خلف الصدور الساكنة للجيال النائية •

قلوبنا التي عرفت البحر
لا تعرف الحدود •

علم الصخرة الراسخ مغروس في الصخر
يحیی السماء ، يرفرف فوق الرجال
وظلال باردة كبرى من بحر الصباح
مع جزر وأشرعة بيضاء
في الازدهار الكامل لمنتصف مايو •

القمر الفضي يعكس
جموعاً زاحفة في عزلتها خلف الصخور
على وسائد الطفولة أصداق صقيلة
وفي المحيط الأزرق للنوم
أصوات السيرينات مع قياثرهن من عظام الأسماك •

آه ياربسة الجزيرة النائية
الرواسب الكلسية تتدلى في كهفك البحري

كانها ترقل نوم السكون الشاحب
كأن صدرك الناصع يتنافس مع دائرة البحر الزرقاء
المضاءة بالنجوم
وهناك باقية ذهبية من نخل
حول النبع حيث يمرق الضوء في وهن
وهو يعطر ظل الأشجار الضخمة -
فانت تعرف أن الماكر سوف يرحل .

« لا يرتس » مع كلبه
سوف ينتظر فوق الصخرة سدى .

حين خرج عاريا من البحر
ذهيبا من ماء الفجر
فارتسمت عظام عاتية في اطار الشمس
هربت « ناوسيك » مع العذارى الفاتنات المرعوبات
خلف الأشجار
وأقدامهن الخافية ترقرف في الهواء كسرب حمام
وضوء أبيض ينعكس على الغشب الأخضر .

... في الخارج على الشرفة بجوار البحر
مائدتنا المسائية المتقشقة .
غمس الربيع الخبز القمحي في النبيذ .
ورسم القمر في السر
على أباريق خزفية يونانية
مشاهد من طروادة .
كنت تعرفين أننا سنمضي ، يا أمي
وملحت عشاءنا بلعمعة
وأنت محنية وحزينة تحت النجوم

والفتيات - اللاتي كن خطيبات أوديسيوس -
تنهدن على عتبات نافذة الجزيرة

سفحنا الدم والغلال مع الأشرعة العالية والغيوم
فوق المياه الناصعة .
مع زوارق خشبية صغيرة في خلجان زرقاء
تفوح - في رقة - بالوداعيات
مع القبلات بجوار القوارب عند حازر الأمواج القديم
وراء طاحونة الهواء الصيفية المهدومة
متأهبين للرحلة الكبرى الى المجهول .

وعندما عدنا في المساء
بأيدي دامية وركبنا مكسورة
حاملين غنائم التعب :
أيقونات مائية تتنكر للشكل
أجراس مساء وردية اللون
ندم الفوران
خواء الصراع بـ
هناك تحت ظل المقبرة عند البحر
أدركت عيون طفولتنا الصمت
سمعنا مجيء الليل
سمعنا ناي الجمال
الذي يمنح العزاء للجبين الحزين ،
ويبرر المصير .

من الذي يهشم روح الرب وفرحتنا
من الذي يقسم الصمت الى آلاف الأسماء والنجوم
التي تضيء في حركتها أيتنا

وترسم دوائر من العزلة على نفس البحر ،
التي تستبقي نثار الخلق
دون أن تيسقى ؟

طيور البحر ترقرف عند كهوف الصخر الصامتة
رسوم ملائكة مطرزة بنجوم عند الحافة المتأكلة للماء
بالقرب من الحصى المقباوم
فى الظل الأخضر لحاجز الأمواج
تضحت العيون المدهوشة لأولاد حالمين .

جرح يوم الفراق
الذى يخط فى الدم آفاقا وذكرى
يرسم تقيصة الرب
الايماة الحلم الخلق .

معرفة صامتة .
فى عيون الأطفال الواسعة
على الشفاه الحازمة للمراهقين
الذين لم يحصوا حطام السفن
معرفة تمجد النجوم المنفرطة من جرح الرب المفتوح
لتداوى جرح الانسان .

أغمضنا عيوننا
فى سريرنا الموروث الأبيض .

المصباح انطفأ .
وفى اطار الناقذة يومض البحر فى السر .

خلف الأسيجة والأشجار
سمعنا صوته العالى ينادى علينا
فيملأ نومنا بمشاهد لازوردية
مزهرة بأشعة فى بياض الثلج
بحدائق من نوارس مستغرقة فى التفكير بلا صوت
جائئة على الحافة الصخرية للمجهول
فوق الهوة المظلمة الآسرة .

من هناك أسمعنا صيحة الرب
غدا سنصبح من جديـد
غدا سنرتحل من جديـد
غدا سيطالبنا الفجر بالصبر .
وسوف نرد على البحر

كتبنا السطر الأول على الرمال
والصواري الصابرة ترقبنا فى غبوس
والموج يهمس حنينا لا ينتهى .

أقمنا على الصخر كأننا منحوتون فى سرب طائر
وحدقنا فى أقمار تخط دوائر
تسألنا سر سفن تحمل أشباخا بيضاء
سر الرحلة التى لا تنتهى
والمرسى الذى لا يحتل الماء
لمسنا جرحنا ووقتنا
وهربنا .

الرحلة دائما لنا
والهدير الدائم للبحر .

وصلت السفن عند الفجر
محملة بالقمح والفحم والخبز
من أجل القباطنة الحالمين
من أجل وقود النيران .

طومت بالخبز والخبز والخبز
وبقيت عاريا في البحر
بلا رداء يغطي ضلوعك
أو حب يخبيء عينيك .

كانت الساعة ملونة كلؤلؤة مريمة
للتأمل العميق للفجر
وصوتها البعيد مترع بالخطر والإغراء .

نظرت الى جسدك في الماء
فأحببت الماء ونسيت جسدك .

أيتها الرحلة بلا متاع
نار بلا فحم
جوع بلا خبز
عطش ونشوة بلا نبيذ .

فات الآن أوان الرجوع .

لو كانت الموجة أكثر دفئا من الخب
والسفينة أكثر دفئا من الميناء
أنت - نفسك - تعرف
أن الطيران يغني في شعرك .

وأنت تواجه الأفق بنفير البحر
صاخبا بارتحال أبدي •

رحلت السفن وتركنا
بلا خبز أو نبيذ أو لحم
في منتصف البحر •

بكيننا طوال الليل
انحنينا على نعش أبيض لنورس •
مصباح أمي يشرق من بيتنا
غصن نحيل من ضوء
في الكف الرهيفة للعذراء •

نوم ثقيل عند الفجر
في حكاية الأصداف
والشموع ذابت
في الكنيسة المجاورة للبحر •

وكانت السفينة تنتظر
بمقدمة منحوتة في ضوء الفجر
كسيف للرياح •

النوم في هذا المساء بقلب مرور
يشبه خبز صيادين في العاصفة •

غدا سنقتلع الصليبان من المقبرة المجاورة للبحر
ونصنع قوارب الأطفال

وننحت في شواهد القبور
تمائيل صغيرة للجمال والبحر
لنملأ البيت المهجور
لنفوى الحياة وأنفسنا
رغم رب النكران
دون رب الرحمة •

ضاعت الصواري
غاص الدخان
وراء المنحنى الصامت للماء
مثل ركية أم تنام
والرحلة الساهرة في صدورنا
ساهرة كالريح والبحر في المساء الشتائي •

تلال ناعمة تسافر في الضباب
والشمس المريضة ناعمة
على صخور المساء البليلة •

الكراكي في الأعلى
مثلث للندم •

قداس صغير للعزلة في مطر المساء
حامل أيقونات « سان - نيقولا » على الشاطئ
حيث يتوقف الخريف
ليلقى بعملة من الأسى المرير وورقة شجر صفراء
فيما هدير العاصفة يتلاشى على الرمال المظلمة
تحت ضوء النجوم الباكى في سبتمبر صامت •

فلتللم مرمرًا أزرق من أيام اللعب والبكاء الطفولية
فقد تنحت تمثال المحيط
ملطخًا يديك بالدم في أصيل غائم
حينما يرسم الانعكاس الشاحب للبحر
دائرة من نسيم مضيء
عاليا في الهواء الخاوي •

في البيت الأخضر الصغير على الشاطئ
فاجأنا الشتاء وحيدا •

الشرفات هجرت
وعلى الشاطئ الشاحب
يخطو الضباب بلا صوت •

أوراق صفراء فانية
موت صامت للبرقيات
طحالب تسد الأبواب والطرقات
ذاكرة مشجرة بأشجار السرو •

عند منحني الطريق ظل الصيمنت •

من النافذة رأينا آخر زوار الصيف يرحلون
والزورق الصغير سلاله فارغة •

السفن تنام في الميناء
وأعلام الريح الرمادية
تفرق على الصواري العارية •

عما قليل سيأتي المطر المحزن
ليزيل الأسماء الغنائية
ورسوم الطفولة
ووميض البحر
من قوارب الصيف •

في ومضة ضياء
ستقرأ المصير في كفوفنا المفتوحة
ولن نملك كلمة واحدة نطعم بها العزلة
أو كسرتين من خبز لنطعم العصافير القليلة
التي تموت على الطريق المعزول •

الأشجار على جانب الرصيف مخفية ومهجورة
— قشرة خشبية للصيف
في الغسق المنهوب •

آين ذهب أوركسترا الفتيات الصغيرات في الحديقة البحرية
هناك حيث سكر البخارة في المساء وسط الأشجار
وتقافزوا — راقصين في الهواء
لأن عملة القمر الذهبية انعكست
في شعر الفتاة خلف نباتات الريحان •

في الليالي
يتمشى الانعكاس الأخضر الهائل للبحر
وحيدا ، مهجورا ، على الصخور المنحدرة •

صامتين نمر خلال غرف مظلمة
أمام مرايا معتمة لم تعد تفرقنا

ونسبح خطي الصمت
والرياح والبحر
على حواسنا الناعسة .

شيء ما من أمان الفراغ -
باب موصد في المساء
أو موكب من أشجار السرو
مرسوم في الضباب الفضي لضوء النجوم الخرقى -

وعندما يهطل البدر المعزول بالصبر والسنوى
نفتح النافذة وتبهل .

نحمدك يا رب
على أن تركتنا وحيدين هكذا محزونين هكذا
كي نستطيع التحديق بلا رهبة في السماء
ونكون أنقياء وبلا حدود مثل اللانهاية
منسين ومجهولين مثل المجهول .

ليل . أقف في الباب المظلم
الجبل المخفي يمتد بعيدا
يتلو اسم الرب في العاصفة الثلجية للنجوم
في الظل الشفيف حيث ينام الرجال ويموتون
في العزلة التي تعيد صوتي ألف صوت .

أين ذهبوا جميعا
ليتركوني أحلق في كفى الخاويتين
لأصايق الصمت والمطر ؟

حزين حتى الموت •
أرى السماء الخاوية
وأحتفى بغيمة كبيرة
وأنا مثل حمل حزين ، مهجور ووحيد
فى منتصف واد مظلم •

آه ، يارب ، لماذا رحلوا عني جميعا ؟

تحت ثيابي الممزقة
أمتلك قلب الطيور والأزهار الجاني •
(كم من ليلة بكيت فيها سرا
على جرح فراشة) •

فليذهب كله • فليذهب كل شيء •
فسوف أبقى مرة أخرى فى مواجهة السماء الفسيحة
فى مواجهة البحر الشاسع
لأغنى بلا مرارة أو شكوى
فليذهب كل شيء •
فحينما أبقى وحيدا أقترّب أكثر من الناس
فأقترّب أكثر من الرب •

أسمع صسوتى
مهجورا فى الريح
وأدفئ أيامى •
جوقة طفولية تتبع المساء
وهى تعزى الصمت

وهي تحيي الربيع •
لكنني ، يا أمي ، ما أزال يردنا •

حل المساء •
جداجد الخريف الأخير تنمازح في الظلام عند الأسيجة
بأصوات صغيرة وثقة •
فلتفتش قلبك
عن الشمس التي رحلت •

واذ يمتد الشفق الى أرواحنا
سقطر أريج وردة قطرة ندى على الرموش ، ..
والضوء الأخير للمساء
على يدين عاريتين معقودتين
على وجه تحول الى رخام
بفعل القوس الفضي للبحر •

أخذوا منا أغنية البحر
قيدوا أقدام بحرنا •

أطفال مدهوشون وصامتون بأهداب ملحية
بعيون زرقاء واسعة
نمر - خائفين - عبر مدن كبيرة
تحت مستشفيات تفوح بالنوم والعرق
تحت بيوت بمصابيح حمراء
تحت أبنية كبيرة
نبعث ليل الدم والغنيمية •

أُمِّي يَا أُمِّي
تفكرنا لحكمة دموعك الحانية
فأين يدك الغفورة باحتمالها الصبور
أين يدك
قلعنا نسمع الفجر والبحر
وندفئ عزلتنا ؟

أُمِّي
السماء ماتت في دموع البرى .

نحن الذين سرنا في الليالى
في غابات ناصعة كاللآلى
نحن الذين نحتنا في الصخر
الشكل الصافي للحلم
لا نعرف كيف نسير على طرقات
تنطق كل يوم بدم المسيح العادل

خلف الجدران يتمددون في انتظارنا
ومن الأركان ، تنطلق - مرتاعة -
أسراب من حمام خشبي .

أبواب تتعاب في الليل .
ومضبة سيف .
قمر مقطوع الرأس .

بعظام آدمية يصنعون سلالم
ليصعدوا .

سيدي المسيح ، سيدي
ونحن هنا ، في منتصف الطرقات الكبيرة
مرتبون ومحزونون
بحقائب خاوية في أيدينا
يقفص عندليب على ظهرنا
بذكرى البحر الشاسع على جبيننا
يايـد بريئة مدهشة ، لا تستجدي .

لم يبق لنا شيء ، يا أمي :
أين مسناوى ؟
أين مسننام ؟

هناك حيث الأيدي والبيوت خاوية
يحتل البحر مكانه الرئيسى فى غرف الليل السوداء .
ثياب من ظلام
أقنعة من جبس
ابتسامة حب معسولة
صور لأطفال يكبرون
لم تعد تعلق على الجدران .

هناك ، منفردا يتماوج
شامخا باردا - بلا كلل - وحرا
المحيط الوامض .

طفل بنى البشرة بعينين زرقاوين
وشعر كثيف مشطه البحر
طفل لم تتشكك خطوته المبتهجة بالأرض أبدا
طفل أبى رفض طقوس الأحـد

لقد صنعت مراكب وطائرات ورق من كتب التدريبات
هل تذكر القبطان العجوز
الذى نسي الميناء وهو يحرق فى النجوم
مغنيا للبحر كى يستعيد شبابه ؟

هكذا ، فى الصناعة المقررة
رحلت عنا بسمة الليل الأخيرة
وما كان لدينا سفينة أخرى تبحر بها
وأرصفة الميناء بلا أضواء أو مسافرين
قابلنا ظلتنا آه ياطفل البحر
قابلناك وقمر ربيعى فى يديك
تتمشى وحيدا على الشاطئ وسط الصخور
حيث الفقimat والسرطين تحلم فى سكونة .

شبتت العيون من صور الماء
لكنها تهفو - ما تزال - الى الماء
النجوم تنزه فى ذكريات النوارس النائمة
انقراض مفاجئ للدلافين المدعورة من كائنات البحر
وعلى مرايسا الماء المكسورة
طيران المجرة الدائرى .

صمت مرعوب يرحل من جديد
الى الشاطئ النائم البعيد
- الابنة الجميلة للقباطنة الشرقى
تعيش فى أنقاض حاجز الأمواج
وكل ليلة حين يكتمل القمر
يطاردها البحارة السكارى .

رب السماء والأرض والبحر
الى متى سنظل نرقب وننتظر
الى متى سنظل عطاشى
الى متى سنظل لا نموت ؟

أن نصل الى حيث توقف الضوء
مهمسا الى جراح وورود
ذلك ما سيوقف دوران السنونو المتعب
لا بد أنك قد كسحت حتى السلمة الأخيرة من الغسق
وتقطعت أنفاسك حتى الموت •
فى أمسيات مكسورة
حين بكت المصابيح فى البيوت
حين صلى الأطفال عند سرير العذراء المريضة
فى الثلوج حيث كان قمر كبير وحيد يموت
فى الريح التى صلبت ريش الطيور العاشق
للمنا الدفء والضوء
لنجعل من الزهر ترنيمه للربيع •

لكن الانتصار لم يجرى ، لم ينته •

ونحن منعزلون
الى حد أن الموت لم يقح فى غرامنا
وظلنا يتمشى على الشاطئ الأبيض
مثل طائر مسالم للمحيط
مترع بالبهاء والسكينة
منهك من الليل والعشق •

لكن الساعة التى تسبق الفجر لم تجئ •
فمن الآن سيأتى لنا

برجوع السفن المنقبة
الحملة بالصباحات والحمام
بابتسامات الطفولة ودموعها ؟
من ميعيد لنا الصبغة العظيمة للنجوم
التي انهارت في عيوننا المشرقة ؟

رب ، يا رب
أعد لي من جديد عبادة المصلى الألهية
هات لي القلب الذي يجهل المطر
والأزدهار مع الستون
امنحنى ارتحالات وعودات
لعل أستطيع البكاء من أجل جرح قراشنة
لعل أستطيع الخطيئة
والندم
عندما يدوى جرس جزيرتنا فوق البحر
ببراءة يوم الأحد الطاهرة
ببراءتنا الضائعة
وصحتنا المفقودة .

في العيون الرهيفة للطيور
سوف يبقى طيف السهول بخشخاشها القرمزي
والفيض الذهبي للشعير .

وفي نوافذ صغيرة على الشاطئ
سيزهر الحب والجيران يوم من جديد
وسيأتي مسيح طفل ليأخذ بيدنا

ونلعب حتى المساء تحت الزنابق
مع اللقالق ونسيم البحر والشمس •

وعندما يحل الليل سنقفز الى زوارق بيضاء
وبشباك صيادين توارتين محزونين
سوف نصيد القمر المائي
ونستلقي معه في هدوء
فنبهج نومنا بملائكة صامتين
لم يتعلموا بعد الضحك والبكاء
بل الابتسام - وحده - في حلم خلق لم يولد •

جزر ذات أشجار صامته في مساء الصلوات
حمامات السلام هناك ساكنة
ونحن صامتون أثناء جمع ورود النهار
فيما يسقط ظل المساء على الصفحة البيضاء
حيث تقتفى أثر الحياة بجوار الشاطئ •

لن نقرأ ما كتبناه
سنرفع عيوننا في انتظار المجرة الساقطة
خلف شجرة لوز من غيم أبيض
يتمشى فوق البحر •

يأتي - من جديد - الموسم
الذي لا يعرف الزمن ولا الندم •
صوت صاف ماء ساكن
ضوء خطى الصيادين على الرمال
الأطفال نائمون في القوارب
والملائكة يستحمون في أحلامهم •

رائحة عشب ونكهة نجوم
سلاسل الجبال تذوب بعيدا في السماء المتلألئة .

أيدينا المتعبة تنضج لدى عذبا
وشعرنا معطر بظل حزن الأمس .

العالم بلا حدود ، يا أمي

القيثار العظيم للشفق
رحل في الغابة الكثيفة الظلال
غيمة وردية تشتعل في حريق الغروب .

يقبض الرب هذا اللون
لعلنا نعرف عقلنا
ذلك الذي انهزم لكنه لا يعرف الخضوع .

سنحتاج الى ذلك التعاطف البعيد
الذي يقاسى من أجل ما فسد
محافظا على الحلم بالاستقامة .

يمر المساء على الشاطئ المهجور
وجرة الرماد على كتفه العاري .

على وجهها المتأمل أشرقت بسمة .
تغذى ضالتنا المنشودة ، تغذى سهرنا
وهي توجه الوحي المجيد لمصيرنا .

في هذا المساء يستنشق الكون
أريج بذرة الرب اليقظان .

تروى الجذور من التبع الأبدى
الذى يتفجر من أعماق الليل
ويملاً جماجم الموتى بالورود .

أضىء الأنوار على الأرصفة البعيدة
وطرز البحر النائم بالنجوم
ولتوسع الأبدى السلبية .

صمتها يتخذ صوتاً .
حيواتها دائماً كل ما مضى .
هنا لا طيران ولا فناء .

أغنية المساء فوق البحار
مصحوبة بغياب الأشياء
التي تزهر فى الدائرة الأبدية
للصمت والحب .

البحر يحرق فى وجهه
فى البحر .

فلتأخذ المثل المقهورة
خذ المعرفة التى غضنت حواسنا الشابة .

خذ الهدوء العقيم
الذى يبقى متعباً على الصخر
فيبنى معبدته ومقبرته
بأخشاب سفننا القديمة

ولتدع لنا غبطة الليل وحدها
عندما تنتظر الأمهات على الباب المزهر
أطفالهن الغريبين الخارجين على الترويض

الذين أضاعوا وجبتهم المسائية
الذين يسبحون عرايا طوال اليوم
الذين يبحثون عن أعشاش النوارس
وينطقون طوال الليل بكلمات لا تعرفها
عن السفن والغيوم والملائكة
عن ملائكة مجانين يعيشون في سلاسل مرجان قرمزي
عن ملائكة جميلات مخطوبات للبحر
والرب المنكر لذاته يعزف على أبواق مسعورة
مصنوعة من عظام شعراء مطومين •

دع لنا غبطة الليل وحدها
حينما يصيد الأطفال من أجل النجوم
في زوارق بيضاء كالثلج
حينما يواجه المراهقون العرايا الجميلون
الجمال في العيون بلا شكوك أو خوف •

أعد لنا قوارب الورق
لعلنا نرسو في الميناء المعهود لبيتنا الأول •

وسوف نركع - برهة - على الرمال
وسوف نصلي أمام ظلنا الذي لا يركع
فيما عذراء البحر الحزينة
ستفتح - في هدوء - باب الكنيسة
وتأتي لتقبل شعرنا المبلول بندى النجوم العذب
بندى الصمت والليل :

لكننا سنرفض من جديد
قبلة الحب التي تسترضى وتأسر .

مجهولين في المجهول
فاتنين لا نعرف الخضوع
سوف نرتحل - أبدا - في غابات القمر الفضية
في الجزر الوحيدة للنجوم
دون أن نعرف ربا
دون أن نعثر على رب
مثل نبض الألوهية الذي - في خلقه - يدمر ذاته .

ميناء ليلى
أضواء غريقة في الماء
وجوه بلا ذاكرة أو ترابط تضاء بالتعاقب
من الأضواء العابرة لسفن بعيدة
ثم تغوص في ظلال الرحلة الأبدية
أشعة مزينة بمصابيح الحلم
مائلة مثل أجنحة مكسورة للملائكة آثمين
جنود بنحوظات بين الليل ونيران الفحم
أيده جريحة كالاعتذار الذي جاء بعد الأوان .

نار كبيرة على القمة
تحرق قلب الظلال .

سجناء مربوطون الى المراسي
في الوهج الأحمر
سلسلة محكمة حول عنق الأفق
وحول أيدي الفجر التي تجمل زهرة الربيع .

اللون يرحل عن وجه النهار
والضوء لا يستطيع العثور على تمثال
ليدخل ، فينال المجد والسكينة .

أخوتي وأخواتي
كيف يمكن أن أبقى بعيداً عنكم ؟

البحر ، البحر
الكتب لا تجيب عن السؤال
والسؤال لا يداوى الجرح .
من جرحنا يبدأ البحر .

أحلام الرحلة
عند منحني الدموع الأخير

من يطرد الشمس عن شعر الأطفال
عن قلبنا العظيم ؟

ارفعوا الأشرعة
ارفعوا المرساة .
هيا والموانئ القديمة تنزلق بعيداً
هيا والفجر يشرق بكل دموع أسلافنا .

سلسلة لا تليق بكاحل البحر
سلسلة لا تليق بقلب بحرناس .

وداعيا للحب والبلاد .
طيور البحر فى الضوء والملوحة
نحلم بالارتحالات فى شراع كامل
آذاننا ليست صماء عن أصوات السيرينات
وعيوننا يقظانة .
ما من دُخَان ولا إِشْكَاء .
ما من أفق آخر وراء الآفاق .

أغنية البحر الأبدية تجيب على الفراغ
وتملأ خواءه بقلب وشمس .

آه ، ليال عاصفة
رياح قوية مندفعة فى عنف
زبد على زجاج النافذة
مصابيح داخنة فى بيوت الصيادين
مخاوف الفتيات الحزاني
رتق الجوارب للمنفى
منارة سهرانة مع عيون الأمهات
والبحر لا يرحم ولا نهائى كعقل الرب .
يمتلك الرقة ولم يروض مثل قلوب الشعراء .

أشباح القباطنة العرقى
غلايينهم ما تزال فى أفواههم
يطفون على ومضات البرق
سفن غريقة راجعة الى موانئ الليل
والطاقم الضائع واقف خارج الأبواب الموصدة
ينتظرون
يبحثون - صامتين - عن حيواتهم

مخلوق صورا استوائية
سهولا لازوردية وزنايق هائلة
وتساء عراينا من أبنوس .
يولون ينلا بضر

لكننا . نحن الذين تكلمنا ساعات مع البحر
نحن الذين نحمل في شقاهنا دائما
مذاق الرحلة العذب القوي الجديد
تتقبل هيات الموت الأبدية .

وعندما قلن الأمهات البحر
ويتمشي القباطنة العجائز قلقين في غرف موصدة

تفتح نحن الأبواب
تركض الى الصخور العالية
وتطلق صيحتنا في الليل
تاركين العاصفة وراءنا
نأسين الخبز والمدفأة
لنبرد جيئنا المحموم
ينفضية البحر الواسع .

أيها البحر ، البحر
مثلا نحن معك ، فلتكن معنا
لن نستسلم لليل
وللتوم .

لن نتيأهي بالصراخ :
لقد كسينا النصر الى الأبد .

فرح العاصفة
السكينة
الرحيل
فرح الارتحال الأبدي
فلتنطق الأضواء على الشاطئ
لعلنا ندخل قلب المحيط
ترنمة أمواج الليل التي لا تنفد
بينما الرب من علينا عزله الشامسة
يقذف اجترأنا بالصخور مع الأحلام المشرقة -

أيها الألم اللانهائي أيها الفرح باتساع العالم
نار كونية
تلك التي تحرق شعر الليل الأسود
تضيء الفجر عاليا فوق أشعة بيضاء
فوق صوار عالية
حيث يصعد الشعراء ليمجدوا الوجه الجديد للرب
المنعكس - وهو يبتسم - في الماء
في إطار من نورسين منتشين -

أيتها الشمس ، الشمس
التي تصبغ البحر بالدماء
عاريا أقدم نفسي للهيبك
لتضيء عيون الناس -

أمهاتي ، أخواتي
أنصتوا الى صوتكم ، صوتي
أنصتوا الى أغنية الشمس والبحر -

(١)

هذه الأشجار لم تخلق لسماء أقل ،
هذه الأحجار لم تخلق لخطى الغرباء ،
هذه الوجوه لم تخلق الا من أجل الشمس ،
هذه القلوب لم تخلق الا من أجل العدالة •

مكان قناس كالصمت ،
يضم الى صدره أحجاره الحارقة ،
يعانق في الضوء أشجار الزيتون والكروم اليتيمة ،
وينشب فيها أسنانه •
لا ماء - ضوء وحده •
تلاشى الطريق في الضوء
وظل الحائط من حديد •
الأشجار والأنهار والأصوات تحولت الى رخام في كلس
الشمس •
الجدور تطفر على الرخام •
وحقل العدس يغطي الغبار •
يغال وأحجار • يلهثون • لا ماء •
الكل ظامئ • منذ أعوام •
الكل يمضغ كسرة نساء ليكبجوا مرارتهم •

عيونهم محتقنة بالدم من السهر
وبين حواجبهم خط عميق محفور
كشجرة سرو بين جبلين عند الغروب .

أياديهم ملتحمة بينادقهم
وبنادقهم امتداد لأذرعتهم
وأذرعتهم امتداد لأرواحهم -
على شفاههم يرقد الغضب
والألم - في أعماق أعماق عيونهم - يشبه نجمة في حفرة ملح.

عندما يشدون قبضتهم ، تصبح الشمس واثقة من العالم
عندما يبتسمون ، يطير سنونو صغير من لحاهم الوحشية
عندما ينامون تتساقط اثنتا عشرة نجمة من جيوبهم الخاوية
وعندما يقتلون ، تندفع الحياة الى أعلا بالطبول والرايات .

لسنوات طويلة جاع الجميع ، عطش الجميع ، قتل الجميع
حوصروا بالأرض والبحر ،
أهلك القيظ الحارق حقولهم ، والمלוحة غمرت بيوتهم
خلعت الريح أبوابهم وأشجار الزنبق القليلة في الميدان
يجيء الموت ويمضي خلال ثقوب معاطفهم
والسنتهم لأذعة مثل مخروط السرو
نفقت كلابهم والتحف بظلالها
والطر يمدق على العظام .

متسمرين في مواقع الحراسة ، يسخنون روث البقر والليل
ويراقبون البحر الثلجي
حيث غاص صارى القمر المكسور .

نقد الخبز ، نفلت الذخرة
والآن يحشون مدافعهم بقلوبهم :

طلوال سنوات حوصروا بالأرض والبحر
جاع الجميع ، قتل الجميع ، وما مات أحد -
فى مواقع الحراسة تتوهج عيونهم راية شاسعة ،
حريقا هائلا يشتعل بالاحمرار .

وفى كل فجر تنطلق ألف حماة من أياديهم
نحو البوابات الأربع للمسدي :

(٢)

وكل مرة يهبط الليل فيها بالزعر المحروق على صدر الحجر
تسقط قطرة ماء ، تحفر منذ عصور فى جوهر الصمت
والجرس المدلى من شجرة الدلب العتيقة ينوح على السنين .
تنام الشرارات فى رماد الخراب
والأسطح تتأمل الزغب الملون على الشفة العليا لشهر يوليو -
زغب أصفر كشعيرات كوز الذرة التى دخنها حزن الغروب .

السيدة العذراء مريم وسط الأس بثوبها الفضفاض المبقع
بالعنب .

وفى الطريق طفل يبكى والسهل يرد عليه بشاة فقدت
صغارها .

ظل على النبع . والماء فى البرميل بارد ثلجى .
ابنة البيطار يقدمين ميلولتين .
خبز وزيتون على المائدة ،
ومنارة المساء تتوهج فى تعريشة الكروم

وعاليا هناك ، تبت المجرة - وهي تدور على سفودها -
نكهة الدهن والثوم والفلفل الحار .

آه ، كم من حرير بلمعان النجوم سنحتاج اليه
لنطرز بابر الصنوبر « هذا ، أيضا ، سوف ينقضى » على جدار
الصيف المحروق
ما أطول ما ستغتصر الأم قلبها على مذبحه أبنائها السبعة
الشجعان
قبل أن يجد منفذا الى طريق روحها الشاهق ؟

هذه العظمة التي تبرز من الأرض
تقيس الأرض ياردة ياردة وأوتار العود
والعود والكمان من المساء الى شروق الصباح
يرويان حزنهما الى النعناع وأشجار الصنوبر
والحبال ترتعش على السفن كالأوتار
والملاح يشرب البحر المرير من كأس أوديسينوس .

آه ، فمن الذى سيسد المدخل اذن ، وأى سيف سيقطع
الشجاعة

أى مفتاح سيوصلد القلب ، ونوافذه مفتوحة على اتساعها
كأنها تشاهد حدائق الله المبدورة بالنجوم ؟

رائعة هذه الساعة ، كلياالى السبت فى مايو، فى حانة البحارة
رائعة هذه الليلة ، كالمقلاة على حائط السمكرى
رائعة هذه الأغنية ، مثل الخبز فى عشاء صياد الاسفنج .
وهناك ، يندفع القمر الكريتى على الحصى وسط التلال
دقة دقة ، بعشرين صفا من قطع الحديد فى نعل الحذاء

وهناك يكونون ، هؤلاء الذين يصعدون ويهبطون سلالهم
« نافيليون ».

وهم يحشون غلايينهم بأوراق الظلام الخشنة ،
شواربهم زعتر من روميلي مبذور بالنجوم
وأسنانهم مثل جذور الصنوبر في الصخر وملح البحر
الايجي .

في الأغلال ذهبوا وفي النار ، تحدثوا مع الأحجار
واستضافوا الموت الى « الراكي » في جمجمة أجدادهم ،
في نفس باحة إلداس ، قابلوا « ديجينيس » على العشاء
ليقطعوا حزنهم اثنين ، تماما كما يكسرون على ركبهم أرغفتهم
الحاف .

تعالى ، ياسيدة الأهداب الملحية ، والأيدى الملطخة بالدخان
من رعاية الفقراء ، ومن السنوات الطويلة -
فالحب ينتظرك وسط الأسفل
وفي كهفه تعلق النوارس أيقونتك المسودة .
وقنغذ البحر المرير يقبل أظافر قدميك .

وسط الأعناب السوداء للكرمة يفور العصير أحمر زاهيا
يفور التوت في العشب الشوكي المحترق
في الأرض ، يطلب جذر الشجرة الميتة الماء ليثمر شجرة تنوب
وأم تحتفظ بسكين عميقا تحت تجاعيدها .
تعالى ، أيتها السيدة التي ترقد على البيض الذهبي للرعده ،
ففى يوم بزرقة البحر ، ستزيحين وشاحك وترفعين السلاح
من جديد .

من أجل أن يضرب برد مايو جبينك
من أجل أن توزعها حبة حبة على أيتامك الاثنى عشر
من أجل أن يتوهج البحر في كل مكان كحد السيف وثلج
أبريل .

من أجل أن يظهر السرطان على الحصى ليشمس نفسه ويعقد
مخالبه .

(٣)

عاليا هنا ، لا تستنزف الشمس زيت عيوننا ولو لبرهة واحدة
عاليا هنا ، تحمل الشمس عنا نصف ثقل الصخرة
التي كنا ترفعها دائما على ظهورنا .
قرميد السقف ينكسر بلا نفس تحت ركبة القمر
والناس يسرون أمام ظلالهم كالدلافين أمام قارب «سكياثوس»
وظلمهم يصبح - بعدئذ - نسرا يصبغ جناحيه في الغروب
لنجثم - بعدئذ - على طرفيه ويتأمل النجوم .
حينما تستلقى على الحجرة الشمسية وسط الأعتاب السوداء .

عاليا هنا لكل باب اسم محفور عليه ،
اسم عمره حوالى ثلاثة آلاف عام
كل صخرة مرسوم عليها قديس بعينين وحشيتين وشعر
يشبه الجبال .
كل رجل له حورية موشومة على ذراعه الأيسر ، غرزة غرزة
كل فتاة لها قبضة من ضوء ملهى تحت جونلتها
وللأطفال خمسة أو ستة صلبان صغيرة موجهة على قلوبهم
كآثار النوارس على رمل الأصيل .

لا ضرورة لأن تتذكروا . فنحن نعرف .
كل الآثار تفضى الى طوابق الدراس العليا .
والهواء - عاليا هناك - قارص .

عندما يبلى الرسم الحصى المينوى للغروب في البعيد
وتذوى النار في مخازن التبن على الشاطئ

تسلق النسوة العجائز هذا البعيد على درجات منحوتة في
الصخر

يجلسن على الصخرة العظيمة ويغزلن البحر كخيطة بعيونهن
يجلسن ويحصين النجوم كأنهن يحصين ميراثهن من الفضيات
ويهبطن آخر النهار ليطعمن أحفادهن بارود « ميسولونجى » .

نعم ، حقا ، فالمكبل له مثل هذى الأيدي الحزينة فى الأغلال
لكن حاجبه يضطرب فوق عينه المريرة كصخرة توشك دائما
على الانفلات .

ترتفع الموجة من الأعماق فلا تبالى بالتوسلات
ومن الأعلى ، يهب الهواء منحدرًا بالراتينج فى شريانه
والمرمية فى رثته .

آه ، سيهب ذات مرة ليحرف أشجار البرتقال من الذاكرة
آه ، سيهب مرتين كى تطلق صخرة الحديد شرارة مثل
كبسولة التفجير

آه ، سيهب ثلاث مرات ليدفع بغابات التنوب فى « لياكورا »
الى الجنون

ويوجه ضربة بقبضته فيطيح بالطغيان
ويهز دب الليل من حلقة أنفه فيرقص لنا « التساميكو » فى
المتاريس

ويعزف القمر لنا على الدف الى أن تمتلىء شرفات الجزر
بحشود الأطفال الناعسين وأمها « سوليوت » .

يجىء كل صباح رسول من الوهد العظيم ،
على وجهه تشرق الشمس الجميلة
يتقدم تحت سلاحه - فى تصميم - الى « روميوسينى »
كما يتقدم العامل الى ذروته فى كنيسة .
آن الأوان ، يقول . فلتستعدوا .
فكل سباعة لنسبنا .

(٤)

بكبرياء الجائع زحفوا - أماما - الى الفجر ،
ونجمة تكتفت فى عيونهم الساكنة
وعلى آكتافهم حملوا الصيف الجريح .

مر الجيش من هنا ، والرايات ملتصقة بالأجساد
والعناد مغروس فى أسنانهم مثل كثرى برية فيئة
برمل القمر فى أحذيتهم العسكرية
وغبار فحم الليل ملتصق بأذانهم وأنوفهم .
شجرة شجرة ، صخرة صخرة ، مروا خلال العالم
مروا - حاملين الشوك وسائد - خلال النوم
وبين أيديهم الظامئة جاءوا بالحياة مثل نهر .

مع كل خطوة كانوا يكسبون فرسخا من سماء - كى يتخلوا
عنه .

فى مواقع الحراسة كانوا يتحولون الى سكون الحجر مثل
أشجار محترقة
وعندما رقصوا فى الميدان

ارتجت أسطح البيوت وقعقت الأوانى الزجاجية فى الرفوف .

آه ، أية أغنية هزت ذرى الجبال -
وضعوا بين ركبهم طبق القمر وأكلوا
سحقوا آهة فى أعماق قلوبهم
كما يسحقون قملة بين ظفريهم السميكين .

فمن سيجىء لكم الآن برغيف خبز دافئ فى الليل كى تطعموا
أحلامكم ؟

من سيحرس زيز الحصاد - فى ظل شجرة زيتون -
لئلا يهوى الى الصمت

وقت أن يدهن طلاء الظهيرة جدار الأفق المحيط
فيطمس أسماءهم الرجولية العظيمة ؟

هذه الأرض التي كانت تفوح بالأريج في الفجر
هذه الأرض التي كانت لنا ولهم - دمهم - أي عير كانت
تمنحه ! -

كيف أوصدت الآن دوتنا أبواب كرومنا
كيف ذوى الضوء على السطوح والأشجار
من يحتمل أن يقول أن النصف يرقد - الآن - تحت التراب،
والنصف الآخر في الأغلال ؟

بكل هذه الأوراق تقول الشمس لكم « صباح الخير »
بكل هذه الرايات تشرق السماء ،
غير أن هؤلاء الرجال في الأغلال وأولئك تحت التراب •

فلتصمتوا - ففي أية لحظة سوف تدق الأجراس •
هذه الأرض لهم ولنا •
وتحت التراب ، يمسكون بحبل الجرس
بأياديهم المعقودة ، في انتظار الساعة ،
لا ينامون ، أبدا لا يموتون في انتظار دق جرس النشور •
هذه الأرض أرضهم وأرضنا -
ما من أحد يستطيع أن يأخذها منا •

(٥)

في الأصيل جلسوا تحت أشجار الزيتون
ينخلون الضوء الرمادي بأصابعهم القاسية

فكوا أحزمة الخرطوش وحسبوا كم من العناء يمكن أن يتسع له
ممر النيل

كم من المראה في عقد الخبازى البرية
كم من الشجاعة في عيون الولد الحافى الذى كان يحمل الراية
عاليا •

فى السهل ، مكث السنونو الأخير طويلا ،
كان يتأرجح فى الهواء مثل شريط أسود على كم الخريف •
لم يبق شيء آخر • البيوت الخربة - وحدها - تحترق •
وأولئك الراقدون تحت الأحجار رحلوا عنا منذ زمان ،
قمصانهم ممزقة وقسمهم مكتوب على الباب المتهوى •
ما بكى أحد • لم يكن لدينا وقت • لكن الصمت سرعان
ما اتسع

والضوء الساقط على الشاطئ كان ناعما وأنيقا
مثل التدبير المنزلى للمرأة المقتولة •

ما الذى سيحدث لهم الآن عندما ينسرب المطر الى الأرض
مع الأوراق العطنة لشجر الدلب
ما الذى سيحدث عندما تجف الشمس على بطانية الغيمة
مثل بقعة مسحوقة على سرير أحد الفلاحين
حينما يقف لقلق الثلوج محنطا على المدخنة فى المساء ؟
الأمهات العجائز ينثرن الملح على النار ، يهلن التراب على
شعرهن
يقتلن كروم « مونيمفاسيا » لئلا تسكر حبة عنب واحدة فم
عدو

يضعن عظام أجدادهن فى كيس مع الفضليات
ويهن خارج جدران وطنهن
بحثا عن مكان يخرسن فيه جنورهن فى الليل •

سيكون من الصعب علينا الآن أن نجد كلمات أقل قوة
أقل صخرية من كلمات شجرة الكرز -
تلك الأيدي التي بقيت في الحقول أو على الجبال أو تحت البحر
لا تنسى -

سيكون من الصعب علينا أن ننسى أيديهم
من الصعب على الأيدي التي تصلبت على الزناد أن تبحث عن
زهرة اللؤلؤية

أن تقدم الشكر على الركبتين ، على كتاب ، على صدر نجمة •
سوف يستغرق وقتا • وعلينا أن نرفع صوتنا •
الى أن يجدوا خبزهم وعدلهم •

مجدافان تسمرا في الرمل ، عند الفجر ، في العاصفة •
أين القارب ؟

محراث مغروس في الأرض والريح تهب • الأرض احترقت •
أين الفلاح ؟

شجرة الزيتون والكروم والبيت - رماد •
ليلة قارصة في حذاء مزارع •
أوراق غار جافة في دولاب الحائط - لم تلمسها النيران •
براد شاي مسود في الموقد - والماء يغلي وحده في البيت
المغلق •

لم يكن لديهم أي وقت للأكل •

على مصراع الباب شرايين الغابة - الدم ينساب في الشرايين •
وهناك الخطوة المألوفة • من يكون ؟
الخطوة المألوفة بمسامير الحذاء ، تصعد •
زحف الجذر في الصخر • شخص ما قادم •
كلمة السر ، التوقيع الموثق • شقيق • مساء الخير •
بذلك - اذن - سيجد الضوء أشجاره
والشجرة ستجد - ذات يوم - ثمرها •
دورق الرجل الميت ما يزال به ماء وضوء •

مساء الخير ، يا أخى • أنت تعرف • مساء الخير •
وفى كوخها الخشبي تبسح السيدة العجوز « غروب » خيطا
وتوابل •

لا أجد يشتري • فهم تحولوا الى الأرض العليا •
ومن الصعب عليهم الآن الهبوط •
بل من الصعب أن ييوجوا بارتفاعهم •

وفى مطابق الدراس ، حيث تناول الشبان الشجعان عشاءهم
ذات ليسة ،

تبقى هناك نوى الزيتون والدم الجاف للقمر
مع المقياس الشعبى للبنادق :

فى اليوم التالى ، أكلت العصافير فتات خبز العسكر ،
ومن الكبريت الذى أشعل سجائرهم ومن أشجار زعرور
النجوم صنع الأطفال اللعب •

والحجر الذى جلسوا عليه تحت أشجار الزيتون
فى الأصيل ، فى مواجهة البحر ،

سوف يتحول غدا الى طلاء فى الآتون ،

وبعد غد سنطلى بيوتنا وعتبة « سانت سافير » ،

واليوم التالى ، سننذر البذور حيث ناموا

وسوف تنبثق براعم الرمان مثل الضحكة الأولى للطفل على
صدر الشروق •

وسنجلس - فيما بعد - على الحجر لنقرأ قلوبهم جميعا

كأننا نقرأ - للمرة الأولى - تاريخ العالم •

هكذا ، مع الشمس في صدر البحر ، وهي تصبغ الثوب
المقابل للنهار ،

فان صاعقة وعذاب العطش احتسبا ضعفين وثلاثة أضعاف
والجرح القديم احتسب من البداية
والقلب احترق في القبط مثل بصل « أرجيف » أمام الدور .

أكثر فأكثر تشابهت أيديهم والأرض
أكثر فأكثر تماثلت عيونهم والسماء .

جرار الزيت الطينية خاوية . بعض الثقل في القاع . والفار
الميت .

شجاعة الأم نزلت مع الجرة الطينية والصهريج .
ولبان الخراب لإذع بالبارود .

فاين ستجد الآن الزيت لقنديل « سائت باربرا »
والنعناع لتبخير أيقونة المساء الذهبية .

كسرة الخبز لليلة المتسولة لتعزف لنا غنوة النجم على كوكبة
القيشارة .

في حضن مرتفعات الجزيرة ، تحولت الكمشري والبرقوق
الشوكي إلى أشباح .

حرثت الأرض بطلقات المدافع والقبوز .

المواقع الرئيسية المدمرة ترقعت بالسماء . لاغرفة أبدا لموتى
آخرين .

لا غرفة للأحزان كي تتوقف وتجدل شعرها .

وخلال محجر العين الخاوي ، تبصر البيوت المحترقة البحر
الرخامي في البعيد

والرصاصات مغروسة في الجدران

كسكاكين في ضلوع القديس المربوط في شجرة السرو .

طوال النهار ، والموتى يشمسون أنفسهم ، ممددين على
ظهريهم .

وعندما يحل المساء يجرجرهم الجنود على بطونهم فوق
الصخور السوداء ،

فيبحثون بأنوفهم عن الهواء خارج الموت
يبحثون - وهم يعضغون قطعة من نعال - عن حذاء القمر ،
يضربون الصخور لتفرج عن قطرة ماء
لكن الجدار - فى الجانب الآخر - أجوف
يسمعون من جديد قذيفة المدفعية المنطلقة تسقط فى البحر
ويسمعون مرة ثانية صراخ الجرحى أمام البوابة .
قال أين تمضى ؟ فأجوك ينادى عليك .

الليل - فى كل مكان - مشيد من ظلال سفن أجنبية .
الطرق مسدودة بالجدران المهدومة .

فى اتجاه المرتفعات ونحدها ما يزال الطريق مفتوحا .
يلعنون القوارب ويعضغون أسننتهم
ليحسنوا بالألم الذى لم يتحول بعد الى عظام

على المتاريس يقف القادة المذبحون يحرسون الحصن .
وتحت ثيابهم تبلى أجسادهم . هيه ، يا أخى ، ألم تتعب ؟
الرصاص فى قلبك تبرعمت ،
خمس زنايق نبتت تحت ابط الصخرة الجافة ،
نفسا نفسا يروى الأريج العذب الحكاية الخرافية - ألا تتذكر ؟
لدغة لدغة ، يحكى لك الجرح عن الحياة ،
وزهرة الكاميليا التى تبرعمت من أقدار اظفر قدميك
تحكى لك عن جمال العبالم .

تتعلق باليد • انها يدك ، ملحية رطبة •
والبحر بحرك • عندما تنتزع شعرة من رأس الصمت
يقطر لبن شجرة التين مرازة • أينما تكون تراك السماء •

ونجم المساء يلف روحك كسيجارة بين أصابعه
فيمكنك تدخين روحك ، وأنت تستلقى على ظهرك
مبللا يدك اليسرى فى الليل الواضح ، ذى النجوم
واذ تلصق يدك اليمنى ببندقيتك ، خطيبتك ،
تذكر أن السماء ما نسيته أبدا
عندما تأخذ رسالته القديمة من جيبك الداخلى
وتقرأ - فيما تفتح القمر بأصابعك المحترقة - غن الشجاعة
والمجد •

سوف تتسلق - فيما بعد - الطريق صاعدا الى نقطة مراقبة
الجزيرة
وباستخدام نجمة - ككبسولة تفجير - تطلق قذيفة فى الهواء
فوق الجدران والصواري
فوق الجبال التى انحنت كجنود جرحى
كى ترعب الأشباح وتدفعهم الى مكنى الظل -
ستطلق قذيفة مباشرة الى صدر السماوات لتصيب درع
الزرقعة
كأنك ستعثر فى قميصها على حلقة المرأة التى سترضع طفلك
غدا
كأنك ستعثر - بعد مرور الأعوام - على مقبض باب بيت
أسلافك •

(٧)

البيت ، الطريق ، الكمثرى البرية ، الدجاجات التى تنقر لحاء
الشمس فى الباحة •
تعرفهم ويعرفونك •

وهنا فى الأسفل وسط العليق ، بدلت حية الشجرة جلدها
الأصفر

هنا فى الأسفل جحر النمل وبرج النحل بمعاركه الكثيرة ،
وفى نفس شجرة الزيتون قوقعة زيز العام الماضى ،
وصوت زيز هذا العام

فى حقول العدس ، ظلك الذى يتبعك مثل كلب صامت ، يعانى
طويلا ،

كلب وفى - يجلس فى الأصيل بجوار نومك الأرضى ويتشمم
الدفلى ،

وفى المساء ، يلتف على قدميك ويرقب احدى النجوم .

هناك ، صمت الكمثرى التى تنمو على سيقان الصيف

نعاس الماء وهو يتسكع حول جذور شجرة الخروب -

نبح له ثلاثة أيتام على مريسته

ونسر يموت فى عينيه

وعاليا هناك ، خلف غابة الصنوبر

تذوى كنيسة « سان جون » بالقرية

مثل قطرات العصفور البيضاء التى تجفها الشمس على ورقة
توت عريضة .

وهذا الراعى الذى التف فى جلد الغنم

له نهر جاف فى كل شعرة من جسده

له غابة بلوط فى كل ثقب من نايه

وعصاه لها نفس العقد كالمجداف الذى كان أول ما ضرب

زرقة « هيلليزبونت » .

ليس عليك أن تتذكر . فشريان شجرة الدلب له دمك .

والجزيرة زنبق وكبر

فى ذروة الظهيرة يجهر البثر الصامت

بصوت دائرى من زجاج أسود وريح بيضاء

مستدير كجرار طينية قديمة - نفس الصوت القديم •
وفي كل ليلة ، يقلب القمر الموتى على ظهورهم
يفتش في وجوههم بأصابعه الثلجية عن ابنه
ذى الجرح فى ذقنه ورموشه الحجرية
يفتش جيوبهم • فسنيجد دائما شيئا ما • دائما ما نجد
شيئا ما •
مفتاح ، خطاب ، ساعة توقفت على الساعة • نملا الساعة
من جديد •
وتنطلق الساعات •

وعندما تبلى فى الغد ثيابهم ، ويبقون عرايا وسط أضرارهم
العسكرية

مثل كسرات سماء وسط نجوم الصيف
مثل النهر بين شجيرات الغبار ،
مثل البحر الملتوى بين أشجار الليمون فى أوائل الربيع ،
آنثى ، قد نعثر على أسمائهم ونهتف : اننا نحب •
آنثى • • لكن من جديد ، قد تبدو هذه الأشياء بعيدة ،
لكنها مع ذلك قريبة تماما ، مثلما تشد على يد فى الظلام
وتقول :

« تصبح على خير »

بالشفقة المريرة للمتفنى حينما يعود الى وطنه
فلا يتعرف عليه حتى أهله لأنه عرف الموت

وعرف الحياة قبل الحياة وفيما وراء الموت
ويتعرف عليهم • ليس من وراء فى الغد ، يقول •

وهو على يقين من أن الطريق الأطول هو الأقصر الى قلب الرب •
وساعة أن يقبله القمر في أسي على رقبته ،
وهو ينفض رماد سيجارته عبر سياج الشرفة ، قد يبكي
بسبب يقينه
قد يبكي بسبب يقينه في الأشجار والنجوم والأشقاء •

أثينا : ١٩٤٥ - ١٩٤٧

من شهادات

* عملية

كان يتجرد يوماً بعد يوم •
خلع ثيابه أولاً ،
ملا بسه الداخلية فيما بعد ،
جلده بعد ذلك ،
وبعده لحمه وعظامه ،
الى أن تبقى - فى النهاية - ذلك الجوهر البسيط ، الدافئ ،
النظيف ،
الذى يشكله - خفياً وبلا يدين -
أباريق صغيرة وقصائد وناسا
ربما كان - هو نفسه - واحدا منهم •

* منظور

بيوتنا مبنية أعلى بيوت أخرى ، فى صف ، من رخام ،
وأولئك أعلى بيوت أخرى •
أقيمت أساساتها فوق رؤوس تماثيل منتصبة ، بلا أيد •
لهذا ، فمهما كان انخفاض أكواخنا فى السهل ،
تحت أشجار الزيتون لتتحمى بها ،
صغيرة ، مسودة من الدخان ، وبجانب الباب أبريق وحيد ،

فأنك تتخيل أنك تسكن عاليا ، وحولك يتلألأ الهواء ،
أو تتخيل أحيانا أنك خارج البيوت ،
أنك بلا بيت ،
وأنك تتخذ طريقك غاريا متصليا ،
وحيدا تحت سماء زرقاء - بصورة زائلة - أو بيضاء ،
و - عرضا - يلمس تمثال بخفة كتفك يده .

* ماء وطنين

انحنى فوق البئر - دائرة من ظلام ،
ظلام بارد يتلألأ .
وهناك ، فى المركز ، وجهه المضى محصور .
آنثى رمى الدلو وسحب الماء . كان عطشاناً .
شرب . لم يكن فى الماء أحد .
هل يمكن أن يكون - فى عطشه - قد شرب وجهه ؟
سيحتاج الآن - على الأقل - الى قناع يشبهه
(والا فكيف سيعيش وسط الكائنات الانسانية ؟)
أخذ ماء وطنينا ، عجن الطين بعناية ،
لكنه لم يعد يستطيع تذكر شكل وجهه .
نظر الى يديه ، -
طين يتدل - أحمر لامعا - من أصابعه .

* اصيل

الدجاج ما يزال ينقر فى الطريق .
وزوجة القبطان العجوز جالسة فى الباب
تحمل حفيدها فى حجرها المفتوح .
طفل يحمل سلة .
البيوت العشوائية تواجه الغروب ، بجذوعها القديسة .

- وأسرتها ومناضلها الحديد - وصورها المؤطرة •
- الملاءات تنشر تاريخها في مستطيلات عريضة •
- البحر غير مسموع •
- ويد كبيرة خفية ترفع المقاعد شبرين فوق الأرض •
- كيف يعيش الناس بلا شعر ؟

* مهندس معمارى

- مجموعة فتيات في ثياب وردية
- يضحكن في ركن البيت المهذوم •
- البنائون يعلقون بنطلوناتهم وقمصانهم في مسمار بالمبنى الجديد ،
- يأخذون لوح الملاط ، والمسطرين
- ويصعدون السقالات الكبيرة ، العارية
- كأنهم يصعدون الى السماء •
- والمهندس يحسب ، يتذكر ، يقارن ، يراقب ،
- ينظر باكتئاب ، كأن تخطيطه قد ظل نصف مكتمل ،
- كان المبنى الكبير لن يكتمل أبدا •
- يأخذ مسمارا ويسمره بنفسه في اللوح ،
- انثنى المسمار • ضحك العمال • ضحك أيضا •
- خلع قميصه وهو يشعر أن - في ضحكهم الشعبية هذه -
- قد توحدت يده وتخطيطه وبنائهم •

* بناءون

- رأيت من هم بناءون بالغريزة
- وأولئك الآخرين بحكم المهنة
- والطائفة الثالثة ممن يبنون للثأر من الموت
- وأولئك ممن يبنون عن وعى وتصميم ؟

كلهم يتوقفون الآن جميعا ،
يمسحون أيديهم التي تغطت بالجبس في بنطلوناتهم ،
يمسحون عرقهم ويكون
لا يمسحون دموعهم .

والآن ، يلتصق الملاط أفضل بهذه الطريقة .
وهو ما يحدث فيما وراء قصدهم
ذلك هو السبب في أن البنائين - في الليل -
يحلمون بهذا الـ « ما وراء » المجهول ، الغامض
فيبنون كل صباح الـ « هنا » أفضل .

* نهاية خطبة

في اللحظة الأخيرة ، وهو ينهى خطبته وسط التصفيق ،
أضاف تعبيرا غامضا وهادئا :
« الرجل الذي صفقتم له لم يكن أنا ،
وكلماتي لم تكن لي -
انها مرايا صغيرة في مواجهتكم
ترجع شظايا من وجوهكم أو توقعكم ،
وفي مواجهة كلماتي كنت أقف أيضا كضوء بعيد
ينعكس في المرايا ، ويرمي أشعته الناصعة في عيونكم
لتمنعكم من رؤيتي .
كلماتنا الحقيقية تكمن عميقا في الصمت
(ولا حاجة بنا إليها ، على أية حال) .
وأفعالنا الحقيقية دائما ما تقصى الشهود أو تقتلهم ان استطاعت
أو تتخلص منهم مقابل ثمن باهظ
ما نمتلكه هو - فقط - ما لا يحتاج الى برهان .
وكل التصفيق هو شهادة تالية أو زائفة بلا وعي ،
في تلك اللحظة ، انطفأت الأضواء فجأة

وبدا الجميع يتدافعون ناحية أبواب الطوارئ ،
فلم يستطع أحد أن يرى التعبير على وجوههم أو وجهه .
ربما فقط ، كان هناك صمت إجباري معتم ، يرفرف حرا
فى المرايا المعلقة بقاعة الاستماع .

* تحت النسيان

الشيء المادى الوحيد الذى تركه بعده هو سترته .
علقوها هناك ، فى الدولاب الكبير .
نسيت ، وأزاحتها ثيابنا الى الوراء ،
ثياب الصيف ، ثياب الشتاء ،
ثياب جديدة كل عام من أجل احتياجاتنا الجديدة .
الى أن لفتت انتباهنا ، ذات يوم ، -
ربما كان لونها الغريب ،
ربما كان أسلوب خياطتها القديم .
على الأزرار كانت هناك ثلاثة أماكن دائرية موحدة :
حائط الاعدام بأربعة ثقب ، محاطة بئدمنسا .

* ربما كان يعرف

بعد أمراضه المتوالية ، تبقى هذا الوهن ،
يوميء برأسه صعودا وهبوطا ،
ويهمهم بابتسامة : « حقا ، حقا ، حقا ، حقا » .
بطريقة مضحكة بالفعل ، لكنها أيضا ودية .
« حقا ، حقا » ، يهز رأسه طوال الوقت
كغصن معتم هش به ورقة خضراء وحيدة . -
والرياح تعصف به أبدا
فى مشهد طبيعى أجرد ورقى
لعرفان بلا تبرير .

* نفس البرودة ؟

أيام كثيرة ، ليال كثيرة ، أعوام كثيرة ، - كان متعبا .
لم كل هذا العناء ؟
بعد منتصف الصيف ، كل صيف ، يسمع مجموعة من الشبان
يمرون خارج نافذته يضحكون ، يغنون ، يمزحون .
وهو ؟

عندما أضواء الصباح من جديد للمذاكرة
رأى حلزوننا يصعد المحبرة ببطء .
لكن في الخارج أيضا ، - تذكر - بجوار البئر ،
المزهريات ، في مساءات الصيف ، في كل الحقائق المروية ،
وبجوار الزهور يتمشى سرب من الحلزون .

* العرافة

شعرها فوضي ، دائمة ،
كانه عويل على جثة ما خفية ،
أو على جثتها هي .
« نعمة العرافة » ، تقول « نعمة شريرة » .
والشبكة المظلمة في الحمام المعلقة أمام عينيها
تشبه شعرها -
ليست شبكة موت فحسب ، بل أسوأ ،
شبكة اصطیاد ، شرك للحسد أو اللاجدوى .
والآن تقترب - من جديد - تلك الساعات الفاتنة الهشة من
الريبع -
كطفل يغمس قدميه في ذلك الحوض العميق ،
يلعب بالصابون ..
بأطراف أظافرها تصنع شقين في شعرها المنسدل ،
كانها تعزف على قيثارة ،
ثم تحديق في الثقبوب ،
تخمن عن صواب و - عن صواب - تبتسم .

* ليلة قديمة

- هناك عاليا ، جبل الظلام مبكرا
- ليلة شفافة ، مضيئة كالنهار
- بستان الزيتون المعتم ،
- الشجيرات المحترقة من الشمس وسط كتل الرخام
- المسرح المقعر المعلق على جانب التل
- ترس كبير مرمي ووجهه في الأقدار
- اذا ما أمطرت ، فلسوف يمتلئ بالماء ،
- وستأتى السنونوات الى هناك لتشرب ،
- مع الدب والأسد والثور و « كريستوثيميس » ،
- وكلاب حارس الغابة الثلاثة ، والقمر

* صورة جانبية يونانية

- بحر معتم ، يتنفس سرا في الليل
- قوارب الصيد الفارغة راسية على الشاطئ -
- والسر العميق في أجسادها المبلولة ما يزال غير منطوق
- أشعل شخص ما كبريتا ، ثم سيجارة
- هذه الصورة الجانبية لعشرين عاما من العمر على القارب -
- نعرفها منذ ثلاثة آلاف عام (الشعر منسبدل هكذا تماما)
- وراء الأشرعة المعتمه ، اندفيع شهاب كالبرق ،
- وهو يكشف شلال شعر لفتاة منحوتة في الخشب

* ضوء غامض

- غربت الشمس منذ ساعات :
- فمن أين يأتى - اذن - هذا الضوء الكبريتى ،
- فيدفن السهل في أقدام هذه الجبال العمودية ، كما لو فى
- السديم ؟

قلامة ظفر القمر القرنفلية تفوص فى الغرب •
ويمكنك - بالكاد - أن تستكمل النوافذ الأربعمئة وثلاث
للمدايح القديمة ،
وحتى جلود حيوانات الأضحيات ، المنشورة على الأسلاك
الشائكة -
وفى أقصى الطرف الأسفل ذلك الصوف النهي ،
الذى يلتصق بجوار مقبض الباب الحديدى •

أوريست

(شابان ، كلاهما فى حوالى العشرين من العمر ،
توقفا أمام الأروقة . بديا كأنهما يحاولان تذكر شيء ما ،
واستعادة التعرف عليه ، لكن ما استثارهما أن كل شيء
كان مألوفاً بصورة لا تصدق ، برغم أنه أصغر الى حد
ما - بكثير - مما تخيلاه فى المكان ، كما كان وزمان
مختلفين تماماً : الجدران ، هذه الجلاميد الهائلة ،
بوابة الأسد ، والقصر فى ظل الجبل . . . جل الصيف .
كان الظلام يهبط . رحلت العربات الخاصة والأتوبيسات
السياحية الكبيرة ، وأطلقت الساحة المسترخية زفيرها
فى السكون ، زفيراً عميقاً ينطلق من مقابر ذكريات
ما قبل التاريخ . قصاصة جريدة ترتعش على العشب
المحترق ، وقد لمستها هبة واهية من ريح . وكان
للمرء أن يسمع وقع خطى الحارس الليلي ، وصوت
مفتاحه الثقيل فى الباب الداخلى للقصر . آنثد ، بدأت
الجداجد تقرر طبولها النحيلة ، كما لو ان ندى الليل
الدافئ قد أطلق سراحها . ضوء غمامض زحف خلف
الجبل - ربما القمر . فى هذه اللحظة - بالتحديد -
انفجرت صرخات حادة عند الدرج الرخامى - عويل
امرأة أليم ، بلا تفسير . وقف الرجلان دون أن ينظر
أحدهما الى الآخر ، مندمجين - كظلين كبيرين - فى
الجدار الوطنى . ثم أخرج أحدهما وشاحاً ومسح
جبهته ، وأشار - فى ارهاق - باصبعه ناحية الصخب .

وبدا في الحديث الى رفيقه ، والذي سيظل صامتا
منتبها بصورة فائنة ، كما « بيلاديس » .

أنصت . . . انها لم تكف حتى الآن ، لم تستنفد نفسها .
ذلك لا يحتمل في ليلة يونانية نموذجية ، دافئة ، ساكنة ،
منعزلة ولا مبالية ،

وان منحتنا هذا العزاء الفريد :
أن نكون فيها ، أن نراها من داخلها ،
و - في نفس الوقت - عن مسافة منها ،
أن نشهد ما عارية حتى أوهي اختلاجة لجداجدها ،
وأقل رعشة لجلدتها المظلم ،

مثل هذا الاستقلال ،
هل نجرؤ - نحن أنفسنا - على الحلم به ؟
بفرحته الفاتنة باللامبالاة ، والصبر ،
فيما وراء العالم ، في العالم ، وفي أنفسنا :
وحيدا ، متحدا ، متحررا ،
فيما وراء هذه التنافسات ، والمقارنات ، والتعسفات ،
فيما وراء معيار الآخرين في الآمال والرغبات ،
يكفى أن ترى رباط صندوقك ،
حيث يفصل الاصبع الكبير ليديره تجاهي ،
وتجاه مكان يجاوز زهور الدفلى ، سري ، ولي وحدي ،
فيما تتساقط أوراق الليل الفضية مرتعشة على كتفيك
ومسيل النبع يمر - واهيا - تحت أظافرنا .

أنصت اليها ، -
فصوتها يغلفها كمقبرة تطن بالنجل ،
وهي - نفسها - تتدلى داخل صوتها

كلسان جرس يقرع ويقرع جدران الجرس ،
لكن لا من أجل جنازة أو حفل -
فليس هناك سوى هذه الصحراء الصخرية الطاهرة ،
و - في الأسفل - صمت الصنحراء المستكين ،
الذى يحول غضبها الطائش الى سكينه ،
وكل ما حولها كطائرات ورقية بريئة ،
نجوم بلا حصر تتحرك مع الحفيف الورقي الأبدى لذيولها
الهائلة .

فلنمض الى خارج مدى السمع - الى التل الخلفي
لكن ليس الى مقابر الأسلاف .
فلن أقدم - الليلة - أية قرابين ،
لن أجز شيئا من هذا الشعر
حيث كثيرا ما هامت يدك ...
ومع ذلك ، فهي ليلة فاتنة ،
تبدو كأنها جزء منا
وقد انفلتت وانجرفت بعيدا ،
ننصت اليها وهي تتحول الى نهر أسود يسعى الى البحر ،
مزيدا - بين حين وآخر - تحت الأغصان ،
تحت البريق الخشن للنجوم ،
في صيف ظالم محروق مجذب من الرحمة -
نهر مفعم بالانقطاعات القصيرة ، الغامضة ،
والقفزات غير المتوقعة (ربما كان أحدهم يرميه بحجر) :
الخيرير المرح والنوافذ عبر الكروم تومض .
أمر غريب ،
فطوال حياتي كانوا يؤهلونني لذلك ،
والآن ، وأنا أقف هنا أمام البوابة ،
أحس بعلم التأهيل تماما .
فالأسدان الرخاميان - هل تراهما ؟

كم أصبحا أليفين ! -
رغم أنهما كانا يبدوان غاية في الشراسة عندما كنا صغارا ،
وحشيين ، وعرفاهما ينتصيان لقفزة مستحيلة ...
عما هما الآن ينتهيان على مؤخريهما في قناعة
على الزاويتين العلويتين للمدخل ،
قراؤهما بلا حياة ، وعيونهما جوفياء
- لا شيء يخيف فيها -
ولهما نظرة الكلاب المكدودة ،
لكن - حتى - دون أن تكون تعيسة :
وفية ، عمياء ، بلا أثر لضغينة ،
فقط ، بين الحين والحين
يمدون ألسنتهم ليلعقوا النعل القاتر لليل :

حقا ، غير مؤهل .
لا أستطيع ذلك .
لا شيء داخلي مع هذا المشهد ،
مع الزمن ، مع هذه الأشياء والأحداث .
ليس ذلك لأنني جبان ، -
غير مؤهل عند بدء الفعل ،
غريب بكامله عند غاية رتب لها الآخرون .
فكيف حدث أن نجحوا - شيئا فشيئا - في تحديد مصيرنا ،
في فرضه علينا ،
وفي أن تقبل - نحن أنفسنا - به ؟
كيف حدث أن نجحوا في نسج حياتنا كلها .
من أجمل الخيوط للحظات ماضية معدودة ؟ -
رداء خشن ، كالح يلفنا مثل كف من الرأس الى القدم ،
ليخفي وجهنا كله ، بل وأيدينا
التي أقحموا فيها سيفنا لم نره من قبل أبدا ،

وبريقه القاسى يكشف مشهدا لا ينتمى اليينا -
متأكد أنا من ذلك : لا ينتمى اليينا .

وكيف حدث أن قيل مصيرنا الحقيقى - أيضا - بذلك ،
متراجعا وهو ينظر شزرا اليينا
والى مصيرنا المغاير مثل غريب :
أصم ، صامت ، مستغن ، نساء ،
دون - حتى - سيماء المهابة أو الرزانة ،
دون لياقة أن يتوارى ، أن يموت ،
ويتركنا فريسة لهذا المصير الزائف
(مصير واحد فحسب : غير متضارب أو ممزق) .
انظر اليه وهو يستلقى هناك ،
ناعسا فيما يبدو ،
واحدى عينيه مغمضة ، لكن الأخرى مفتوحة قوية ،
ونحن نعرف (كما يشتهى تكون) أنه ما يزال يراقبنا ،
ويمكنه أن يرى اختلاجنا الأبدى ،
دوننا ادانة ولا غفران .

هناك - فيما يبدو - قوتان متعارضتان
تتوافقان مع قدمينا ،
كل واحدة تشد قلما الى أبعد ما تستطيع عن الأخرى
توسع خطواتنا الى حد تمزيق الأوصال ،
ويصبح الرأس نوعا من الزابط
الذى يحفظ هذا الجسد الممزق فى كتلة واحدة .
بينما خلقت الساقان - فيما أعتقد -
لتتحرك كل واحدة بالتبادل ،
والاثنان فى خطوة واحدة ، فى اتجاه واحد ،
هيوطا الى السهل بكرومه المعنقدة ،

فى اتجاء الأفق الذى يتوهج على البعد ،
فيولد الجسد بكرة •
أم أن الحقيقة أننا خلقنا
من أجل تلك الخطوة الأخرى -
تلك الخطوات الكبرى ، الساخنة
فوق الهاوية المجهولنة ،
فوق القبور ، فوق قبرنا ؟
لا أعرف •

ومع ذلك ، فتحت الجذور الراقدة العديدة للقوى والخوف
يمكننى أن أحس الامتداد اللانهائى للضممت :-
نوعا من العدالة ،
توازننا مكتفيا بذاته
يضمنا فى نظام واحد مع البذور والنجوم -
فهل لاحظت ذلك ؟

ففى طريقنا الى هنا ، فيما بعد الظهيرة ،
كان ظل غيمة يمتد عبر السهل ،
فيغطى حقول القمح ، وأحراش الزيتون والكروم ،
والخيول ، والطيور ، والأوراق -
كمشهد بعيد فى السماء
مطبوع بخفة فى الأسفل هنا على الأرض -
والمزارع يسير على طول حافة السهل
فيبدو كأنه يحمل - تحت ذراعه الأيمن -
ظل الغيمة الكامل كمعطف هائل -
مهيب ، وإن يكن بسيطا كثوبه المصنوع من جلد الغنم -

هكذا تصبح الأرض حميمة للسماء ،
متخذة لمحة من زرقتها ، من غموضها ،

والسواء - بالمقابل - تتخذ شيئا من الأرض ،
شيئا ما دائقا وأسير مصقرا ،
شيئا ما من أوراقها ،
من جذورها وصيريرها الأرضي ،
وشيئا ما من العيون الصبورة للبقر - هل تذكرها ؟
ومن الساقين الثابتتين لذلك المزارع
وهو يختفى من البصر •

لكن أختي تحاول الإبقاء عليه •
أنصت إليها •
كيف يمكنها ألا تسمع صوتها ؟
كيف يمكنها الإبقاء على نفسها محبوسة
في لحظة ساكنة من زمن غابر ،
من مشاعر غابرة ؟
كيف ، وبأي شيء ، يمكن أحياء
هذا الهوى الحقود ، وصوت الهوى ،
عندما تكذبها كل الأصدا ، بل وتسخر منها ؟
- أصدا من الأروقة ، من الأعمدة ،
من الأثاث ، من الدرج ،

من جرار حفظ رماد الموتى بالحديقة ، والقنساء ،
من كهوف زارا ، من الحظائر بالوادي ،
من الحراسن القائمين على التلال ،
من الثنيات الموجودة على تماثيل الالهات في الساحة ،
من القضبان الرخامية الضخمة لرماة القرص والعذائين •

حتى الزهريات داخل المنزل تبدو كأنها تعارض صرخاتها
مع إيماء الموافقة من بضع زهرات رقيقة

رتبتها - بذوق - يد الأم ،
هناك على الخزانة المنحوتة ،
في واجهة المرأة الموروثة ،
في وهج (مزدوج من الانعكاس)
يبدو كما لو من خلال ماء - أتذكره منذ الطفولة ؟ -
ذلك - على الأقل - ما احتفظ به عقلي صافيا :
وهج مائي ، باهت ، حيادي -
غموض فيما وراء الزمن والخطيئة :
شيء ما ناعم ، وأثير ،
كحزن فتاة صغيرة ،
كزغب على الشفة العليا لصبي ،
كرائحة جسد نضر من الحمام ،
على الملاء الدفيئة بأنفاس ليلة ضيف مترعة بالنجوم .

لكنها لا تعي شيئا من ذلك ،
ولا حتى الأصداى التي تسخر من صوتها المتناثر .
اننى خائف :
لا يمكننى الاستجابة لنداءاتها -
الفساد والمبتذلة فى نفس الوقت -
لكلامها المفحم هذا ، البالى
الذى يبدو خارجا الى النور
من صناديق كتانية تنتمى الى ما يحب العجائز أن يسمونه
« السنين الخوالى » ،
كأعلام مكرمشة هائلة ،

وغضونها يتخللها الفتالين ، وخيبة الأمل ، والصمت -
كلامها العتيق الذى لا يحمل أى شك فى عمره الحقيقى .
وهو يواصل القرقة بعيدا بايماءات غابرة

فوق رؤوس السناثرين المتعبين ، المتبرمين ، بلا ارتياب ،
فوق الشوارع الأسفلتية ،
التي ما تزال - برغم حجمها - متواضعة ،
بتوافد محلاتها الأنيقة
بالمثلثة بيضائح البللور وأربطة العنق ،
وملابس البحر ، والقبعات ، وكتب الجيب ،
وأمتعة السفر التي تستجيب لاحتياجات اللحظة
والاحتياج الدائم للحياة التي تفقدنا •
لكنها تضي في اعداد الميد والمؤن للموتى ،
الذين ما عادوا يشعرون بالجوع أو العطش ،
بل وما عاد لهم أفواه ،
والذين لا يحلمون أبدا بالعودة أو الانتقام •
انها - والى الأبد - تستحضر عصمتهم
(لكن أية عصمة ؟) ،

ربما لتتهرب من عبء الاختيار والقرار -
عندما تصبح أسنان الموتى ، النظيفة المبعثرة في التراب ،
بذوراً ناصعة في واد أسود بلا مثيل ،
لتنبت أشجاراً من عظام بيضاء ، لا مرئية ، معضومة ،
تومض كالفسفور في ضوء القمر حتى نهاية الزمن •

كيف يمكن للسانها أن يحتل النطق بهذه الأشياء ،
بكلمات منزوعة من صناديق قديمة
(من نفس النوع الذي اعتادوا صنعه بمسامير حديدية هائلة
للزينة) ،

منزوعة من بين القبعات القديمة للأم ،
ذات الطراز القديم ، التي لم تعد ترتديها :
لن يدركها الموت فيها •
هل تراهنا في الحديقة هذا الأصيل ؟
انها فاتنة كما كانت ، لا أكبر حتى بيوم واحد ،

ربما لأنها تضع الزمن نصب عينها ،

وترعاه كل لحظة -

أعنى أنها عادت شابة من جديد

على وعى بالشباب الذى فقدته ،

وذلك - ربما - سبب استعادتها له .

وصوتها ، الآنى تماما ، اليومى تماما ، المعافى تماما ، -

وهى تستخدم أكبر الكلمات وأصغرهما بصورة طبيعية ،

بأعظم المعانى الممكنة - مثلما تقول :

« هناك فراشة تدخل من النافذة » ،

أو « العالم أروع من أن يحتمل » ،

أو « يمكن اضافة مسحوق تبييض أكثر للبياضات » ،

أو « لفحة واحدة من شذا المساء تراوغنى »

ثم تضحك ،

كما لو لتستيق شخصاً ما تخشاه ، يوشك على الضحك .

وفهمها الكامل وتدليلها الرقيق لكل شخص وكل شيء -

هو - غالباً - احتقار ما .

كنت دائماً معجبا بها ،

بل وأخافها ، لهذا الوعى الذاتى ، لهذا الزهو الرفيع ،

فتختلط لدى ضحكتها الخفيفة ، المتعددة الأبعاد ،

بذلك الهسيس والشعلة الخفيفة لعود الكبريت

وهى تشعل المصباح المعلق فى غرفة الطعام -

وستكون هناك ، مضاءة من أسفل ،

بأقوى ضوء مركز على الخطوط الناعمة لذقنها

وعلى فتحتى أنفها الرقيقتين ، المتسعيتين ،

اللتين توقفتا - لحظة - عن التنفس وضافتا ،

كما لو ان ذلك سيقبقيها الى جانبياً ،

سيتمهل بها ، يبقيا ساكنة ،
دون أن تذوب كخيوط دخان في رياح المساء النشيطة ،
ودون أن تتبدد بفعل الغصون الطويلة للأشجار ،
ولا أن تضع في أصبعها كشتبان إحدى النجوم
من أجل تطريز بلا نهاية .

وكان لها أن تنفرد بحركتها ،
وتوقفها الدقيق في نقطة الغياب بالذات -
كنت دائما ما أخشى أن تتلاشى ،
أو تهبط كأحد الآلهة ،
حينما تنحنى لتربط الصندل
الذي يترك أظافر قدميها الملونة مكشوفة ،
كنبات « بخور مريم » النحيل ،
أو عندما تعد شعرها أمام المراة الضخمة
بتلك الطريقة اللافتة في تحريك يدها ،
الفتية الرشيقة ،
بدت كأنها تشبك ثلاث نجومات أو أربع في جبين العالم ،
أو تدفع زهرتي ربيع الى قبلة بجوار النبع ،
أو تنظر بارتياح ، في تائر واضح
اذ يتسافد كلبان وسط الشارع المترب
في أصيل صيفي حار .
كانت الأم - في آن - بسيطة للغاية في اقناع ، وقوية للغاية -
مهيبة لايسير غورها ، معا .
ربما كان ذلك الشباب الأبدى هو ما لم تستطع شقيقتي
غفرانه -

فهي نفسها قد شاخت في السن ،
عاقلة في تناقضاتها ، معارضة - في تعصب - للفرح والجمال -
زاهدة ، بغیضة في حذرهما ، ..

وحيدة ومنعزلة •
حتى الأشياء التي ترتديها -
عتيقة مزمنة ، فضفاضة ، رثة بائسة ،
والحيل الذي يربطهم الى الخصر قديم متهالك ،
كشريان جاف حول بطنها (ما تزال تربطه باحكام) ،
كجبل بعض الستائر الساقطة ،
التي لم تعد تنغلق أو تفتح ،
لتمنع المرء - فحسب - تلك اللمحة الجانبية
لمشهد طبيعي ضيق وأجرد -
عالم من صخور نائمة وأشجار هائلة بلا أوراق
تمد أغصانها تجاه ستارة خلفية من غيوم مخططة بديئة ،
وهناك ، فى البعيد ، الحضور الخفى لخروف ضائع ،
كلطخة باهتة للحياة ، نتفة من رقة لاتين ،
وأختى نفسها جلمود منتصب ، موصدة فى صدفاتها القاسية -
لا تحتبيل •

أنصت اليها ،
فهى - عموما - تافهة •
دائمة المراقبة للأم ،
تنفجر فى الغضب حينما تضج وردة فى صدرها أو شعرها ،
أو حين تمر خلال الردهة بهذا الكمال الايقاعى فى خطواتها ،
أو حين تميل برأسها قليلا الى جانب فى تسليم ،
وقرطائها الطويلان يقطران نغما فاقنا على كتفها ،
نغما هى وحدها التى يمكن أن تسمعه -
انه هبتها الالهية •
وهو ما يترك الأخرى مستشيطة •

وهي تغذى غضبها بحدة صوتها -
(بذلك الذي ذهب أيضا ، ما الذي استبقته ؟) -
أشك أنها خائفة من الفعل ذاته الذي تصرخ من أجله ،
خائفة - حقا - من أن يتركها بلا شيء .
فهي لم تسمع أبدا الحفيف السرى لعشب المساء
وأحد الكائنات الخفية الرشيقة
يزحف الى ما وراء النوافذ في الغسق ،
ما رأت أبدا سلم الجبال المعلق بلا سبب من أعلى ،
على جدار قاحل ، في إحدى العطلات .
ولم تلاحظ هذا الافتقار الى سبب .
ولم تر الريشة على أذن من ذرة
وهي تنظف قدم غيمة نجيلة ،
أو شكل أبريق ، مرسوم قبالة النجوم ،
أو المنجل الذي سقط بجانب النبع ، في أوج النهار ،
أو حتى الظل الذي يرميه نول في غرفة مغلقة ،
وهم يرشون الكروم بالكبريت ،
وصيحات الحصادين تطفو من السهل ،

بينما العصفور ، وحيدا تماما في العالم والساحة ،
يشاكس الذباب ، والبذور ، والفتات القليل ،
ويحاول اكتشاف حريته .
لم تر أي شيء .

بليدة ، مسجونة في عماها .
كيف يمكن لها - مهما كان - أن تعيش حياتها منفردة
في تضاد مع حياة شخص آخر -
بدون مكان حقيقي لها -
بدافع كراهيتها لحياة شخص آخر
لا بدافع حبها لحياتها ؟

• ماذا يريدون ؟

• ما الذى يريدونه منى ؟

• الانتقام ، يصرخون

• الانتقام !

• اذن ، فعليهم أن يتلقوه ضدهم ،

• طالما أن الانتقام هو ما يبقوهم أحياء .

• لا أستطيع أن أسمع المزيد • كفى •

• فما من أحد يمتلك الحق فى التحكم فى عيني ، وفمى ، ويدي ،

• وقدمى اللتين تختاران الأرض التى أمشى عليها •

• خذ يدي

• ولنمض

• ليالى صيف طويلة ، كاملة لنا وحدنا ،

• مزيج من نجوم ، كؤوس نبيذ مهشمة ، أباط عرقانة ،

• حشرة تثز فى رقة فى طيلة أذن الصمت ،

• سحالى تتدفأ عند أقدام شبان من رخام ،

• يرقانات على دكك الحديقة ، أو فى دكان الحدادة المغلق

• تمشى فوق السندان العملاق ،

• تاركة خلفها على الحديد الأسود

• آثارها البيضاء من السائل المنوى واللعاب

• علينا ألا نعود الى ميسيناى •

• فالأرض هنا تمور بصدا البرونز والدم الأسود •

• و « أتيسكا » أقل ظلما بكثير •

• اننى أحس أن هذه الساعة هى ساعة نكرانى الزاهد الأخير :

• فلن أكون أحد شؤونهم ، خادمهم ، أدواتهم •

• ولا حتى الحاكم عليهم •

انه أوان البدء فى أن أعيش حياتى الخاصة •
ولا مكان فيها للانتقام •
فلماذا نستبقى موتنا آخر ، موتنا قاسيا ،
مستمدا من الموت ذاته ؟
ما الذى سيضيفه الى الحياة ؟
ذلك كله قديم غابر •
ذهبت الكراهية •
فهل نسيت ببساطة نفسى الممزقة ؟
لا أدرى •
بل اننى أحس بتعاطف مع القاتلة -
فقد حدثت فى قلب جحيم عظيم ،
وعى هائل فتح عينيها عن آخرهما فى الظلام ، لترى -
ترى ما لا ينفد ، ما لا ينال ، ما لا يتغير :
ترانى •

وأنا - أيضا - أريد رؤية مقتل أبى فى الضوء المعزى للموت
المجرد ،

وأن أضيعة فى توحد الميتات التى تنتظرنا جميعا •
لقد عرفت اللبلة براءة كل غاصب •
ونحن جميعا غاصبون لشيء ما :
بعض الناس ، بعض العروش ،

الحب من الآخرين ، أو حتى الموت :
وأختى قد اغتصبت حياتى الوحيدة ،
وأنا اغتصبت حياتك •

صديقى ،
لقد شاركتنى - فى صبر - هذه الشؤون الغريبة ، التافهة •

لكن يلى هى يدك -
خذها ، اغتصبها (نعم ، حتى أنت) •
فهى لك ، ولى أيضا •
امسك بها ، ضمها اليك •
أعرف أنك تريدها متحررة من الذكريات ،
من الجراح القديمة ، وآثام الأسلاف -
متحررة بشكل حقيقى •
أنا - أيضا - أحلم بذلك ،
فأنتذ - فحسب - ستكون بأكملها ملكى ،
ملكى - أنتذ - لأمنحها لآخر •
اغفرلى هذه العزلة والانقسام الداخلى -
فأنت تراه بوضوح - والذى يتركنى ممزقا ...
يا لها من ليلة فاتنة •

أريج حاد لزهور الكبر ، والأورجانو ، والزعر -
أم انه منقار الكركى ؟
اننى أخلط بين الروائح المختلفة •
فأحيانا ما يفوح الدم برائحة تشبه مياه المحيط المالحة ،
ورائحة السائل المنوى تشبه الغابة - تحول واع ربما -
فذلك - بالتحديد - ما أبحث عنه الليلة •
هل تذكر ما أخبرنا به الجندى ذات ليلة فى أثينا ؟
كيف أنه أخفى نفسه ذات مرة فى الأكمة المظلمة

على شاطئ دمرته الأنات ، وحديد المعركة المصلصل ،
وهو يرقب الظل المتأرجح الذى يرميه ضوء القمر
لعضوه شبه المنتصب تجاه فخذه -
محاولا أن يثبت وجوده ،
ويختبر قوة ارادته على جسده ،

على أمل الانتقال من السهل المقعم بالموت ،
على أمل حرية يؤمن - جزئيا - بها .

فلنمض بعيدا في الأسفل .
لا يمكنني الاستماع الى ذلك .
فصرخاتها تسحق أعصابي ، وأحلامي ،
والطريقة التي ارتطمت بها مجاذيفنا بالأجساد الطافية
التي كنا نلمحها بين حين وآخر على ضوء مشاعل السفينة ،
وشهب أغسطس التي تومض بالشباب والشهوة ،
أبدية أبعد من الظن
في هذا الموت المنساب الذي ختم ظهورهم وكواحلهم ،
وأفخاذهم .

يجيء تحول الفصول في صمت تام
ودائما ما يتزايد الظلام .
مقعد خيزران يقف منسيا تحت الأشجار
في الرطوبة الشفيفة والبخار الصاعدين من التربة .
انه ليس الأسي .
ولا هو - حتى - الأمل .
لاشيء .
حركة تمتد بلا حركة الى الأمس والغد .
سلحفاة في العشب تبدو كحجر .
سرعان ما ستتحرك .
انقياد بلا توقع ، مشاركة سرية في جريمة ، في سعادة .

ما يزال في بسمتك أثر واه من خواء -
أهو بسبب ما أحكيه لك ،
أم بسبب ما سأحكيه وإن كنت لا تعرفه .

ما لم تكتشفه في ايقاع كلماتي
التي توأصل الرقص بعيدا الى الامام من افكاري ،
فتكشف ايقاعي ، وذاتي ؟
مثلا ذات مرة ،
وأنا أفرج على العدائين يأتون متناثرين الى خط النهاية ،
وقد تحموا بالعرق ،
حين لاحظت أحدهم وقد ربط قطعة خيط صغيرة الى كاحله
بلا سبب ،
ببساطة عن نزوة •
ذلك كل شيء •

انها تبحث عن بطولة ، عن تضحية •
سنوات عديدة ، وما الذي تغير ؟
أم أننا من أجل ذلك قد آتينا -
من أجل هذه النبوءات الصغيرة بالمعجزة الكبرى
التي لا تعرف كبرى ولا صغرى - لا قتل ولا خطيئة ؟

كل شيء هو حب شبقى -
سحر وفتنة ، كما اعتادت أمي أن تقول -
حينما تمس أوراق المساء العريضة ، الشهوانية جباهنا في
هدوء ،

والثمرة الساقطة تصبح رسالة راسخة لا تصل أحدا
كالدائرة ، والمثلث ، والمعين •
ويرى عقلي منشارا قديما يصدا في مخزن أخشاب مهجور ،
والأرقام على البيوت تزحف الى الأفق - ٣ ، ٧ ، ٩ ، ٠٠٠ عدد
بلا حصر ••
لكن انصت •
لقد توقفت •

سكون عميق - سكون فوق التصديق •
لا بد أن ألف حصان أسود يتحركون في غموض أعلى المنحدر
الى « تريتوس » ،
كنهر من ذهب يفيض في الجانب البعيد تجاه السهل ،
تجاه يتابعه الجافة - وثكناته الخاوية ،
تجاه الحظائر حيث ما يزال يرسل الدخان
مع الدفء الأبدى لحيوانات و كلاب غائبة وذيلها بين أرجلها
تختفي كبقع حبر في أعماق الليل الواضحة •

أخيرا ، رحلت •
هذا الصمت عجيب - اعتاق •
انظر كيف تخلف ظلال الحشرات الهاربة
آثارا دقيقة من رطوبة على الجدار ،
أجراسا دقيقة سترن بعد دقائق قليلة •
وذلك الوهج الأرجواني في البعيد ، كشيء مريب :
القمر شعله نار صغيرة ، وحيدة بعيدا وراء الأشجار ،
والمداخن ودورات الرياح بالبيوت
التي تلتهم القراص الكبير والجرائد القديمة ،
لتخلف وراءها قبولها -
بحياة بلا أمل ، بلا انتظار ،
بغيت قائل للآليات :
تمجيد قريب يمتد الى البرارى التي لا تبخل ، الى حافة الطريق
والوميض الشبحي القاسي لقطة ما •

حينما يظهر القمر ، تغوص البيوت في السهل الى أسفل ،
وتصدر سيقان الذرة صريحا مع الضقيع ، أو قانون التكاثر ،

وتلتهم جذور الأشجار المطلية بالأبيض كالأعمدة ،
المحصودة في حرب صامتة ،
وتعلق الشارات فوق الدكاكين الصغيرة المغلقة ،
كنبوءات شهدنا تحققها •

لا بد أن المزارعين كلهم - الآن - نائمون ،
وأيديهم الضخمة مستقرة على بطونهم ،
والطيور - بمخالبها الصغيرة - تقبض ، في ارتخاء ، على
غصن في نومها ،
كان الاستمرار لا يحتاج الى مجهود ،
كان المجهود لا شيء أبدا ،
كان شيئا لم يحدث ،
ولا شيء على وشك الحدوث -
هكذا يخف بالغة ، تبدو السماء كما لو دخلت أجنحتها ،
كما لو ان شخصا ما يسير في ممر طويل بمصباح في يده
وكل نوافذه مفتوحة على آخرها ،
بينما في الخارج ، في الساحة، ترعى الماشية في سلام كامل،
كما لو خارج الزمن •

أحب هذا الصمت الشافى •
في شرفة قريبة ، امرأة تمشط شعرها الطويل ،
تفرده بجانبها ، ومخاوفها الداخلية تتهد في ضوء القمر •
يصبح العالم سائلا ، زلقا ، مرحا •
الأباريق الكبيرة في الحمامات تصب الماء فوق أكتاف وصدور
الفتيات ،
والصابونة الصغيرة المعطرة تنزلق على القرميد ،
تنبثق الفقاعات خلال أصوات الماء والضحك ،
تنزلق امرأة وتهوى ،

وينزل بق القمر من ضوء السماء ،
يصبح كل شيء زلقا بالصايون ،
ولا يمكنك أن تمسك به ، ولا - حتى - بنفسك :
هذا الانزلاق والسقوط العاجز هو الإيقاع المتوالد للحياة :
تضحك النساء وتسقطن بيضاوات كأبراج من رغبة، بلا وزن
فوق الأحراج الصغيرة لأفخاذهن •
هل تشبه السعادة ذلك ؟

ان بقاءنا هنا هذه الليلة يضعني في موقف بين بين •
وبالكاد يمكنني التمييز :
هناك - ربما - أقنعة كبيرة مهشمة ، وزخارف من حديد
وصندل الميت يتوه في الرطوبة ،
يتحرك من تلقاء نفسه كأنه يمشى بلا أقدام لا تمشى :
والشبكة الكبيرة في حوض الاستحمام - من الذي نسجها ؟ -
عقدة عقدة ، سوداء ، لن تحل - لم تكن أمي •

ظل بلا حدود ينتشر فوق القناطر •
حجر يتقلقل ويهوى أسفل واجهة الجرف -
لكن لا أحد كان يسير هناك :
ثم لا شيء •
ومن جديد ، غصن ينكسر تحت أوهى ثقل للسماء ،
وضفادع صغيرة تقفز بلا صوت في رشاقة خلال العشب
الميلبول •

سكون •
فأر رمادي يسقط في الآبار ويفرق ،
وسط الأشكال البطيئة ، المتخثرة لدائرة البروج ،

هناك يرمون ببقايا المآدب من الأباريق والكراسى وأكواب
النبيذ والمرايا ،

وعظام الحيوانات والقيثر ، وكلمات الحكمة •
ولا تمتلئ الآبار أبدا •

شئ ما يشبه أصابع اللهب والندى يمر - متعاقبا - خلال
صدورنا ،

يرسم دوائر حول الحلمة مثلما حول ضخية ،
ونحن أنفسنا منطلقون ، دائرة فوق أخرى ،
حول مركز غامض فوق الإدراك ، لكنه راسخ :
لوالب لا نهائية حول صرخة كظيمة ،
جرح من سكين ،

والسكين ، فيما أظن ، مغروسة في قلبنا ،
لتصبح المركز ،

كالوتد في منتصف ساحة الدراس ، على التبل ،
والأحصنة ، والقمح ، والفوانيس ، والبغالة ، والحصادون
يستلقون أمام أكوام التبن ، والقمر يريح رأسه على أكتافهم ،
وهم يستمعون الى الأحصنة تصهل عند حدود النوم ،
الى الثور وهو يبول على الصفصاف والشجيرات ،
الى الخطوات الالف ل « أم أربع وأربعين » على الصرير الخزفي ،
الى الأقعى الكسولة وهى تزحف على بطنها خلال أجمة الزيتون ،
الى صوت الأحجار التى ألهبته الشمس وهم تبرد وتنكمش •

هناك كلمة صامتة عن الحب ، موصدة - أبدا - فى أفواهنا ،

كحصاة أو مسمار ناتئ فى صندلنا :

لا نكلف أنفسنا عناء التوقف وخلعه ،

أن نحل السيور ، فنتناحر :

نحن أسرى الايقاع اللاواعى للرحلة فيما وراء الوجدع الأليم
للحصاة ،

ففيما وراء ما يلح على تذكيرنا بتعبنا ، وارجائنا •
ولربما نحس - حتى - ببعض الوهن ينخس الابتهاج
حين نتذكر أن الحصاة من شاطئ نكن له محبة خاصة ،
تمشية سارة ، مفعمة بالأفكار المضيئة والصور المنثالة ،
ونحن نستمع الى هذر التجار فى مقهى الشاطئ ،
والى أغنية البحارة ، وأغنية البحر :
أبعد ، أبعد ، مفقود ، أقرب ، غريب ، ملكنا •

لقد توقفت ، تلك المرأة البائسة •
وتلتمع جذور الأشجار المطلية بالأبيض كالأعمدة ،
كاننى أستطيع أن أسمع حقيقة كلماتها فى صمتها -
مباحة فى غضبها ، مقهورة ،
وشعرها يسقط على كتفها فى مرارة كزهور جنائزية -
مكفنة فى صدقها الهزيل •
ربما تكون - الآن - نائمة ، ربما تحلم ببلد بلا خطيئة ،
بماشية أليفة ترعى وسط بيوت مطلية بالأبيض ،
وشذا الورود والخبز الساخن •

لا أعرف السبب ،
لكننى فكرت - فحسب - فى تلك البقرة
التي رأيناها هذا المساء فى السهل الأتيكى - هل تذكرها ؟
متحررة من النير ، وقفت تحملى فى البعيد
وريشتا البخار من منخريها تضحيان أرجوان الغروب ، وذهبه ،
وينفسجه •

صامتة ، تتحمل جراحا جديدة فى ضلوعها وظهرها ،
علامات للضرب على وجهها ،

كأنها جاءت لتعرف الطاعة والعصيان -
فالعناد. والحقد يوجدان متوافقين .

لقد وازنت أثقل جزء من السماء بين قرنيها ، مثل تاج .
ثم خفضت رأسها لتشرب من الجدول ،
ولسانها المتخثر يلحق ذلك السائل الأبرد من صورته
السائلة ،
كأنها بهذه الملاحظات الرحبة ، الأمومية ، المحتومة ،
تلحق - في سكينته - جرحها الداخلي ، من الخارج ،
كأنها تلحق الجرح العميق ، الدائري ، الصامت ، للعالم -
فربما يرتوى عطشها .
من يدري ، فربما لا يروى عطشنا غير دمننا .

وحين رفعت وجهها عن الماء .
دون أن تمس شئنا ، أو تمس
مهيبة كقديس ، رفعت بين القائمتين الأماميتين الراسختين في
الماء .
بحيرة قرمزية ، صغيرة ، دائمة التحول - دما من شفيتها -
كخريطة للعالم تنتشر وتلاشى تدريجيا ،
متبددة كأن الدم قد انسرب الى شريان أرضي ، خفي ،
ليتحرروا أخيرا ، أبعد من الألم .
وكان أن عثرت ههنا - بالتحديد - على سكينتها ،
كأنها عرفت أن دمننا أبدا لا يهدر ،
أن لا شيء أبدا يهدر ، لا شيء ،
أن لا شيء قد أهدر في هذا اللا شيء العظيم القاسي ، بلا عزاء ،
وغير المتكافيء في النهاية :
فادح العذوبة ، فادح العزاء - فادح العدم .

فى ذلك تكمن لانهايتنا الانسانية .
فلأى هدف - اذن - لهائنا ، والباحنا ، ومجدنا ؟
بقرة مشابهة تتبعنى كظلى - غير مربوطة .
تأتى معى من تلقاء ذاتها ،
هى ظلى على الطريق حين يظهر القمر ،
ظلى فى غرفة مغلقة .
ولا تنسى أبدا :
فالظل ناعم ، بلا جسد ،
وظلا القرنين يمكن أن يتحولا بسهولة
الى جناحين مدبيين ليرفعاك فى الطيران -
كأن هناك طريقة أخرى لعبور الباب .

ورغم أن ذلك غير هام ، على نفس النجوى ، فأننى أتذكر عينيها :
عينين مظلمتين ، واسعتين ، بلا بصر ،
مستديرتين كتلين صغيرين من ظل أو زجاج أسود .
وكان هناك برج كنيسة ينعكس على الزجاج بلا وضوح ،
مع طيور « الزاغ » الجائسة على الصليب ،
آنثى ، صاح شخص ما ، ففرت الطيور من عيون الحيوانات .
كانت البقرة - كما أظن - رمز إحدى الديانات القديمة .
لكن مثل هذه الأفكار ، وهذه التجريدات -
لا تعنى لدى شيئا .

بقرة عادية مهمتها لبن الفلاح ، والمحراث ،
مع كل حكمة عملها ، والصبر ، والفائدة .
ومع ذلك ، ففى نفس اللحظة الأخيرة ،
قبيل أن تبدأ الحيوانات فى العودة الى القرية ،
استدارت الى الأفق وخارت بصورة تدعو الى الرثاء
تبددت الغصون القرية ، والعصافير والسنونو ، والأحصنة .
والأغنام ، والمزارعون ،
ليتركوها وحيدة ، وسط دائرة جرداء .

انبثقت منها الكواكب اللولبية فى أعماق الفضاء ،
الى أن تلاشت البقرة نفسها ، هبطت ...
لا ، لا - أظن أنها كانت هناك فى القطيع ،
صامتة ، طيبة ، تشق طريقها فى الممر المعشب نحو القرية ،
والذى كان - فى تلك الساعة - يضى مصابيحها فى ساحات
تخفيها الأشجار .

انظر . شروق النهار .
الديك الأول يصيح من وراء الأسيجة .
يقظة البستانى : ربما يسند شجرة فى الحديقة .
وهذه الأصوات المألوفة الحميمة لأدوات العمال :
المجارف والمناشير ، حنفية مفتوحة فى الساحة ، شخص
ما يغتسل ، روائح التربة .
ماء القهوة يغلى فى البراد ،
نسيم ناعم من دخان فوق السطح ، والأريج الدافئ للمريمية .
هكذا ، عشنا ليلة أخرى .

تعال ، ساعدنى فى رفع هذه الجرة التى تضم رمادى المزعوم -
فمشهد التمييز على وشك الابتداء .
سيعثرون فى على الرجل الذى ينتظرونه ،
سيعثرون على « الرجل الحق » ، حسب قوانينهم ،
ونحن وحدنا اللذان سنعرف أن هذه الجرة
تضم - فى الحقيقة - رمادى ، رفاتى الحقيقى .
ووسط احتفال الناس بالصنيع الذى قمت به ،
سيكون لنا - نحن الاثنين - أن نبكى على السيف اللامع ،
المجيد ، الدامى ،
نبكى هذا الرماد ، الذى كان - ذات يوم - لهذا الرجل ،
الذى يواجهه - فى مكان ما - رجلا آخر ،

وجلد وجهه الممزق يختفى تحت قناع من ذهب -
قناع طاهر ، كريم ، وربما - حتى - مفيد ،
فى شكله المنحوت الحشن ، كرمز أو تمثال ، كمخدر للشعب ،
صورة للرعب من الطاغية :
تدريب يدفع التاريخ الى الأمام -
مهما يكن ببطء ، وخراقة - مع كل انتصار وموت متتابع ،
لا بأدوات أى وعى جديد رهيب (غير متاح للجماهير) ،
لكن من خلال بعض الأعمال الصعبة ، والايان السهل -
ايان صارم ، اجبارى ، وبائس ، معقود ألف عقدة ،
حيث يتشبث به الكثيرون بأسنان وأظافر روح الانسان -
ايان جاهل يمكن - كالنملة - أن يجترح معجزات تحت
غطاء الليل .

وأنا - غير المؤمن - قد اخترت هذا الايمان
(طالما أنهم لا يختاروننى)
لكننى أفعل ذلك عن وعى .
أختار معرفة وفعل الموت الذى يهذب الحياة .
فلنمض الآن ، لا من أجل أبى أو أختى
(لا بد أن يجيء الوقت لأودعهم) ،
ولا من أجل الانتقام ، من أجل الكراهية ،
ولا - حتى - باسم العقاب (من يعاقب من ؟) -
ربما - فحسب - من أجل استكمال برهة وقت ما -
ذلك - على الأقل - يظل اختياريا -
ربما - فحسب - من أجل انتصار بلا معنى على خوفنا الأول
والأخير ،
أو من أجل نوع ما من « نعم » ، التى ستشرق غامضة ،
بلا فساد ،
فيما أبعد من كل منا ،
على أمل أن تساعد هذه الأرض على التنفس .
انظر كم هى جميلة هناك فى الشرق .

يمكن أن تكون رطبة قليلا في الصباح الباكر في الأرجو -
والجرة مثلجة تقريبا ، تلتصق بقطرات قليلة من الندى
كأن الفجر ذا الأصابع الوردية ، كما يقولون ، قد نضح علينا
دموعا ،

• وهو قابض عليها بين ركبتيه •
• فلنمض الآن •

• فالساعة الموعودة قد حلت •

لماذا تبتسم ؟ هل اتفقنا الآن ؟

أكان ذلك لأنك كنت تعرف كل شيء ، دون أن تتكلم ؟
هذه الخاتمة العادلة لصراع أكثر عدالة ؟

فلتسمح لشفتي أن تقبلا ابتسامتك هذه المرة الوحيدة
الأخيرة ،

الآن حيث لا يزال لدى شفتان •

فلنذهب بها • فمصري الآن واضح لي •
• هيا بنا •

(حينما وصلا البوابة ، تنحى الحراس كأنهم كانوا
يتوقعونها • فتح حارس البوابة العجوز الباب الكبير ،
مطأطئا رأسه في احترام كالترحيب • وسرعان
ما تصاعدت - من الداخل - آهة ثقيلة لرجل ، تلتها
الصرخة المفاجئة الأليمة لامرأة • ومن جديد ، سيكون
عظيم ، لم يكسره سوى طلقات الرصاص المتقطعة من
الصيادين في السهل ، وزقزقة الخضيرى والدورى
الطنان والشحرور والقبرات غير المرئية • طيور
السنونو تنعطف - فى حدة - على الجناح الشمالى
للقصر • خلع الحراس - بلا حراك - قبعاتهم ، ومسحوا

الشريط الجلدي الداخلي بأكمهم • وبعد لحظة ،
انبثقت بقرة ضخمة تحت قوس بوابة الأسد ، وعيناها
الكبيرتان الساكنتان الفاحمتان تحدقان عميقا في
سما الصباح) •

بوخارست ، أثينا ، ساموس ، ميسيناى
يونيو ١٩٦٢ - يوليو ١٩٦٦

١٨ غنوة عن الوطن المرير

* إعادة تعميم

كلمات بائسة تلك التى تعميت من جديد فى المראה والعويل
لتثمر أجنحة وتبدأ فى الطيران ، كطيور تبدأ فى الزقزقة .

أما هذه الكلمة ، الأكثر تفردا ، الكلمة السرية للحريية
فانها - بدلا من الأجنحة - تنبت السيوف وتمزق الريح اربا .

* حديث مع وردة

بخور مريم ، وردة بخور مريم صغيرة داخل شق صخرى عميق
أين وجدت الألوان لتزهري ، من أين الساق لتتماوجى ؟

داخل الشق ، قطرة قطرة ، أنسج الدم الذى ظللت ألمله
منديلا ورديا ، وألملم - الآن - الشمس .

* انتظار

أصبحت الليالى طويلة طويلة بكل هذا الانتظار الذى لا ينتهى
حتى أن غنوتنا مدت لها جذورا وكبرت بطول شجرة .

وأولئك المقيدون فى أغلال من حديد وأولئك البعيدون فى
المنفى
يحاولون أن يطلقوا تنهيدة مريرة - فتنبت ورقة حور .

* الشعب اليوناني

كثيرا ما يواصل اليونانيون القتال بدون سيوف أو رصاص
من أجل شعوب العالم ، وخبزهم ، وأغنيتهم ، وضوئهم .

تحت لسانهم يحتفظون دائما بالعويل والهتاف
وإذا ما بدأوا في الغناء عنهم ، فستشوق أغنياتهم الصخور .

* طقس جنازى

الجد يقف في ركنه ، وعشرة أحفاد في الركن الآخر
وعلى المنضدة رغيف خبز ، مع تسع شمعات فوقه .

الأمهات يمزقن شعرهن ، والأطفال محتفظون بهدوئهم
ومن النافذة تنظر « الحريّة » وتنوح .

* فجر

عظيم في البهاء ومترع بالشمس ، الفجر الرهيف للربيع
لكن أين من له عينان لينظر اليك ، ومن هناك ليحييك .

في موقد البخور جمرتان وبضغ حبسات بخور
وصليب أسود ، مرسوم بالبسناج ، على عتبة باب وطننا .

* غير كاف

متواضع وبليغ لكنه يرى بضغ كلمات على الأرض
يظنها ظل طائر صغير وظل الأعالي .

هل يعلن ذلك ، وما الفائدة ، فالسباب وحده لا يكفي .
آه، بلا عمل تتعلق بندقية الحزينة في شجرة الكمثرى البرية .

* يسوم أخضر

يوم أخضر ، يتلأأ فى الشمس ، منحدر جميل لتل منسوج
من أجراس وثغاء الماشية ، من آس وخشخاش .

الفتاة تنسج أشياء المهر ، والشباب يجدل السلال
وقطعان الغنم على طول الشاطئ ترعى الملح الأبيض .

* طقس دينى

تحت أشجار الحور سرب طيور وقباطنة متمردين
يبدأون معا طقسا دينيا مع مايو الجديد .

الطابق الأرضى للوطن تضيئه أوراق الأشجار كالشموع
ونسر كبير يقرأ - من أعلى - الأناجيل .

* الماء

ماء قليل من الصخرة ، تطهر بالصمت
وبسهر الطائر ، وظل الدفلى .

يشربه المطايرد فى السر ويرفعون أعناقهم عاليا
تماما كالعصافير ، يباركون اليونان ، وطن الفقراء .

* نبات بخور مريم

طائر صغير ، وردى اللون ، مربوط بخيط نحيل
وبجناحيه الصغيرين الملتوين يرفرف تحت الشمس .

إذا ما نظرت اليه مرة واحدة ، فسيبدأ فى الابتسام
وإذا ما نظرت مرتين أو ثلاثا ، فستنطلق فى الغناء .

* فتيات نحيلات

فتيات صغيرات نحيلات بامتداد الشاطئ يجمعن الملح
ممرورات ، محنسات - لا ينظرن الى المحيط .

هناك فى الخارج ، شراع ، شراع أبيض أبيض يومىء اليهن من
الزرقسة
وعندما لا ينظرن اليه ، ينقلب الى أسود من الأسى .

* الكنيسة البيضاء

الكنيسة البيضاء ، على المنحدر ، التى تواجه - مباشرة -
الشمس
تطلق الرصاص من خلال نافذتها الضيقة والقديمة .

وجرسها المربوط عاليا ، أعلى من أطول شجرة دلب
يستعد طوال الليل ليدق احتفالا بعيد « الشعب المقدس » .

* تذكار

الشبان الشجعان سقطوا فى المعركة ، محافظين على رأسه
مرفوعة
لن يهال عليها الطين ، لن يمسه أبدا الدود .

الصليب فى عنقه كجناحين ، وما يزال يندفع عاليا
ينضم الى نسور قوية هناك والى ملائكة من ذهب .

* هنا الضنوء

هذه الكتل الرخامية الناضعة البياض لن يلوثها أى صدأ قبيح
ولا يمكن ليونانى أو لريش وحشية أن تقيد من كاحلها .

هنا الضوء ، هنا البحر - ومضات ذهبية وزرقاء فاتحة ،
وعاليا على الصخور ينطلق الدب حرا، محطما الأغلال الحديد.

* تزايد

كيف للبيت أن يبني ، من سيركب الأبواب في أماكنها ،
طالما أن الأيدي العاملة هنا قليلة ، والأحجار ثقيلة ؟

فلتصمت ، فالأيدي ستزداد - أثناء العمل - عددا وقوة
ولا تنس أن الموتى أيضا يقومون بالمساعدة طوال الليل .

* ضمان

صامتة هنا كل الطيور ، والأجراس أيضا صامتة
وصامت اليوناني المزير وجميع موتاه حوله .

وعلى هذا الصمت ، كما على صخرة ، يسن أظافره ،
وحده ، بلا مساعدة ، نحو حرية مضمونة أبدا .

* من أجل روميوسيني لا تبكوا

لا تبكوا من أجل روميوسيني : عندما يلتف على عنقها الطوق ،
والسكين تدنو من العظم ، على حافة الاحتضار ،

فهنا سوف تثب ، مبتدئة من الأشياء ، الى القوة والعنفوان
وتطعن الحيوان الوحشي بشمس كأنها حربة .

* معنى البساطة

أتخفى وراء الأشياء البسيطة كي تعثروا على ،
وان لم تعثروا على فستعثرون على الأشياء ،
ستلمسون ما لمسته يدي ،
وتمتزج بصمات أيدينا .

قمر أغسطس يتوهج في المطبخ
مثل قدر مطلي بالقصدير
(أخذ هذا الشكل بسبب ما أقوله لك) ،
يضيء المنزل الخاوي والصمت الراكع للمنزل -
دائما ما يظل الصمت راكعا .

كل كلمة باب للقاء ،
لقاء من ليس في الحسبان ،
ذلك حين تكون الكلمة صادقة : حينما تلمسك باللقاء .

* جوع

انقضى الليل بفمسه المليء بماء أخرس .
في الصباح ، أشرقت الشمس مبلولة على الخطوط المتعرجة .

• ظلال الوجنه ، ظلال الصاري ، الرحلات -
• رأيـناهم واضحين - وجوعنا لم يشبع •

كان شخص ما يصيح وراء الجبل ،
وشخص ما آخر وراء الأشجار ، وآخر من جديد ،
ومن جديد الامتداد الأقصى للغروب -
أين يجب أن نجري ، أى طريق أولا ؟
هل يمكن أن نكون الأشخاص الذين كانوا يصيحون ؟
والجبال تصبح أكبر وأكثر حدة
مثل أسنان الشخص الجائع •

* وجه

وجه صاف ، ضامت ، وحيد تماما
مثل وحدة كاملة ،
مثل انتصار كامل على الوحدة •
هذا الوجه ينظر اليك بين عمودين من ماء ساكن •

• وأنت لا تدري أى الاثنين يستحكك أكثر •

* صيف

النوافذ الأربع معلقة تنظم رباعيات
عن السماء والبحر فى الغرف •
شجرة خشخاش وحيدة
ساعة فى معصم الصيف ،
تعلن الثانية عشرة ظهرا •

وهكذا تحسّ يشعرك تقبّض عليه أصابع الشمس
لترفّعك حرا في الضوء الريح .

* ربما ، ذات يسوم .

أريد أن أريك هذه الغيوم الوردية في الليل .
لكنك لا ترى . انه الليل -
فماذا يمكن للمرء أن يرى ؟

الآن ، لا اختيار عندي سوى أن أرى بعينيك ، قال ،
وبذلك ، لا أكون وحيدا ، لا تكون وحيدا .
وفي الحقيقة ، لا شيء هناك في الأعلى حيث أشرت .

وحدها النجوم تزاوجت معا في الليل ، متعبة ،
كهؤلاء العائدين - في عربة نقل - من نزهة ،
محبطين ، جائعين ، لا يفنى منهم أحسد ،
بزهور بريّة ذابلة في أيديهم العرقانة .

لكنني أصر على الرؤية وأن أريك ، قال ،
لأنك إن لم تر أنت أيضا ، فكأنني لم أر -
سأصر ، على الأقل ، على ألا أرى بعينيك -
وربما ذات يوم ، من اتجاه مختلف ، سوف نلتقي .

* اكتفء ذاتي ؟

الصباح الخاص حمل الشمس على ظهره
وهو يتسلق التلال الأتيكينة
كشباب يحمل أكورديونه .

انقضت الليلة الأخيرة بمتعته ،
وبخوفها من متعتها •
انقضى أيضا ذلك الحزن الذى لم يأمل فى انتهائه •

أشجار الصنوبر ، والشمس ، والنوافذ - هناك •
تحت الأشجار كرسيان • لماذا هما اثنان ؟
آه ، نعم ، واحد لتجلس عليه ، وواحد لتمدد رجليك •

* اتفاق نهائى

عندما ضرب المطر زجاج النافذة بأحد أصابعه ،
انفتحت النافذة الى الداخل •
أهو صوتك ؟
صوتك تشكّل فى أذنيك •
وفى الطرف البعيد هناك وجه ، وصوت مجهول -
فى اليوم التالى ، زحفت الشمس الى الحقول ،
مثل نزول الفلاحين بالمناجل والمذارى •
وخرجت الى الطريق تصيح ،
دون أن تدري علام تصيح ،
لتنوقف برهة وابتسامة تحت صوتك ،
مثلما تحت المظلة القرنفلية ، المشرقة
لامرأة تتمشى بامتداد سياج حديقة •
هناك ، أدركت - فجأة - أنه كان صوتك الحقيقى
متوافقا مع كل الأصوات غير المتشككة
التي تملأ الهواء •

* إعادة تشكيل

ما تسميه سلاسا أو انضباطا ، شفقة أو لامبالاة ،
ما تسميه فنا مقلعا على أسنان مطبقة ،

لتشير الى الصمت العذب للفسم ،
وهو يخفى الأسنان المطبقة ،
هو - فقط - الاحتمال الصبور للمعدن
تحت المطرقة النافعة ،
تحت المطرقة الرهيبة -
هو معرفتك بأنك تنتقل من الاشكل الى الشكل .

* فجأة

ليلة هادئة ، هادئة .
وقد توقفت تنتظر .
كانت - تقريبا - آمنة .
وفجأة ، لمسة على وجهك ، مفعمة بالحيوية ،
من شخص غائب . سيأتي .
ثم صوت المصاريع . وهي تنغلق بنفسها .
الآن ، تتزايد الريح .
وأبعد قليلا ، كان البحر يفرق في صوته .

* سيرك

سيرك ليلى ، الأضواء ، الموسيقى ،
العربات الواضحة بامتداد الشارع .
عندما تنطفئ الأضواء في المنطقة المجاورة
عندما تلقى الملاحظة الأخيرة كورقة جافة ،
تبدو واجهة السيرك
مثل طاقم ضخيم من أسنان مستعارة
آنثد ، تنام آلات النفخ النحاسية في صناديقها ،
وتسمع الحيوانات تخور على المدينة ،
والنمر يحدق في ظله ، في قفصه ،
يخلق مروض الحيوانات رداءو ، ويدخن سيجارة .

وبين حين وآخر تضيء المنطقة المجاورة
عندما تومض عيون الأسود خلف القضبان .

* أصيل

في الأصيل سبقت الجص كله، وحجارة سوداء، وأشواك جافة .
للأصيل لون صعب صنعتته خطى عجوز تعرج في المشى ،
وجرار قديمة مدفونة في الباحة ، يغطيها التعب والتبن .

قتل اثنان ، قتل خمسة ، اثنا عشر - كثيرون كثيرون .
كان لكل ساعة قتلها .

خلف النوافذ وقف أولئك المفقودون ،
والابريق المملوء بالماء الذي لم يشربه .

وتلك النجمة التي هوت على حافة المساء
تشبه الأذن المقطوعة التي لا تسمع الجدادج ،
لا تسمع تبريراتنا - لا تنزل لتسمع أغانيها -
وحيدة ، وحيدة ،
وحيدة ، معزولة تماما ،
لا تبالي بالادانة أو البراءة .

* فهم

الأحد . أضرار السترة تومض
مثل ضحكة متناثرة . الأتوبيس رحل .
أصوات سعيدة -
غريب أن تكون قادرا على أن تسمع وتجيّب .
تحت أشجار الصنوبر عامل يتعلم العزف بآلة نفخ .
وامرأة قالت صباح الخير لشخص ما .

صباح خير بسيطة وطبيعية
حتى أنك - أيضا - ستحب أن تتعلم
كيف تعزف بآلة نفخ تحت أشجار الصنوبر .

- لا قسمة أو طرح .
- كى تستطيع النظر خارج نفسك - دفء وسكينة .
- لا أن يكون « أنت وحدك » ، بل « أنت أيضا » .
- إضافة صغيرة ، حسبة عملية صغيرة ،
- سهلة الفهم ،
- الى حد أن طفلا يمكنه حلها ،
- وهو يلعب بأصابعه فى الضوء ،
- أو يعزف بآلة النفخ تلك للمرأة التى تسمع .

* نسخة مصغرة .

- وقفت المرأة أمام المنضدة .
- تبدأ يداها الحزینتان فى تقطيع شرائح ليمون نحيلة للشاي
- مثل عجلات صفراء لعربة صغيرة جدا
- مصنوعة لاحدى حكايات الأطفال .
- الضابط الشاب الذى يجلس فى المواجهة
- مدفون فى الكرسي القديم . لا ينظر اليها .
- يشعل سيجارته .
- يده التى تمسك الكبريت ترتعش ،
- وهى ترمى بالضوء على ذقنه الرقيقة
- ويد فنجان الشاي .

- أوقفت الساعة دقتها برهة .
- شيء ما تأجل .

مرت اليرحمة • فات الوقت الآن •
فلنشرب شاينا • أيمن للموت ، اذن ،
أن يأتى فى عريسة من هذا النوع ؟
يمر علينا ويمضى ؟
ويكون لهذه العريسة وحدها أن تبقى ،
بمجلاتها الصفراء الصغيرة المصنوعة من ليون ،
متوقفة لسنوات طويلة فى شارع جانبي منطفيء ،
وبعدها غنوة صغيرة ، وضباب قليل ،
ثم لا شيء ؟

* نساء

النساء بعيدات ، بعيدات •
تفوح ملائتهن بـ « تصبح على خير » •
يضعن الخبز على المائدة حتى لا تشعر بأنهن غائبات ؟
تدرك - آتئذ - أنه خطأ :
ننهض من الكرسي ونقول :
« لقد بذلت اليوم جهدا شاقا » ،
أو « دعيه ، ساضى الصباح » •

عندما نشعل الكبريت ، تستدير ببطء •
وتخرج الى المطبخ فى احتشاد غير مفهوم •
ظهرها تل حزين ممزور ، مثقل بموتى كثيرين -
موتى العائلة ، موتهاها ، وموتك •

وانت تسمع خطواتها تفرقع
على ألواح الأرضية العتيقة ،
تسمع الأطباق تصرخ فى الزف •
ثم تسمع القطار الذى يأخذ الجنود الى الجبهة •

* لوحة ثلاثية :

١ - الى أن حل الظلام :

أمسك بيدها في يده • لم يتكلم •
سمع بعيدا ، وربما داخله ،
البحر ، وأشجار الصنوبر ، والتلال كانت بيدها •
إن لم يقل لها ذلك ، فكيف يمكن أن يمسك بيدها ؟

كانا ساكنين ، الى أن حل الظلام •
وتحت الظلام ، لم يكن هناك
غير تمثال يدين مكسورتين •

٢ - امرأة :

تلك الليلة : وهي عشيرة المناك ، ثم تقبل أحدا -
وحيدة في خوفها من عدم وجود من يقبلها •
بخمسة أصابع من نجوم تفتن جميلة تنزع جفها ،
وهي جميلة مثل انكار ذاتها الفاتنية •

٣ - لماذا هو خطانا ؟

تحت لسانك بقايا رقيقة من سمك البرييل ،
بذور عنب وألياف نخوخ
في ظل رموشك بلد دافئ •
يمكنني أن أتمدد وأسترخي بلا سؤال ، قال •

ما الذي يعني ذلك الآن • هذا البغية أماننا ؟
لماذا هو خطاك • فوق شك ، أنت تطلق ومسط الأوراق -

جميلا ، بسيطا ، في الشكل الذهبي لحرارتك ؟
ولماذا هو خطئي أن أمضى قلما في الليل ،
سجين حريتي ، قال ، أعاقب المعاقب ؟

* ممطرة

موسيقى ليلة سبت بائسة
تأتي من مدرسة الرقص المخبوذة .
موسيقى بائسة ، مثلجة ، بأحذية خشبية -
في كل مرة ينفتح الباب غير المظلي
تندفع الموسيقى خارجة الى الشوارع ،
ترتفع تحت الضوء - في الركن ،
تحلق في نافذة عالية أو في الليل ،
ثم تهبط بنظرتها الى الطين ،
باحثة عن شيء ما ، منتظرة شيئا ما ،
كان شخصا ما مريض . وأبطأ الطبيب في المجيء اليه .

موسيقى بائسة . بارد .
لا أحد يفتح نافذة لتقدم لك قليلا من الضوء ،
أو بعض الزبيب الأسود ،
ليقول لك : انتى أذكر - منذ عشرين عاما - أو ثلاثين -
بعض الأصوات من عربات قديمة في المطر ،
مشهدا طبيعيا ضبابيا مرسوما على نظارات «تيلوس أجراس» .

لكن الأحذية طينية ومثلثة بالتقريب ،
الأزواج يهربون الى الشوارع ، لا يسمعون .
رجل يتوقف بجوار النافذة .
لا ، لا يسمعك .

- يلصق شيئاً ما بالحائط .
- والسكين وحدها على المائدة فكرة ، ومضة ضوء .

موسيقى بائسة ، ان استطعت أن تتوافق
فلتأت عبر فتحة ابسط الجوار .

* نفس النجمة

- الأسقف تلمع - مبلولة - في ضوء القمر .
- النساء يتدثرن بالشيلان .
- يندفعن ليختبئن في متازلهن .
- واذا ما ترددن قليلاً على العتبة
- فسيمسك بهن القمر صارخاً .

ذلك الرجل يشك في أن كل مرآة
بها امرأة واضحة ، أخرى ، مجبوسة في عريها -
تقريباً كأنك تريد أن توقظها ، لن تستيقظ .
تستغرق في النوم وهي تتشمم نجمة .

- ويستلقي يقظاناً وهو يتشمم نفس النجمة .

* نتيجة

- هذه النافذة وحيدة .
- هذه النجمة وخيدة .
- كسيجارة منسية على المنضدة -
- تدخن ، تدخن في الزرقة ، وخيدة .

وأنا وحيد ، قال •
أشعل سيجارتي ، أدخن •
أدخن وأفكر • لست وحيداً .

* ننتظر .

ببطء يحل الظلام حولنا • لا نستطيع النوم •
نتظر الصباح • نتظر الشمس
أن تضرب صفيح السقيفة مثل شاكوش ،
أن تضرب جباهنا ، وقلوبنا ،
أن تصبح صوتنا .
وأن يصبح الصوت مسنوعاً -
صوت مختلف
لأن الصمت مليء بطلقات البنادق من أماكن مجهولة •

* هل تستطيع ؟

رأيناه يركع في أقصى الأوضاع عمودية ،
ينفخ تحت القدر النحاسي الضخم
ليطعم النار باستهلاك ناره •
نافذ الصبر ، وهو ينفخ بقوة ،
يكبحه جلده ، عاجزاً عن التلاؤم داخله •

ارتعش الضوء في الأفق
عندما انفتحت عروقه وانفلقت •
من نبضه انتفخ لحاء الكروم
ودفع الأوراق الجديدة مدومة بلا حركة •

هكذا ، منحنيها ،
اتفق نفسه من أجل أن تظل منتصبين .
أنت وأنا ، دون أن يفكر به مرة واحدة .
أنا مدينون له ، ذات يوم ، بشيء .
كيف - اذن - يمكنك أن تظل منتصباً ، على الأبد ؟

* الشكر *

لن تقول شكراً لي ،
مثلاً لا تقول شكراً لدقات قلبك
وأنت فتحت وجه حياتك .

لكنني سأقول لك شكراً
لأنني أعرف ديني لك .

هذا الشكر هو أغنيتي .

* نقاشة الطفولة

فلنخلق أعيننا برهة

ليمكننا أن نسمع الأم وهي تغسل الأطباق في المطبخ
ليمكننا أن نسمع السكاكين والشوكات وهي تسقط في
الدرج

ليمكننا أن نسمع حفيف ثوبها في الممر

وابتسامة السيدة العذراء تطوف بحاجز الأيقونات •

في الغد لن نكون مرضى بعدة انظروا في الترمومتر •

ما يزال دافئاً من إبطنا •

أبانا الذي في السماء

فلتقبل لابنة عمى الصغيرة أن تأتي غدا

كي نستطيع أن نقوم بنزهة قصيرة في الغابة مع الأيل •

سأجمع لوزا طازجاً لها •

أيل أزرق سيأتي ، يا أبانا ،

لنستطيع النوم

أيل أزرق أزرق

يا أبانا

الذي

في السماء •

* تسخير

متأخرون دائما • وساعتنا أيضا مخطئة • بطيئة •
تبحث عن مقعد في الظلام ،
مثل تلك المرة في نهاية المسرحية
- مر وقت طويل من العرض -
ونحن نسقط على ركبنا في المشى وفوق المساند الخلفية •
وقبحة يضيئون الأنوار وسط التصفيق •
ونحن واقفون ، ما تزال تبحث ، كأنهم يصفقون لنا
نحن من لا نستحق •
انتهينا الى أول مقعد
ونحن ندوس على أقدام عبوز قبحة •
لم نصرخ •

* تبديد

بددنا نظرات ، وكلمات ، وحركة •
في الظهيرة سنحرق - نحو البحر - في خسارة ما
بين أصوات زيز الحصاد ، بين الأزواق -
نظرات مبعثرة كي لا نرى ما بأيدينا •
في المساء أخفت العتمة ظلالنا المتناثرة •
مقعد خشبي ، طويل ، ضيق •
مع قمصان رياضية ليست للبيع
منتصب خارج الطريق في الميدان المجاور •
فاح الميدان برائحة شموع منطفئة •
ما من ذريعة أخرى لنا
غير الاستماع الى فواق نجمة خلف الباب •

* فصل الاكتساب

أيما ما كان ما تمسكه في يديك
يكل هذا الحوص ، بكل هذا الحب ،
مهما كان - بكامله - ملكا لك ، يا رفيقي ،
فعلبك بالتخلي عنه
ليمكن له أن يصبح ملكا لك .

* حسان منسى

كانت الجدة امرأة طيبة ، كانت هادئة ،
بجانب عينيها كانت هناك تجاعيد دقيقة كثيرة
كتجاعيد مفارش الشاي المطرزة بعناية .
كان لها أيضا قلب خفيف
مثل حقيبة صغيرة ملأى بالقطن .

رحلت الجدة .

ربما ذهبت لتغزل قطنها على حافة مستوقد الليل العظيم .
لكن كيف أمكن للجدة أن تخرج من المنزل ، وفي المطر ،
بل وحتى دون أن تأخذ شالها الصوفى ؟

الفتاة الصغيرة تبكى في كرسي المدخل .
المطر الخفيف يبكي أيضا على سلالم كنيسة « الكومينوس » ،
لم يبك أصغر الأحفاد ، وهو يرى كم هو جميل
أن يبكي المطر والسلالم والكرسي والفتاة الصغيرة جميعا
على الجدة الصغيرة التي تنسج الآن صوفها الخفى .

* كميل

جلس وحيدا في ظلام الغرفة يدخن .
ما من شيء كان يرى .

ومضة سيجارته وحدها تجزئت ببطء ، بين حين وآخر ،
باحتراس ، كأنه كان يطعم فتاة مريضة يملققة من فضة ،
أو كأنه كان يداوى جرح إحدى النجمات بسيف صغير .

✽ أيسى

كثيرا ما تشبه الأيدي الوجوه أو الأجساد بكاملها .
هذه الأيدي تبقى كسولة في الربيع المبتهر ،
تطس ، تكج ، تشكو ، تصمت ،
كعجوزين على كرسيهما ، وأزوارهما مفتوحة ،
بعضائهما التناسلية الذابلة في الشمس .
في المواجهة ، امرأة ترضع طفلها .
ويداهما ، برغم سكونهما ، عداوان عاربان
في حلبة شاسعة من رخام .

✽ تقويم مكتبي

شهور على شهور ، أسابيع ، أيام - عام غير معروف .
أبريل بنظارات قصر النظر على دكة الحديقة .
يوليو يمنعك من النوم وخيلنا .
سبتمبر يتذكر المنازل المغلقة -
وردتان من ورق ومشط بأشنان كبيرة على المنضدة .
في نوفمبر يحمل رجل ما حجرا على ركبته .
يناير ، فبراير - الجميع ذهبوا الى الخارج
ملاحح الياس من الريح
في واجهة الباب الزجاجي للفندق المغلق .
ثم تظهر خادمة النهار الضاممة في الفجر
بمسحة كبيرة لتنظيف النوافذ .

* ليل

الليل يعريك • يداه توتعشان •
عاريا تماما ، يلتصق جسده في الظلال •

ذلك الضفر الحكيم الذي اغتصر رقابنا
ينقسم فجأة نصفين
كبيضة مسلوقة تنشط بسنكين •

* نقطة

هدير عميق يطن حول كل نجمة •
قوة ما سرية ، مخزنية
أعنت الأشجار •
نقطة الجذب الوحيدة في العتمة :
دوائر ضوء لمدة دقيقتين ،
وركبنا المرأة الصامتة •

* القصاد

لا أريد أي شيء ، قال •
انه يشبه ذلك تماما •
فما يرى طوال الخريف كله
غير النوافذ المغلقة لبنت المسكين •

ذلك الحبل الذي استخدموه في ترويض الحصان
مرمى الآن وحيدا حول جذع الشجرة •

* الوحيد

ذلك الذي توقعوه - لبعضى الوقت - لم يحدث
في الشرقات ، أنزلوا الأعلام
الجدران تفوح - بقوة - بالغريسة .
السند الوحيد - الآن - هو الافتقار لآى تبرير .

* نفس الشبوكة

وقف الليل في مواجهتنا ،
تماما كواجهة لدار أيتام من طابقين ، مغلقة النوافذ .
في اليوم التالي ، أخرجت امرأة - تحت الأشجار -
شبكة من باطن قدمها -

نفس الشبكة التي تدوسها كل ينوم .

* مؤكسد - غير مؤكسد

العالم سلسلة طويلة من أغبان
عليك أن تغنيها ، قال .
العالم شجرة ملأى بفاكهة
لا يقطعها غير سيف .

السيف يقطع الأغنية .
والأغنية تشل السيف .
فما الذي تختار ؟ قال .
كيف يمكنك الاختيار بين ما تم اختياره بالفعل ؟
العالم أغنية عميقة مغلقة .

* ألقى لم يرقص

حرك أصابعه الضخمة على المنضدة
كانه يغمسها في نهر • لم يتكلم •
وجهه مصبوب في حديد •
أحس بهيل حسان أحمر
يحمم داخل غرقات مبتترته •
لم يرقص • رمى بعملات كبيرة ، غليظة
إلى عازفي الكمان كي يرقص الآخرون •

* تخطيط

يحل الظلام • والنساء الفقيرات مازلن ينتظرن في طابور أمام
المخبز •

الشعراء ينتظرون في طابور أمام القمر الجديد ،
حتى لو كان العشب المعزول على حافة الطريق
لا يسمح بأية فائدة بالمرّة •

أتوبيس مر • أضيئت الأنوار •
كم تحدثنا - ببساطة - هذه الليلة •

* صوت الصمت

ليل • لا صوت أبداً •
هدير القضاء وحده
وذلك القمر الشفاف غير المحبذ
والذي ظل ضوءه بلا شكل ويجرحه •

* علامة

أحيانا ما لا يكون في الغابة كلها غير شجرة وحيدة
تهتز أوراقها جميعا ، بلا أية نسيمة أبدا .
وفي الحال تتحول الى تنكوت وخافت من جديده
مثل شمعدان غير مضاء في قلب الليل
يقطع أنفاس الرعاة والأحصنة والنجوم .

* في أطلال معبد قديم

حارس المتحف كان يدخن أمام حظيرة الغنم .
كانت الغنم ترعى وسط الأطلال الرخامية .
وفي الأسفل البصيص كانت النساء يغتسلن في النهر .
وكان يمكنك أن تسمع طرقرة المطرقة في دكان الحداد .
صغير الراعي . جرت الغنم اليه كان الأطلال الرخامية كانت
تجبري .
والقفا الغليظ للماء التمع بالبرودة خلف أشجار الدفلى .
نشرت امرأة غسيلها على الشجيرات والتماثيل -
نشرت سراويل زوجها الداخلية على اكتاف هيرا .

الفة ضامنة ، ساكنة ، غريبة - عامما بعد عام .
على الشاطئ الأسفل ، مر الصيادون بسلال عريضة
ملأى بالسماك على رؤوسهم ، كأنهم يحملون
ومضات ضوء طويلة وضيقة :
ذهبية ، وردية ، بنفسجية -
موكب شبيه تماما بنفس ذلك الموكب
الذي كان يحمل وشاح الربة الطويل المطرز بشرف ،
الذي قمنا به في اليوم الآخر
لنصنع منه مناشير ومقارن لمازلنا المخاوية .

* جريسة *

- منحدر التل يغطي بأقماع الصنوبر وأشواك الصنوبر .
- في القمة توقفا لنستمع الأسفل
- الوهد يهدر بأشجار البلانيرة في البعيد
- مع النعيب الوحشي للطيور والأنهار
- والشكوى المزققة الخافتة من طائر أسود
- نقش المساء المتجمد فوق الهدير العظيم .
- هنا تزاوجت الأحصنة المتعجرفة، دون ارتباط بحب أو أبوة .
- الأفق سهيل بلا حدود .
- وفي الأعلى هنا ، لا يحقق الركوع أي غفران .

- روح الجبل ظلت ساهرة - في عناد - على المعرفة والجهل
- بالموت ،
- شامخة بكبرياء الحاضر غير الهادف . غير المتحدود .
- فوق الكانتين النجوى نسيما ،
- مثلما فوق ضنوت طيور هجنهية .
- الأصابع المقتحمة للبرد الهائل .

ساموس - ليكا : ١/٧/١٩٥٨

* بخينور *

- حشد في الضباب من خلال الخافتة .
- أحسن أن الزرقعة ترحف - بالضبط - على جثة الطائر
- أو الغيمة .
- ارتاب في أن نفس الاحتمال بالتمس رأوه عتفا تقل الشجرة
- أرضنا .

والدخان تصاعد من المداخل كأنه يعترف
بسر الحرارة في الغرف التي كانت ما تزال مغلقة .
على هذا النحو ، كل صباح ، تلحن كل البيوت .
والرجال ، وهم يخرجون مبكرين إلى العمل ،
يشعلون سيجائرهم على العتبة ،
كأنهم يتذكرون لها مجهولا ، ملكهم تماما ، ولا يبلغه أحد .

✻ نكابة

مرت الليلة مظلمة للغاية .
ركضت في الريح صرخات هائلة .
في اليوم التالي ، لم نتذكر شيئا .
كانت هناك فجوة عميقة باقية في الزمن .

هناك حيث أوى الذئب ،
كان أخدود يتغطى بشعر ذئب دافئ .
الآن يمكن للأغنام أن تستلقي هناك .

✻ أحداث جارية

صنفت ، ثورات ، استنكارات ، اكتشافات ، زيجات ، ميثات ،
عرق ، غبار ، ظلام ، صيدليات طول الليل ،
سلم يرتفع في تهود ، سرقات ، جرائم ، ظلم ،
بغايا ، كلاب ، سماسرة ، سجون ، رطوبة ، سكارى ،
عميان ، متسولون ، جيتار ، الشجرة ، المشنوقون ، عمود
الإنسارية .

نجمة بين ميخنتين طويلتين . شكرنا .
لقد تركت المفتاح في نفس المكان الذي تعرفه .

* ربيع

جلسا فى الحقل فى مواجهة بعضهما ،
خلعا حذاءيهما ، وباطن قدميهما - العاريان هكذا
تلامسا فى العشب الطويل • وبقيتا •

* اكليل

كان وجهك مختبئا فى الأوراق •
قطعت الأوراق واحدة واحدة لأقترب منك •
عندما قطعت الورقة الأخيرة كنت قد ذهبت •
فضفرت من الأوراق المقطوعة اكليل •
لم يكن لدى من أهديه له •
فعلقته على جبينى •

* صور جانبية مسائية

ما تزال يداها صغيرتين ،
معذبتين بالتوقع وبالزمن المضاعف ،
شاحبتين على ثوبها الأسود •
كانت تجلس وحيدة فى الباحة ،
تحقق - فى عزلتها - فى المراكب التى تتلاشى •
فجأة ومض الغروب على خاتمتها
كما على نوافذ قرية عاليا فى التل •
آنثذ ، غطت الخاتم - فى حنان - بيدها الأخرى ،
أغمضت عينيها أولا ، ثم ابتسمت •

* تعبير الخريف *

- الرطوبة الهائلة بدأت • رحل المصطافون •
- بهتت الآن علامة الفندق ، صفراء
- مع الاسم بالأزرق ، معلقة تجت غيمتين •
- عاملة النظافة ستمر بها يبطء في الصباح
- في طريقها الى غرف المتزوجين حديثا ،
- يستأثرهم المسدلة وشباشبهم ما تزال دافئة تحت الأسرة •

* رسالة *

- السمكري في الأفروك على السلم •
- باطنا قديمه عريضان •
- أنابيب موقد التدفئة تلمع على الأرضية
- مثل سيقان أشجار في غابة فضية •
- عاليا هناك ، في مواجهة الحائط ، يشعل سيجارته •
- مطرقة تدق وسط شرارات حمراء صغيرة •
- ما الذي تفعله في موقد تدفئة هذا الوقت ؟
- فالآن ، سيحل الصيف في أي يوم هنا •
- والدجاجات بدأت - فعلا - في وضع بيض أزرق قوي
- بجوار برميل النبيذ والمحراث •

* ثلاثية *

- وهو يكتب ، دون أن ينظر الى البحر ،
- يشغز بأن من قلمه يرتعش -
- انها اللحظة التي تضاء فيها المنارات •

* الليالى والتماثيل

- ترحل الليالى بخطوات واسنة
- ذلك هو السبب فى أن أجمل التماثيل
- تقف مضومة القلدين

البعيد

* بيظه

قسنا المكان ، ألقينا بالميت فى الجير ،
بعد ذلك اعتلينا القارب تحت أوهى الأقمار ،
الرابع حمل الصندوق الحديدى على ركبتيه
تكور على نفسه
كانه يستمد حرارة من نار سرية داخله .
والدخان ظل خفيضا فوق الماء ، لم ينقشع .

* هبوط

« ايوريديس » ، نادى . نزل جريا على السلالم .
لم يكن هناك ضوء فى صالة المدخل .
بحث بيديه عن المرأة .
وفى الطرف البعيد كانت المرأة ذات المظلة الصفراء ترحل .
المرأة الثانية فى الطابق الأرضى زعقت فيه : « لقد ماتت » .
والطيaron الثلاثة خرجوا من المصعد بدولاب كبير -
داخله كانت يداها المقطوعتان ومخطوطاتى .

* حوار قصير

اشتعلت السماء وحيدة خلف البيوت .
لماذا تبكين ؟ ، قال ، وهو يشب حزامه .

العالم جميل ، ردت ،
جميل جدا يمثل هذا الصداق القطيع ،
والسرير حيوان صامت ، متوحش يتأهب للرحيل .

* لأن

لأن الأتوبيسات قد توقفت أمام السياج
لأن الدمى في نوافذ الدكان المضاء أومات لي
لأن الفتاة ذات الدراجة توقفت خارج الصيدلية
لأن النجار حطم الباب الزجاجي لقاعة البيرة
لأن الطفل كان وحيدا في المصعد مع قلم مسروق
لأن الكلاب هجرت فيلات الشاطئ
لأن المبشرة الصدئة قد تغطت بالقراص
لأن السماء كانت رمادا به سمكة حمراء
لأن الحصان على الجبل كان أكثر وحدة من النجمة
لأن هؤلاء وأولئك قد تم اصطيادهم
بسبب ذلك ، بسبب ذلك وحده ، كذبت عليك .

* اكتمال تقريبا

تعرفين أن الموت غير موجود ، قال لها .
أعرف ، نعم ، أننى الآن ميتة ، ردت .
قميصاك تم كيها ، فى الدرج ،
الشيء الوحيد الذى أفتقده هو وردة صغيرة .

* عرض غسزلى

كانت المرأة ما تزال ممددة على السرير .
أخرج عينه الزجاجية ، ووضعها على المنضدة ،
خطا خطوة ، وتوقف .

هل تصدقيني الآن ، قال لها •
التقطت العين الزجاجية ، قربتها من عينها ،
نظرت اليه •

* حمى

ميادين صغيرة فى حركة دائبة ، والواحد يخترق الآخر ،
الواحد يخرج من الآخر : مبنى ، خرابة ،
مدينة من نوافذ فوق نوافذ ،
فى اليمين واليسار ركنان ينتصبان بلا اتساق ،
وفى الوداء تماما ، بلا ضوضاء ، الانهيار العظيم وسط حركة
صامتة ،
بينما الكلاب المهزولة الثلاثة تزداد ابتعادا فى الميادين المتتالية
التي تفوح برائحة موتى غرباء عند سلالها الكثيرة فى الطرف
البعيد ،
هناك حيث المرأة ترفع - عارية - الارنب المسلوخ أمام مرآة •

* الرجل ذو الذراع الواحدة

أربع مناظير مستديرة ، عارية بطول الصالة الضيقة الطويلة،
يضربهم الضوء مثل رماد، يهطل من النافذة البللورية الكبيرة،
بجوار المنضدة الثانية ، دون انفصال
وقف الرجل ذو الذراع الواحدة ، معاديا تقريبا ،
ذراعه كانت حمراء كلها ، وكان يحمل كتابا برتقاليا صغيرا -
المسألة كلها أنسا لم تعرف أبدا ما الذى سيجرى •

* شكرا

سمعت صوتك وهو يقول : شكرا
(بطبيعية بكاء ، غير متوقعة) -

كنت على يقين الآن :
أن جزءا كبيرا من الأبدية قد أصبح من نصيبك .

* خطوات واسعة

- استلقى السكارى ، وغرقوا - حالا - فى النوم .
- راجع الحسابات ، أطفأ النور ، وذهب الى الحديقة .
- أحس - تحت حذائه - بطراوة البرعم الدائرية .
- أيها البعيد ، أنت المنسى ، بلا مياج ، أيتها النبوة .
- قطرة من نبع قمر سرى على ورقة واحدة .
- وفجأة تضاء النوافذ السبع كلها خلف الأشجار .
- السكارى ، وهم يقفون على الأسرة ،
- يعرضون لبعضهم بعضا انتصاباتهم .

* فى السر

- سمعهم ينادون باسمه فوق الماء .
- تأكد أن ذلك كان من أجله . اختبأ .
- خرجت سفينة ضخمة مضاءة بصورة ساطعة من الميناء .
- على المعبر المرأة ذات القبعة - مزركشة ضخمة .
- حجبت عن الرؤية البرج المعتم ، والقمر ، والسقالة .

* وضع مريب

- شاحب ، شاحب للغاية ، فى شعره أشواك -
- أشواك حتى كتفيه ، حتى خصره ، حتى باطنى قدميه -
- ربما كانت بالفعل أجنحته ،
- لأننى ما ان نظرت - مرة ثانية - ناحية الباب ،
- لم يكن هناك سوى دخان قليل مكان المطرقة .

* متلبس بجريمة

صوب كشاف الضوء - مباشرة - الى وجهه ،
فلنره ، وهو مختبئ على هذا النحو فى الليل ، ونجعله يحمر
خجلا ،

له أسنان جميلة - ويعرف ذلك ، يتسم
والقمر الصغير فوق التل المقصوف بالقنابل ،
وأطفال الخطابين فى الأسفل عند النهر .

* مع ما يتعلم بلوغه

بعيد جدا جدا - ولهذا منيع أيضا - قال ،
لكن لا أحد بعيد بما يكفى ، لا أحد بقدر ما يريد
بقدر ما يستطيع أو ما يجب .
يربط رسغه بمنديله
أبكم ، لا ايماءة واحدة ، لا أحمر ولا أسود ،
منديل أبيض : الأبيض الأكثر كثافة ، والأبعد .

* فجر

ظلمة أرضية عميقة حتى النهاية .
أضيئت نافذة واحدة -
ماسة خضراء كبيرة مسروقة .
السماء بيضاء تماما ، عارية تماما .
أيها الفجر السرى ، قال -
جلد أبيض منقوش بمسام حمراء ، حلم ،
حلم مندمل ، . وندبتك أكثر بياضا فى معابدنا .

* مع الموسيقى

خزانات كثيرة ، دواليب كثيرة ، والكمان مرمى على السرير ،
الأسود والأبيض في معينات متزاحمة متقاطعة
والعجوز الشمطاء الأولى ذات العجيزة المشوهة ، السمينية
وزهور وسجائر ولؤلؤة عمياء
وزخرفة صغيرة موشاة بالذهب على البيانو -
في الدخان طفت الأيدي النبيلة ،
اللوريات المحملة بالامدادات العسكرية قعقت على طول
الممرات السرية ،
وأنت تجلس على الأرضية تقشر الفول السوداني
و « بام » و « يوم » ، والموتى بعيدون في الداخل ، بعيدون في
الأعلى .

* ذلعة لاحتفال

- خطأ ما حدث في الاحتفال الذي كانوا يعدونه لي .
- صعدوا وهبطوا السلالم ، تصادموا في الممرات .
- والشمعدانات الثلاثة ظهرت في الصالة الكبيرة .
- فوق المنصة تلتهم أكواب الماء .
- يقدموننى .
- أستحث قدمي ، أتفحص نفسي بيدي ، اننى ضائع .
- وإذا ما حاولت نزول السلالم ، فسيقبض الحاجب على .

* أرق

الترديد الدائم لنفس النص المستغلق -
في أعلى الجريدة الثقب الصدئ من المسمار ،
في الأسفل قطرتان من دم أسود -

الاثنان - قال - الاثنان ، الزوج ، الصوت المزدوج ، المعنى المزدوج .

- متعب من الأبواب التي تفتح وتغلق مع الموتى والنساء .
- ليفترس يسرع بالذهاب قبل أن يبدأ المطر .
- عاد - بعد ذلك - بالبطانية المبلولة والقبعة التي تخص الشخص المشنوق .

* مقياس مصغر

- تكيف سهل للجسد في كل أوضاعه ، كل ساعة ،
- في كل اضاءة ، هو نفسه مع الأثاث .
- الباب الأخضر في مكانه الأيمن .
- شعرك يسقط بكثافة أكبر من رموشك .
- لم أهتم عندما تأخرت .
- الطائر الثاني قال ما قاله الأول .
- لا أحد يحمل مفاتيحه الخاصة .
- ماري ، وكأنها عارية لا ترى بعد موتها ، تشعل الكبريت .
- وخلال برهة صوت الانفجارات في الضاحية السفلية .

* في اتجاه السبب

- الصوت العميق سمع في الليل الأعماق .
- ثم مرت الصهاريج . ثم بزغ النهار .
- ثم سمع الصوت من جديد ، أقصر ، أبعد .
- كان الحائط أبيض . الخبز أحمر .
- السلم استند - عموديا تقريبا - على عمود الاضاءة القديم .
- المرأة العجوز الممت الصخور السوداء واحدة واحدة في حقيبة من ورق .

* اعادة ترتيب

- كل منهم يحمل ميتة أو أكثر على ظهره .
- طريق بعد طريق، صخور، عوارض خشبية، شجرة محترقة .
- شخص ما أنزل المصباح ، الخبز على جذع شجرة .
- الى أين يحملون الموتى ؟
- لا أرض هناك في هذا الطريق . لا عشب ينمو .
- طوال شهور ثلاثة لم نفلح الا مع بذر الخروب وحده ،
- والذاكرة تنفد .
- ان لم يكن للموتى أى أرض ، فليس لنا أيضا أى أرض نقف عليها .
- آنثذ أشعلنا النيران الهائلة ، وضعنا العجوز على الصخرة ،
- خلعنا أحذيتنا ، ونحن نجلس هكذا على الأرض
- قسنا أقدامنا اثنين اثنين ، وباطن القدم يواجه باطن القدم .
- قوسطنطين الشاب ، صاحب أكبر قدم ، هو أول من رقص .

* هجوم

- شوينسا البطاطس في الجمر . وفيما كان الملح ما يزال بين أصابعنا
- سمعنا الصراخ في الساحة ، بالقرب من البئر .
- حسنا، قال، فلنرحل عبر السياج الخلفي . خذوا البطانية .
- قمر زائف من نافذة الى نافذة ، من سطح الى سطح ،
- والمرأة في دولاب الملابس خائفة ، ذات عينيْن معصوبيتين ،
- أبعد في الداخل ثياب الميت معلقة والتذاكر التي لم تستخدم في الجيوب .
- انفصال صامت عن مخاوفنا وعن أحلامنا المريرة .
- والتمثال الموجود في المدخل يهذى ، وجهه مضرج بالحمرة من شيبه .

- ثم صوت الكلاب وهي تنبح
- بذلك ابتعدوا
- عبروا النهر

✽ تسبب ما

ربط الحبل بالشجرة • لم يربط أى شيء بالجبل ،
 تركه مرميا على الأرض
 لهؤلاء الذين يقفزون الى النهر فى الصباح
 لهؤلاء الذين يقفزون من سطح الى سطح فى الليل -
 شيء ما سيسقط من جيوبهم ، مهما كانت محمية تماما ،
 وسيعثر عليه كناسو الشوارع فى اليوم التالى
 والأوامر ستكون قاطعة : عليهم تسليمه -

(فدائما هناك حاجة لشيء ما عام ، فى النهاية)

✽ الجانبان

- حفنة عظام وقطعة من حديد صلب
- كانت المرأة تجمع الخضر فى الحقل -
- وساقها مكشوفتان الى أعلى من كل ناحية ،
- فى الخلف ، يحرس الكلب الطفل تحت الشجرة
- وما ان حل الظلام حتى عدنا الى المدينة ،
- توقفنا أمام المنزل الأحمر ، نظرنا عبر النافذة المنخفضة
- كلاهما على المائدة ، بجوار المصباح ،
- أطباق العشاء ، حركات بطيئة - ضغينة صامتة
- يقف الثالث فوقهما بسكين ، يقشر تفاحة
- فى تلك اللحظة التفت وقال : دائما ما ننتهى بنفس الشيء
- ربما كان يعنى بذلك الخطيئة الأولى
- أو نسيانه لمشطه فى حمام شخص آخر

* اليوم التالي

أعمدة أضاءة ساقطة ، وشجرة - الضوء ينتشر من أسفل ،
الطريق الثانى بمحاذاة البالوعة .
جاءوا بالأوناش ، ورفعوا الأتوبيسات - لم يكن خطأنا ، قال -
ووسط الدروب كانت المرأة العجوز تجمع أزهار البايونج -
عثرت على ساعة النائب العام ، زلقتها فى معصمها -
أتظن ، يا بنى أن الموتى لا يعرفون الغضب ؟
انهم يقتاتون الحديد والأبواب والصخور -
آنثى ، صاح فانجيليس ، أعلى الجدار الباقى -
انهم لا يستطيعون استيعاب الكلمات -
أخرج الآخرون الأعلام من تحت قمصانهم
ومضوا نحو الفارس البرونزى -

* شروق شمس الشتاء

ما حدث هو أننا تطلعنا الى كلا الاتجاهين -
سقط الزمن فى توازن ما -
المرأة الداخلية والشجرة وكشك المحارب القديم المعلق -
ساعة بعد ساعة
المجلات والجرائد الملونة -
العرايا ، دخان ، هؤلاء القتلى ، الوهباء -
هذا التجهيل المعتم ، والحوائط المقابلة : مضاعفة -
متعة ، صرخت المرأة ، متعة حمراء بإطلاق حمراء ،
جسد أحمر مذبح ، والملاء تتدلى الى الدرج الحجري
والشبان الثلاثة المتأنقون ، المترابطون كتفا يكتف
(الأوسط منهم تمثال)
يتمشون - على مضض - فى اللامبالاة المضيئة للموت -

* متوقع وغير متوقع

- ذلك ما لا يحتاج ولا له - حتى - أى علاج .
- قمر ناقص ، ساكن يخرق الحائط بأصبع واحد .
- من الداخل ، فتشت المرأة عن تأكيد في وجوهنا .
- وكنت تجدق في مكان آخر .
- طرخوا الباب - فتحت له - لم يقولوا أى شيء .
- حددوا فينا كأننا كنا الأشخاص الذين ارتكبوا خطأ ما .
- ورحلوا .
- وعلى الدرج الأسفل تركوا المسامير الثلاثة الأخرى ،
- والشاكوش والقصيدة .
- في الحديقة ، تحركت فضة قمر ما خلف أذن التمثال .
- وسمعت .

* الأكثر كفاية

- يمكنك أن تستكملي بسهولة أكبر -
- فيكفى ألا تريد الاقناع أو الخداع .
- وجيدة . وجيدة الطيور والأطفال والموسيقى والسرير والستائر .
- المرأة المريضة تعالج بالكى .
- ذبابة أخيرة متأهبة - تقريبا - للموت
- تتجول على امتداد الملاة الدافئة .
- وهناك سلسلة سرية من ميات فاترة وراء موتنا العادي ،
- وراء تماثيله الرصينة المجيدة ،
- خلال تلك المعجزة الطافية ،
- خلال ضوء هذه المرأة التي تعرف كيف تعكس
- (مهما كان الرئيف والتشظى) مجده الجسدين العارين .

* بعد كل موت

نبحث مرة ثانية وثانية - من البداية - عن تلك النعومة المطلقـة ،

عن تلك الاستدارة العميقة -

صخرة النسيان البيضاء المحفوظة فى خزانة البحر الأسود .
انحنى المرأة على النافذة ، وهى تضغط ثديها الأيسر فى الخشب .

والكرة الحمراء محشورة فى ماسورة تصريف المياه فى السطح المقابل .

ذلك ما كنت أفكر فيه ، قال ، وأنا أسمع صوتها فى حزن ،
محددًا فى التمثال بالحديقة فى الأسفل -

ذلك الذى أخرجوه الليلة قبل الماضية من البحر مع المشاعل .
كم ينتصب شامخا ، وابهامه ما يزال رطبا أمام شفته الرطبة .
وهو يعترض سبيل البياض الكثيف المدهش .
قبل أن ينجح فى العثور على تعبير .

* ودائع

منضدة الصراف من زجاج - أية عملات غريبة ،
أية أسنان مستعارة من ذهب ، وفضة ، وحديد ،
سنة ذهبية واحدة للميت ، قلادة ايلينى ،
دبوس قبعة ضخمة ، العهد القديم مجلد بالفضة
مع أحجار حمراء وخضراء .

الساعة الكبيرة فى ساحة المدينة دقت الثانية عشرة .
أخرجوا الدواجن من التلاجة .

وقف منظم الأحذية عند الباب وحذاء أنتينوس ينزلق على يديه .

آنذاك هبت نسمة رقيقة من الجنوب ، ارتعشت الملاء الطويلة
وتحت السريـر

يمكنك أن ترى الحذاء الناصع البياض ذا الكعب العالى للعروس
الميتة .

* التماثيل فى المقابر

التماثيل العارية تحت الأشجار فى المقابر
حوصرت بالأصوات المشبوبة لطيور الليل حينما انسحب آخر
المركب .

التماثيل تقلد - باخلاص - الموت ، الحب الشبقى ، السكون ،
بسيوف حجرية ، بأجنحة حجرية ، بأعلام حجرية ،
من كل مكان الى آخر ، نوافذ تضاء ، أسرة ، رقص ليلى فى
الحديقة .

اخرج ، اخرج ، صرخ بيتروس ،
مفاتيحي مع الحارس فى حزامه ، وكلبه يتبعنى -
ذلك مكن اعتراضى عليه .
التماثيل لا تقلدنا ، انها - أيضا - وحيدة ،
تعانى ، تنكر اللاوجود ، تتهيج ، تحمر خجلا ،
وشريانها الرئيسى مترع بالدم .
ذلك هو سبب صياح الطيور هكذا .
لتغطى هزيمة الموت الهادى .

* البعيد

أيها البعيد ، البعيد ، العصى المنال ،
فلتسع دائما للصامتين فى غيابهم ، فى غياب الآخرين
عندما يصبح خطر القرابين ، خطر القرب ذاته ، عبثا ثقيل
خلال ليالى الوعد بالأضواء الملونة الكثيرة فى الحقائق ،
عندما تلتمع عيون الأسود والنمور نصف المغمضة
بلا مبالاة خضراء وامضة فى أقفاصها

والمهرج العجوز أمام المرأة المعتمدة
يزيل دموعه المرسومة حتى يستطيع البكاء ...
أيها المستعصى على الامتلاك ، أنت بيدك الطويلة الكنيبة
خفى ، بلا استعارة أو اعارة ، بلا التزامات ،
تسمر المسامير فى الهواء ، تدغم العالم
فى ذلك التراخي العميق حيث تسود الموسيقى .

(ثلاث نسوة عجائز ، نحيلات ، بائسات ،
مسبيات فى أرض أجنبية ، مأسورات من وطنهن ،
يجلسن بالخارج فى الشرفة ، قرب منتصف الليل
فى الربيع ، مقعيات بجوار بعضهن البعض الى الحائط ،
بثيابهن السوداء ، وأوشحتهن السوداء ، يشبهن أطفال
الليل ، الأشباح • لا ينظرن الى البحر • ولا الى النجوم •
شيئا فشيئا يبدأن فى الكلام ببطء ، كأنهن قد نسين
— أيضا — الكلمات ، كأنهن قد تذكرنها — الآن — توا ،
من جديد ، ويمسكن بها تحت ألسنتهن يمشغنها مع
لعابهن ، ولا يعرفن ما اذا كانت تلك الكلمات أم أنها
شيء آخر • الآن — من جديد — يتلعثن ، يتوقفن •
كانك — وأنت تمضغ شيئا ما تعرف أنه طرى ، كقطعة
خبز فى فمك ، اذا بأسنانك تصطدم فجأة — بلا توقع —
بشيء صلب — بحصاة ، بشظية من عصا الكنيسة ،
بكسرة ما ، فتلفظ اللقمة فى احدى كفيك ، وتتجسسها
باصبع من الكف الأخرى ، لاشيء — خبز فحسب ، تعيد
اللقمة الى فمك ، تبتلعها ، — كم كانت لذينة • والنسوة
يفعلن ذلك • ولا يبين • فهو الليل • وكثيرا ما يرفعن
أكفهن الى أفواههن • ربما ليغطين ثوبا فى جزء آخر ،
ثوبا غير مرئى — ثوبا فى الروح ، على ما يقرلون — ،
ربما حرصا على ألا يسمعن أحد من السادة النائمين فى

البيت • مؤكده انهن لابد أن يكن نسوة عجائز من ميلو
– اللائي أخبرنا. بهن عمنا. العجوز ثوسيديديس ، منذ
يوم أو يومين ، عندما أتى فيلوكتيتيس ابن ديمياس –
فى العام الثالث – من أثينا مع سفن كثيرة وسحق
الجزيرة ، مضرما النار فى البيوت والمعابد ، معدما كل
الرجال – الكبار ، والشبان والأطفال ، مستوليا على
النساء كمسيبيات – نسوة عجائز ، ونساء حديثات عهد
بالزواج ، وأمهات وفتيات صغيرات • حقا ، انهن نسوة
من ميلو، على جزيرة أخرى الآن ، مسبيات، بائسات •
على الشرفة الأجنبية يتحادثن فى صوت خفيض –
وبالتدريج يتكلمن بسرعة أكبر ، بوضوح أكبر ،
بهدهو دائما) :

المرأة الأولى : يبدو أن القشعريرة وصلت • الصيف تأخر •
وساعة الكنيسة تدق •

المرأة الثانية : دقت الثانية عشرة • منتصف الليل •
هس – سيسمعوننا بالداخل •

الثلاث معا : فلنجلس هنا ، نقعى معا ، فيمكننا الاحساس بالهواء
المنعش •

المرأة الثالثة : أليس غريبا أن الساعة تدق ونحن نعد من البداية –
اثنتين ، ثلاثة ، خمسة ، تسعة ،

المرأة الأولى : ذلك أنها تدق ونحن ننصت – غريب •
وهل نحن اللائي نتكلم ؟

الثلاث معا : هل نحن اللائي نحرك شفاهنا ،
نحن الموتى منذ أعوام ، نحن نسوة ميلو ؟

المرأة الثانية : نحن نفتح أفواهنا – فهل يخرج منها صوت ؟ –
وهل نسمعه ؟

الثلاث معا : هل كان ليلو وجود ، وكان لنا أيضا وجود ،
ولنا آيد ، ونحرك أيدينا ونتذكر ؟ - هل يتذكر الموتى ؟

المرأة الأولى : وهل يتحادثون وتطرف رموشهم ؟

الثلاث معا : هل تعتقدون أننا كنا نائمات لأعوام وأعوام ،
ورأينا هذه الأشياء فى نومنا ، كى يستردها - بعد
ذلك - النوم ؟

كانت جزيرتنا صغيرة (كانت مكانا - لاذكريات وأحلاما)،
كانت جزيرة صغيرة كخاتم ، -
كانت هناك أشياء كثيرة لا نمتلكها ، وأشياء كثيرة
لا نعرفها ،

المرأة الثانية : أعوام تعيسة مرت أيضا - أمطار وعواصف حيننا ،

المرأة الأولى : وحيننا الحرارة الحارقة للشمس والجفاف العظيم -
ولا حتى حبة قمح ، ولا طائرا يعبر ،

المرأة الثانية : المكان أتون ، والهواء حديد محمى - البحر يعمى بوهجه .

المرأة الثالثة : وبياض حائط الحظيرة المطلية كان سكيننا - تجز شعرك ،
فجأة ذاب جرس الكنيسة وانساب نهرا من حديد على
الدرجات .

الثلاث معا : وكان للزيتون أن يذوى ، فيسقط بعنف على الأرض
مثل عيني شخص مريض ،

المرأة الثانية : مثل عيني شخص نعبان ، مثل عيني شخص أعمى -
ويكون علينا أن نللمها من الأرض ،

الثلاث معا : ننحنى وننحنى من جديد - ونحن نؤدى كفارتنا أمام
أيقونة فارغة ،

وندسهم في كيسنا كأننا ننتزعهم من أسنان الموت ،
وفوق رأسنا محصلو الضرائب

المرأة الثالثة : وفوق رأسنا الأمراض ، والجرة المكسورة ، والمكنسة
بلا شعر

مثل اللقلق النحيل الذي هرب في الليل وترك روثه على
المدخنة .

الثلاث معا : لم تقل شيئا - كانت الكلمات صعبة -
المكان سجن ، والصمت يزيد .
في الصمت كنا يبدو أكثر أمانا ،

المرأة الأولى : والحجر - في حائط البيت - كان يبدو أكثر أمانا أيضا .
والكرسي المجاور للنافذة .

الثلاث معا : أحيانا ما كان أسيادنا سيئين ، وأحيانا أسوأ - دائما
أسوأ ،

لكننا حتى في هذه الحالة لم تكن أبدا بلا قوت تماما -
كنا نعد لقيماتنا ، نعد الهواء الذي نتنفسه في السر
فوق سرير الطفل -

المرأة الأولى : وفي العد ننسى أنفسنا ، -

ونحن نرفو الجوارب الصوفية الكبيرة غرزة غرزة ، ه ،
٧ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٥ ، - كنا نهدهد أنفسنا كي ننام ،

المرأة الثانية : كنا نسقط في النوم على الكرسي ،

تسقط رؤوسنا فننطلق من جديد ، نفتح عيوننا فنوقف
العد ،

كان الجورب كبيرا كبيرا ،

المرأة الثالثة : كبيرا كميناء فسارغ - وكلما نسجت كان الثقب يكبر
مثل عين الرجل الأعور المختبئة التي لا تريد أن تراك ،
بل وتخاف من أنك قد تلمس المقلة بالابرة •

الثلاث معا : كنا نعمل عملا شاقا ، حتى فى الليل -
بل لم تكن نعرف ما اذا كان هناك قمر فى الخارج ،
ولا حتى كنا نريد أن نعرف - الآن ، فقط ، فكرنا فيه ،
كنا نعرف ما اذا كانت الريح تهب - كنا نستطيع أن
نسمع الريح ،
فمعطفها كان يعلق من وقت لآخر - فى الخارج - بالمسمار
فى الحائط ،
حيث تركنا جدائل الثوم معلقة ،
كان يعلق بالفتاح •

المرأة الثالثة : وعندما تتوقف ، كانت يدنا اليمنى تظل - لبرهة - فى
الريح ،
ووبر البطانية ينام برفق كعرف الحصان الذى عاد الى
الحظيرة •

الثلاث معا : عشنا بالكاد على خبز الشعير والذرة والنخالة -
أيضا عاش معنا الدجاج ،

المرأة الأولى : لم يكن لدينا وقت لنمرر المشط فى شعرنا - لم نهتم -

المرأة الثالثة : هل ينظر الحمام والدجاج فى المرأة ؟
ما كان يفزعنا هو أن نرى أطراف كم قميص أزواجنا
الليلي مبلولا ،
حينما كانوا يغتسلون فى الباحة ، - أحسنا بها ،
ولو انه لمسنا آتئذ - وفى يديه سواران باردان -
لأحسنا بالبرودة على ظهورنا •
الثلاث معا : يا الهى ، كم غريب - عالم أعجوبة - كمان مبلولان •

المرأة الثالثة : وفي يوم آخر ، ونحن نقشر كوز ذرة كبير ، ورقة ورقة –
أوراق كبيرة مجبوكة ، قفزنا وأفواهنا مفعورة –
كانت الذرة تضحك بألف سنة مصفوفة ، ذهبية بفعل
الشمس .
وعاليا على التل ، في الأقرآن ، كانوا ينادون « جورج ،
جورج » .
دفسنا الذرة في صدورنا ، لم نقضمها .

الثلاث معا : كنا نحرق ، نقطف العنب ، نعلم الأشجار ، نرى الحقل ،
نقوم بالغسيل ، بالعمل الروتينى ، نكوى –
بينما فى الخارج يحل مساء ربيعى هادى ،
وفجأة يتردد فوق البحر هناك ، فوق الماء الذى يتكلم فى
السر ،
صوت منفرد صاف كالبللور

المرأة الثالثة : صوت أجش ، صوت صياد شاب – متحجرا برهة فى
الهواء ،
لينتشر بعد ذلك ، فيمتصه السكون كما لو بورقة تشاف ،
ونحن هناك فى الظلام ، فوق الحديد ،
نجاهد – بمرارة ضاحكة – لحل شفرة الحروف المقلوبة
على ورقة النشاف –
نحن الذين لم نستطع – حتى – أن نميزهننا على نحو
صحيح ، –
بل وحتى لم نستطع أن نراها جيدا ،
حيث كانت فضة القمر تلتصع على تويجة الشاطئ –

الثلاث معا : كان القمر ورقة واهية ، يظهر خلف النافذة ،
بعيدا كأننا كنا نحن اللاتى ابتعدن عن العالم . كذا نضى
المصباح .

المرأة الأولى : آتشد ، فى موسم عصر العنب ،
عندما يكون على أزواجنا أن يعودوا من المعاصر ،

المرأة الثانية : ملطخين بخميرة العصر من الرأس الى القدم -
الأقدام ، الأيدي ، الوجه ، الملابس الداخلية ، القمصان ،

المرأة الأولى : يتضرجون من الحماس والبهجة ، محمرين كتلك الآلهة
القديمة ، كما يقال ،

المرأة الثالثة : كانت قطرات من الدم تتجلط على شعر أرجلهم الملتف
كانهم عائدون من مجزرة سرية كبيرة فنندفع لنخبثهم .

المرأة الأولى : لنسخن الماء فى القدر ، نغسل أقدامهم وأرجلهم ،

المرأة الثانية : نغسل سراويلهم ، وقمصانهم ، نزيل الآثار ،

المرأة الثالثة : نطعمهم العشاء على عجل ، ونخبثهم تحت الأغطية .

الثلاث معا : ثم كان لهم أن يضحكوا فى السر من وراء شواربهم ،
كانهم قد سمحوا لنا أيضا بالاطلاع على سرهم الكبير -
ولم يكن هناك أى سر ، -
لكن النوم الناجم عن ذلك كان مريحيا .

المرأة الثالثة : آه ، موسم العصر ، مع الحصيد القش ، والسلال ،
والسكاكين ، -
كانت الباحة عاطرة ،

المرأة الثانية : كان الشاطئ يفوح بأريج الورد ، والخيول تنزلق على
الحصى ،

المرأة الأولى : وبراميل كبيرة مملوءة تغط فى نومها بالطابق الأرضى -

الثلاث معا : النبيذ الذي سيشربه الآخرون ،

عناء على عناء - القطاف ، التقليل ، الرى ، التجفيف -
ركبنا أصبحت يابسة كالعظام ، -
لم يكن لدينا وقت للنظر فى أنفسنا، لم نشأ أن ننظر فى
أنفسنا ، -

ولماذا حقا نجلس - من جديد من جديد - متربعين ،
برأس محنية على الركب ، كالجنين المنحنى
داخل الظلام الدامس ؟ -
فأين نجد الوقت • تقليل وحرث وترتيب ،

المرأة الأولى : أشعل النار ، زنى السمك ، املئى الجرار ،

المرأة الثانية : نظفى زجاج المصباح والنوافذ من غبش البحر ،

المرأة الثالثة : نظفى العدس واحدة واحدة -

نسجنا - أيضا - زوجا من مناشف الوجه على النول ،

المرأة الأولى : نسجنا قطعة أو قطعتين من الصوف ، وبطانية كبيرة -

المرأة الثالثة : ولم ننس أن نضيف اليها النقوش -

زهرتى ربيع ، طائر أحمر ، ودولفين ضخمة فيروزي ،

الثلاث معا : كبرنا ونحن نعمل، ونحن نعمل تعلمنا أن نعمل ، ونحن

نعمل تعلمنا أن ننسى همومنا ، أن ننسى أنفسنا ، أن
ننطلق من جديد •

المرأة الأولى : فى الصيف ، فوق جزيرتنا ، كم كان الأصيل يتلأأ ،

المرأة الثانية : عندما كانت رياح الصيف العظيمة تصفر ،

والبحر يرتعش - متكسرا - بكامل جسده ،
والعالم كان ومضة ، وحدها ، وشرارة •

المرأة الثالثة : وداخل البيوت كانت البرودة تقعى كطائر ، كبير كبير ،
يحتل المطبخ - دون أن يترك لك أبدا غرفة لتتزعزع
اليها ،

لترتيبها ، لتقف عند النول ، دون أن تدوس على ذلك
الطائر الذهبى
ذى العينين البنفسجيتين .

المرأة الأولى : ولا حتى غرفة نذهب اليها كأنك تهش ذبابة مزعجة
وقفت على كوب ماء نظيف -
وتهرش قفاها بقدميها الاثنتين -

المرأة الثالثة : لاشئ ، لاشئ ، بدون نتف قليل من زغب الطائر الذهبى
وبعثرته على العالم ، آه ، قليل من زغب ، -
وتجلس غريقا مثلما فى كرسيك جامدا ،
واليدان على الركبتين ، فى خدر عميق ،
وانت أيضا مذهب كأيقونة مرسومة على لوح من خشب
سرو ،
كأن شخصا ما ربما آمن بك فجعلك نفرا ،
وذهبك -

الثلاث معا : كنا كأننا - فى داخلنا - نؤمن بأنفسنا .

المرأة الثانية : كان ذلك الضوء العظيم للحصاد - هو ما غطى على
العبودية والموت ،

المرأة الأولى : كان الضوء العظيم وأوراق الشجر ورياح الصيف غير
الحليقة

مع أصداقها الهائلة التى تصيح بالخارج برفقة الزين ،

المرأة الثالثة : وداخل البيت القطة النائمة على رأس السرير .

الثلاث معا : آه ، كم آمنا ، نحن المظلمات ، بالضوء ،
وكم آمنا ، نحن المهدومات ، بالحياة .

المرأة الثالثة : وذات أصيل آخر - كيف حدث ذلك -

ونحن ننحنى على البئر ، متلهفين على أن نرى شيئا -
لا لنسحب ماء - لاندري ، سر كآنة خطيئة ، -
أجفلنا من صرخة المرأة في صرخة طائر يمرق عاليا في
السماء ،
في مكان لم يخطر لنا ببال - على التل تماما -
كان يستهدفنا من خلف ظهورنا •

الثلاث معا : تحسسنا - آتئذ - مفاتيح المخزن في جيب مريلتنا ،
نظرنا الى شجرة التين - أوراقها عريضة كالأيدي العاملة -
لم يكن أى شيء ، دخلنا ، هادئين •
فقط جريدة واقفة على أرجلها الخلفية ، هناك ، على حوض
الماء
ترقبنا بعيون خضراء ، كروية ، كبيرة •

المرأة الأولى : وأحيانا كان يحل صمت قصير وسط الساعات ،
كأننا رحلنا ورتب البيت نفسه ،

المرأة الثانية : كأن الساعة على المائدة - فجأة - توقفت
ومعها توقف الزمن أيضا ،

الثلاث معا : ولم يعد من الممكن أن يحدث شيء بعد ذلك ،
لأشياء يمكن أن يكون قد حدث -
كان الولادات والجنازات كانت - آتئذ - أكاذيب

المرأة الثانية : والقدر الذي يمكن أن نسمعه يغلي على الرجل يصمت ،

المرأة الأولى : والدلو الذي يستخدمونه في سحب الماء من البئر يصمت
أيضا ،

المرأة الثانية : انقطع الجبل ، غرق الدلو ، غرقنا -

الثلاث معا : غرق هادى ، راحة مؤقتة - أن تعرف أنك غرقت
ولو أن شخصا ما فوق الماء ينادى باسمك ، فلن يعثر
عليك ،

المرأة الثالثة : صوته وحده يفوس ببطء فى الماء
كالقرط الذى أسقطته أختك غير الشقيقة وهى منحنية على
البئر .

الثلاث معا : آنذاك ، وفيما تنعس ، تخز اصبعك الابرّة التى كنت
تمسكها فى يدك ،
من تلقاء ذاتها - تقول لك « استيقظ استيقظ ، ليس
ذلك صوابا » ،
تقول لك ، كأنه ليس صوابا فى الكنيسة أن تنظر خارج
النافذة ،

وفجأة تنتزع الابرّة ، تهز يدك اليمنى لأعلى وأسفل
على نحو ما ترسم الصليب على نفسك ،
لتتخلص من الشر ، لتطرد الروح الشريرة -

المرأة الثانية : وفى الحال تشد الخيط كأنك تشد حبل الدلو ،
تنبزعه وتقفز ،

المرأة الأولى : تنظر حواليك كمجرم ،
خوفا من أن يلصقك أحد هناك فى الحضيض ،
خوفا من أن تراك المرأة على الحائط ،

المرأة الثالثة : خوفا من أن تكون آنية القهوة التى تعكس الشفق
قد قالت أى شيء لبعضها ،

الثلاث معا : وعيوننا متاهية دائما للاعتذار للجميع ،
للطفل ، والكلب ، والكنارى ، ما من كائن يظهر فى
طريقنا .
تتشبث بهذا الخيط الذى نمسكه وتتسلقه .

المرأة الأولى : وحده الخوف دائما ما يبقى -
ذلك الخوف من أن يفضل أولادنا الطريق - كل مرة
يخرجون فيها -
ويفشلون في الرجوع ،

المرأة الثانية : من أن تعثر عليهم روح شرييرة هائشة والسكتين بين
أسنانها ،

المرأة الأولى : من أن تسقط على رؤوسهم - وهم سائرون - لائحة
المطعم الضخمة ،

المرأة الثانية : ضخمة جدا ومحدبة ، بمسامير قاطعة كاستان الأسد .

المرأة الثالثة : هل ذلك هو المطعم الذي تعينه ؟ -
عنده دجاجتان في سفود مرسومتين في الركنين العلويين -

المرأة الأولى : خوفا من أن تضربهم صاعقة وهم يفتحون أقواسهم ليقولوا
ما هو صواب .

الثلاث معا : خوف ورعب - كان الشتاء قاردا - فيرتعد جسدا
بكامله ،

يقشعر جلدنا ، ندس أيدينا في الجوارب الصوفية
لأولادنا الغائبين
كأننا نمسك بأقدامهم كي ندفئها ، -
ونتدفأ .

المرأة الثانية : ننظر - فقط - الى الباب ، حتى لا يدخلوا فجأة
فيجدوننا غائبين - هكذا - عن الوعي - وأيدينا في
جواربهم .

الثلاث معا : آه ، لو - فقط - يجيئون
حتى لو وجدونا نقضم أظافرنا بجوار القدر -

المرأة الأولى : كانت هناك أيضا فجوة سرية في الحائط -
هناك احتفظنا - لأعوام وأعوام -
ببعض العملات المتبقية - أحيانا - من الشراء ،
هناك احتفظنا بهدايا العام الجديد للأوقات الصعبة -
ببعض الأشياء الرخيصة ،
وكنا نسد الفجوة بالورق - فلم تظهر .

الثلاث معا : وفي بعض أيام الأحد ، عندما كان الجميع بعيدين في
الميدان ،
أو على الشاطئ ، كنا نستخرجهم ، نخصيهم -
شيء ما لحطبة البنت ، كنا نقول ، زوج بنطلونات للولد
الأكبر ، -
لم يكن هناك ما يكفي ، سيعطينا الرب ،
تقول ،
وكنا نبتهج بببضة العش الصغيرة .

المرأة الثانية : كم كانت ترتعش رموش ابنتنا وأنت تفردين زوجا من
الملاءات المطرزة ،
زوجا من أكياس الوسائد أمام عينيها ،

المرأة الثالثة : غطاء أخمر للسريير بطائرين أبيضين جنبا الى جنب ،
يتعانقان منقارا لمنقار .

الثلاث معا : لم يكن هناك ما يكفي ، كنا نعيدهم الى الحائط .
ذات يوم ، فتحنا الفجوة ، كانوا قد اختفوا . لم نتعلق
بكلمة .
ظهرت أشياء أخرى ، أكثر خطورة - غطت عليهم .
عسا ذلك ، فمن حين الى حين ، نتذكرهم ونحن نقوم
بأعمال المنزل .
أو في السرير عند المساء ،

فى المعدة تماما ، أسفل المعدة ، قرب السرة ،
عقدة ، نتوء مجوف ثقيل ،
كان تلك الفجوة فى الحائط قد حدثت فى جسدنا •
ساوينا الحائط فيما بعد • ما ظهر شئ •
ولم نكن - حتى - ندير أعيننا نحو هذه البقعة •

المرأة الأولى : أوقات مسترخية جاءت أيضا - لا نستطيع الشكوى -
مثلا حدث مساء السبت ، عندما سددنا ديوننا للبقال ،
وبقى من الزيت ما يكفى لأسبوع أو اثنين ، بل ربما شهر -

المرأة الثانية : ومثلا فعلنا مع الغسيل ،
وكانت سلة الغسيل تجف سعيدة فى الباحة ، والملابس
تجف مكشوفة ،

الثلاث معا : بعدئذ كنا نلهم ، نلقيهم فوق كتفنا ،
فيلمسون خلودنا دافئين ، يتفتون البخار ، بملبس
الزغب ،
يفوحون بالشمس والصابون وبالأريج الآخر لعمل اكتمل
ولشئ ما وردى ،

المرأة الثالثة : وشذرة زغب من نبات شوكى حطت على قميص الولد
وداعبتنا تحت الأذن - أرادت اضحاكنا ،
أرادت ردنا الى الشباب من جديد ، -
نجحت ، - وضحكنا داخل أنفسنا ،

الثلاث معا : على هذا القبيل ، لانت أنفسنا بفعل عنائنا ،
متباهيات - فى السر - بكل هذه الملابس على اكتافنا ،
كأننا كنا - بأنفسنا - نرفع العالم بأسره - وكان خفيفا -
كنا نحن الذين جعلناه خفيفا ، وجعلنا خفيفات •

المرأة الثانية : أوقات مسترخية - لا سبيل للشكوى ، -
والكى لم يكن ملحا •

الثلاث معا : ذات ليلة ، ونحن جالسات على العتبة •
عندما كنا نحاول في السر تخيل شكل القمر -
زهريّة زجاجية

المرأة الأولى : مليئة بملح - وطب قليلا -

المرأة الثانية : أم انه - بالأحرى - فصباح تدور ذهني
أم أيقونة عذراء لازوردية -

المرأة الثالثة : أم عش من قش زغبى وبداخله العنديل
وكان يغنى ، لكننا لم نستطع أن نسمع صوت زقزقته
العذبة - تويت تويت •

الثلاث معا : وأحيانا ما كنا نتأمل أيضا ، وأحببنا ذلك •

المرأة الأولى : أو أحيانا ، في مساء إحدى العطلات ،
نمضي من باب الى باب نثرثر مع السيدات الطيبات في
الجوار -

من كانت تتزوج ، أو تتعمد ، أو تحتضر ،

المرأة الثانية : وكان بجيب مريلتك بضع لوزات ،
وكثيرا ما كنت تلمسينها بأصابعك ، تعتصرينها ،
لكي تحسى بشكلها القوي ، بخوافها الحادة ،
كقوارب صغيرة موصلة بإحكام
تطبق على الجوزة البيضاء في قشرتها -

الثلاث معا : تحسبنا اللوز القوي في جيوبنا ،
لأن المساء كان واضحا ، وروحك أيضا كانت واضحة ،
وكانت الحياة واضحة
وكانت تهرب من يدك دون أن تدركها •

المرأة الثانية : هل تعرف أن ذلك هو السبب في أننا كنا ، في داخلنا
الأعمق ،

فيما وراء الكلمات ، نتكلم ونحن صامتون
وكنّا ننصت لذلك الصمت العظيم الذي يزدحم بأشياء
مجهولة .

المرأة الأولى : مثلما يحدث عندما تهتز الستارة من ذاتها ، دون ريح ،

المرأة الثانية : مثلما يحدث عندما ينطفئ المصباح الذي كنا قد ملأناه
منذ ساعة ،

المرأة الأولى : مثلما يحدث عندما يستقر الغبار على الصندوق الحديد
الذي يضم أكاليل الزفاف الشمعية ،

المرأة الثالثة : مثلما يحدث عندما تجدد - على المنضدة التي نظفتها حالا -
قطعة جبس مفتتة ، -

وترفع رأسك - على الفور - لأعلى
فاذا بالسقف على حالته ،

وعنكبوت كبير يجاهد ليختبئ عن نظرك - لا يختبئ .

الثلاث معا : في أمسيات الصيف ، لا تستطيع احتمال دخول البيت
للنوم -

قليل من وقت اضافي في الباحة ، قليل من وقت
اضافي لمشاهدة العالم -

ويجئ العالم الينا من جديد كحمار صغير طيب
بأذنين كبيرتين حادتين في السمح -

المرأة الثالثة : وكثيرا ما يهز أذنه اليسرى ليهش نجمة أو بعوضة .

الثلاث معا : وكنّا نعص على شفاهنا لنمنع أنفسنا من الضحك
بصوت عال ،

حتى لا نسمعنا الأطفال النائمون بالداخل ،

المرأة الأولى : حتى لا نسمعنا أزواجنا فيظنون أننا قد أصبحنا أطفالا
بسخفاء .

الثلاث معا : كانت الأشياء - آتشد - طيبة ،

ولم تكن - حتى - نعرف ذلك - هناك في الباحة مع البئر .
كانت الصخور ما تزال دافئة من شمس النهار في برودة
الليل .
ومع الباب التالي يمكنك أن تسمع الدجاجات الدافئة في
العشة وهي تنفث ريشها ،

المرأة الأولى : وغناء الصياد في قاربه في المياه الضحلة ، في الأسفل

المرأة الثالثة : والورقة الجافة الكبيرة تسقط من شجرة البشملة
بصخب عال
بعدها يصبح الصمت أكثر صمتا كمرأة مهجورة تحت
الأشجار .

الثلاث معا : كنا نتعرف على الأصوات -

نستعيد تعارفنا مع شيء ما عطوف ، منسى -

المرأة الأولى : السلحفاة التي تزحف - دون أن يلحظها أحد - في
الحديقة ببطء ،

المرأة الثانية : طابور الحباب الذين يشعلون قناديلهم الصغيرة لينيروا
طريقهم ،

المرأة الأولى : النحلة التي تنام في الورد -

يمكنك أن تسمعها وهي تبتلع لعابها ،

المرأة الثالثة : وصيرير أجنحة الفراشة -

لم تتكيف داخل القرنفلة ، مهتاجة دائما ، متقلبة دائما
في نومها .

الثلاث معا : وكانت أنوفنا تدرك الروائح واحدة واحدة من خديقتنا :
المروية الصغيرة .

المرأة الأولى : هذه عترة - تقول أنوفنا - وتلك نعناع ،

المرأة الثانية : وتلك ريحان أو بابونج أو ورد

المرأة الثالثة : هذا بقدونس ، - وضحكة تقهقه داخلنا ،

مثلما يحدث عندما تهز ثوبا قديما

فيسقط - مصلصلا - على الأرض خاتم طفل صغير كنا
نظنه قد ضاع .

الثلاث معا : كانت الأشياء طيبة - وليس من الصواب أن تكون
جاحدين للحياة -

تلك الأمسيات التي يتحد فيها كل شيء ويتصالح الجميع ،
البرعم ، والقمر ، والكلب ، والكناري - الجميع في واحد ،

المرأة الأولى : والقمر ، حقا ، لم يكن غريبا ، كان قمرنا ، أبيض ،
كاللازورد ،

دافئ كبيضة كبيرة باضتها الدجاجة منذ لحظات .

الثلاث معا : آه ، نعم ، حقا ، - فبين حين وآخر كانت لدينا قطرة وقت

لنرفع يدنا ونمسح العرق عن جبهتنا ،

بين حين وآخر لنلفظ «آه» بين ورقتين خضراوين ناضرتين

ونحن راكعات على الجوض ، نعجن الخبز للصغار ،

رفعنا - بلا قصد - عيوننا ، - الى النافذة التي كان يقف

بها طائر صغير ويرقبنا - نسينا أنفسنا ،

المرأة الثالثة : أعتقد أن الطيور قد أكملت لنا العجن ونحن ننظر -

المرأة الثانية : وربما أكملناه نحن أيضا - من يدري ؟ -

لم نصنع أرغفة ،

المرأة الثالثة : بل صنعنا طيورا من العجين ، نثرنا عليها سكرا ،

ونثرنا على أجنتها حلوى جبراء ووزقاء ،

وضعنا قطعتى قراصيا مكان العينين ، -
استمتع أطفالنا كثيرا بهم

الثلاث معا : بل لم يعرفوا ماذا يفعلون بهم :
هل يأكلونهم أم يلعبون بهم •
أزواجنا - وحدهم - تجهموا وعبسوا، عاقلين حواجبهم -
من يهتم ؟

المرأة الثالثة : لمرة وحيدة ، صنعنا ما أردنا ،
بالطريقة التى دلنا اليها الطائر وقلبتنا •

المرأة الأولى : يا صديقتى ! تذكرن ذلك الغروب الربيعى ،
الهادى ، الصامت ، هبة الرب - والبحر ناصع
كالكريستال ،

المرأة الثانية : صوار وحبال ومجاذيف مبلولة ،
حمرة داكنة تومض ،

المرأة الأولى : هلب منصوب - تتعلق فى أطرافه قلائد براقه -
أى مرجان ، أى يواقيت وذهب -

المرأة الثالثة : فتاة صغيرة تتمشى وحيدة على الشاطئ فى الأسفل
كأنها تتمشى فى عالم آخر الى نفسها -
لم تكن جبهتها محنية •

المرأة الثانية : وفجأة تظهر جزر صغيرة فى البعيد ، بعيدا فى البحر -
لم نرها أبدا من قبل ، لم تكن هناك من قبل -

المرأة الثالثة : جزر صغيرة لازوردية ، شفافة ،
تضىء كلها دفعة واحدة فى الغروب ،
تومض كالجواهر ، تحترق وتموت ،
ثم تتحول الى رماد ، لتذوب فى الليل •

الثلاث معا : لكننا رأيناها بأنفسنا وعرفنا بوجودها ،
وعرفنا أن العالم كبير ، أكبر مما استطعنا رؤيته ،
وأننا لم تكن وحدنا .

المرأة الأولى : وفجأة وصل مندوبون ذات شفق ،
من بلد ، على ما يقولون ، بلد كبير ، بعيد ،
به ملايين السفن ، به بيوت بيضاء كبيرة ،
المرأة الثانية : ناس من حجر ، على ما يقولون ، يقفون منتصبين على أعمدة
طويلة ،
ولديهم مدارس كثيرة من حجر أبيض .

الثلاث معا : واعترانا شعور قلق -
ثيابهم كانت جديدة ، وصولجاناتهم المزخرفة فى جمال
لامعة ،
لم ينظروا إلينا مباشرة فى عيوننا ،
كانوا ينظرون من أعلى ، فيروا شيئا ما لم نستطع رؤيته .
سفن كبيرة بخمسين مجذافا اصطفت أمام جزيرتنا
الصغيرة .
لم يطا بحارتها أرضنا ، لم يدخلوا مطاعمنا ،
استلقوا هناك منبطحين فى انتظار الإشارة .
جاء هؤلاء المندوبون وحدهم من الأرض الأجنبية ،
وكانوا - على ما يقولون - يونانيين أيضا .
جمعوا أزواجنا وأبناءنا

المرأة الأولى : عند المتراس العلوى ، حيث يوجد المدفع القديم الصدى ،
المرأة الثانية : ذلك المدفع الأعور ، المهمل هناك منذ عهد أجدادنا
المرأة الثالثة : ليتسلقه الحمام والعصافير والأولاد ويمتطوه ،
متظاهرين بأنهم فرسان عظماء
فى أمسيات الصيف ، قبل العشاء ،

ويمدوا أيديهم في فمة الخاوى
ليمسكوا بقدم البجنية ، ربما ؛ ويضبحوا رجالا شجعانا .

الثلاث معا : جمعوهم عاليا هناك ،
ونحن في كل ناحية ، التصقنا بالأبواب .
تكلّموا بهدوء (آه، هذا الهدوء الذى تشمه قبل العاصفة) -
لم نستطع فهم كلماتهم - التقطنا جرسها وحده .
« استسلموا » - قالوا - « والا سندمركم » .
قالوا الكثير ، قالوه بكلمات مختلفة -
ذلك ما فهمناه : « استسلموا » . -

المرأة الأولى : أمثل ذلك يأتى من البحر ؟

المرأة الثانية : مثل ذلك وأيدينا معقودة ؟

الثلاث معا : كنا نتطلع الى أزواجنا -

المرأة الثانية : الفك مطبق - أخرس -

كأنهم يحملون فى أفواههم قصف رعد هائل .

المرأة الأولى : والآخرى واصلوا الحديث -

عيونهم تزداد صفرا ، كلماتهم تزداد سرعة ،

الثلاث معا : أفواههم تزداد اتساعا - كانوا يتلعون كل هوائنا

لم يبق لنا شيء كى نتنفس .

ورجالنا ، صامتين كالبحر ، قالوا شيئا ما

من قلب الحجر ، قلّموا ردا ما ،

المرأة الأولى : قالوا شيئا ما عن « الشرف » ،

شيئا ما عن « الوطن » (وقرعت هذه الكلمة

المرأة الثانية : على نحو ما يقرقع أساس البيت فى الزلزال

فتظن أن كل النوافذ ستتخطم ،

ومعها زجاجات « الراكى » الجيد فى الرف على الجدار

المرأة الأولى : الزجاجات التي احتفظنا بها للزوار .

الثلاث معا : تكلموا جيدا - فأحسنوا -

« الشرف » ، « الوطن » ، وينظرون الى أسفل في أحذيتهم .
وبعد ذلك كلمة أكثر صعوبة ، أكثر عظمة -
أسموها « حرية » -

المرأة الثانية : نعم ، « حرية » ، فومض ضوء أسود هائل عاليا
حتى منتصف السماء ،

المرأة الأولى : نعم ، « حرية » ، ولم نعرف ما الذي تعنيه -
وفاضت عيوننا بالدموع ،

المرأة الثالثة : فاض البحر تحتنا بالدموع ،
وتحول الشاطئ الى زرقة الحبر .

المرأة الأولى : انفجر طفل في النسيج فجأة ،
كأنهم قد ذبحوا - أمامه - أباه .

المرأة الثالثة : والعمة « كوستينا » تقلمت خطوة ،
وضعت يديها خلفها وفكت مريلتها كأنها لن تعمل بعد
الآن .

ثم جاهدت لتربطها مرة ثانية بإحكام أكبر ، -
ولم تنجح في ذلك .

الثلاث معا : كنا نرى يديها ترتعشان -
يدان كبيرتان كأيدي جزيرتنا كلها ، -
لم تستطيعا العثور على أربطة المريلة ،
وقد تظن أن الأربطة قد ضاعت ،
قد تظن أن أصابعها أصبحت أكثر رخاوة .
كان الصمت حولنا ينتشر ، -

ولا تستطيع أن تسمع سوى قرعته .
الحركات كانت بطيئة في الظهور ،
وتظن أن عامين أو ثلاثة قد مروا منذ أن تدخل يدك في
جيبك ،
فتعثر على فص ثوم ، وتكسره .

المرأة الثالثة : أما البجدة العجوز ذات المائة عام ،
السيدة « كاتينا » التي تداوى بالأعشاب ،
والتي يمتلئ بيتها كله - من الداخل والخارج - بأكياس
صغيرة

لا تحتوى سوى على أعشاب ،
معلقة على الجدران في مسامير صدئة ، -
اندفعت السيدة « كاتينا » الى السطح ، ممسوسة ،
وهي تحمل مرتبتها القش ،
رمتها في الشرفة وراحت تضربها بعصا غليظة
كأنها تضرب شخصا ما على مؤخرته .

الثلاث معا : وفجأة

ماذا كان ذلك الضوء الساطع ،
ذلك الهدير ، تلك الغيمة من غبار ؟ -
هل اشتعلت في مرتبتها النار ؟
هل اشتعلت النار في أكياسها المعلقة على الجدار ؟
هل كانوا يطلقون قنابل المدافع من السفن ؟ -
متى - في ذلك الحين - وطأ أرضنا الغرباء ؟
وأين وجد ناسنا السيوف ؟
جدران التحصينات كانت تهوى والصخور تنفجر ،

المرأة الأولى : الزيت الساخن كان يفور في القنوات ، والدم يجري ،
المرأة الثانية : وهذه الكلمة المزدوجة « الحرية أو الموت »
انفجرت في الفضاء ،

المرأة الثالثة : كف مطبوعة بالدم على باب المطعم -
الياب الموارب - كان الجميع يعجرون -

المرأة الثانية : صيحات « الحرية أو الموت » من الحصن العالي ،
من الشاطئ الأسفل -

الثلاث معا : كنا نبحن الذين نصيح ، ألم تكن نبحن ؟ -
أصوات عالية - ألم وخوف -

المرأة الثانية : (بين الألم والخوف ، كان الخوف هو الأقوى) -

المرأة الأولى : لا الألم ولا الخوف -
كانت العوارض الخشبية تحترق ، وتهوى ،

المرأة الثالثة : والنار اشتعلت في علم مبنى البلدية ،
فتوهج وهوى في الشفق مثل ورقة شجر صفراء كبيرة -

الثلاث معا : التفتنا لحظة وزأينا -
كانت السارية تحترق مثل اصبع وحيد
لم يعد لديه ما يشير اليه -
« الحرية أو الموت » - كنا نجرى من جديد -

المرأة الأولى : أية حرية ؟ - أي موت ؟ - أين ذهب أطفالنا ؟ -
كنا نجرى على غير هدى ، الى أعلى الى أسفل -
كان المكان يتبدل
ولم تكن تستطيع القول أين توجد بيوتنا -

الثلاث معا : لم تكن هناك بيوت بل ألسنة حمراء كبيرة ،
المرأة الثالثة : في جرعة واحدة كانت تبتلع شرفة ، أو سقفا ،
المرأة الثانية : معلقا ، تعريشة كروم ، بابا ، نافذتين ،
المرأة الأولى : الكنيسة بأبراج الجرس - خوف وألم ،
- لا الخوف ولا الألم -

الثلاث معا : آه ، كيف تنطقون « حريبة » ،

كيف تنطقون « موت » ؟

لقد حددتم اختياركم مقدما - وحده الموت .

المرأة الأولى : لم يتركوا أى كائن ذكر -

وعيوننا لم نعرف كيف تبكى ،

المرأة الثانية : والأقدام كانت تجرى من تلقاء ذاتها -

لم نعرف الى أين كانت تجرى ،

المرأة الثالثة : والفم كان يصيح من تلقاء ذاته -

لم نعرف به كان يصيح ،

المرأة الثانية : والعيون كانت ترى من تلقاء ذاتها -

لم نعرف ماذا كانت ترى .

الثلاث معا : كل شيء سواد واحمرار ، - حصان يجرى ،

المرأة الثالثة : بقرة تهز ذيلها - فتبهش ذبابه -

ذلك ما رأيناه ،

المرأة الأولى : زجاج نافذة مكسورة فى العشب ،

المرأة الثانية : قطرة مقتولة على القرميد - لم يكن هناك بيت -

المرأة الثالثة : قرميد المطبخ وحده ، -

واحدى عيني القطنة نصف مفتوحة ،

المرأة الأولى : والمستوقد يشتعل فى الشوارع ، -

دجاجة تقوقى

المرأة الثالثة : امرأة عجوز ترتدى أسمالا خطفت البيضة .

كانت البيضة بيضاء ، مستديرة تماما -

كسرتها وامتصتها ، والبياض سال على شفيتها ،

الثلاث معا : كان شخص ما يصيح « ابنى ، ابنى » -

يصيح من داخل الآبار

المرأة الأولى : والمتسول الأعمى على سلاله « سان نيقولا »
كان ما يزال يمد يده ،

المرأة الثانية : قطعها أحد الجنود بضربة سيف واحدة ،
والتقطها من الأرض ،

المرأة الأولى : كأن الدم يتفجر نهرا -
« خذها » قال له ، ورمها عند زكبتيه ،
« يا الهى » صرخ أحد الأصوات - من صرخ ؟ -
صرخ مرة ثانية « يا الهى » .

الثلاث معا : وذلك الصوت « ابنى » ، « ابنى » ، « ابنى » ،

المرأة الثالثة : من أظافر قدمك الى جذور شعر رأسك - لن يتوقف .

الثلاث معا : ثم لاشئ - خرس مع صوت خطى أجنبية ، -
وحل الليل .

بالنسبة لنا ، قيدوا أيدينا ، ورمونا فى السفن ،
الواحدة فوق الأخرى ، أكياس مربوطة ، أكياس طرية -
لم يكن بالأكياس شئ ،

المرأة الأولى : ولا حتى شئ تافه ، لا ملدأة ، ولا ذكرى - خاوية .

المرأة الثالثة : كيس خاو يحس بالآلم ولا صوت له ،
ولا يلفظ « آه » ،

المرأة الثانية : كيس خاو - لا ، ليس خاويا ، -
كانت به عظام ، فعندما كان كوع بداخله يرتطم بخشب
السفينة ،
كان يصدر صوتا مكتوما ،

الثلاث معا : كان يمكن سماع صوت واهن ، -
كانت عظامنا داخل الأكياس .
حملونا الى هنا - عبيدا فى أرض أجنبية -

- المرأة الأولى : لا تعرف المكان ،
وأيدينا لا تعرف الأمسيك بالمكنسية ،
المرأة الثانية : مطرقة الباب ، ركن المنضدة ، الأمسيك بالجرة -
أجنبي ، أجنبي -
المرأة الثالثة : أنوفنا لا تعرف الهواء ، لا تتعرف على الروائح .

الثلاث معا : المرتبة محشوة بمسايير ،
تقلب يمينا ويسارا - لن يغلبك النوم ،
وذاكرتك مليئة بمسايير ،
لا مكان لتحني ظهرك ،
جدار وحيد ، عال ، بلا ركن لتحتنى به من الريح ،
جدار مليء بالمسايير ، مثل جدار السيدة « كاتينا » -
وآين يمكنك الآن أن تعلق الأكياس الصغيرة
ذات الأعشاب القديمة ، حيث المقصات ،
وسلة من التوت البري ، وقبعة حمراء ، و امرأة صغيرة ؟

المرأة الأولى : ما الذى يمكن أن تفعله امرأة ؟
ما الذى يوجد لتراه - وجه الموت القبيح بالأنف المجدوعة ؟

المرأة الثانية : الأسنان العارية فى ظلمة اللييل ؟
عيوننا أظلمت - لا ترى ،

المرأة الثالثة : عيوننا لا تعرف الأشجار ، لا تعرف البحر ،

المرأة الأولى : بحر بلا ملوحة ، بلا طحالب أو أسماك - لا رائحة .

الثلاث معا : هنا ، سرا فى الليل ، اجتمعنا معا ، مستوحشين ،
بالمنديل الأسود يعصب عيوننا

هنا ما نزال نتساءل ، نتساءل بلا كلام
هل كان ليلو وجود ، هل كان لنا أيضا وجود ،
نحن نسوة ميلو ، آكان لجزيرتنا وجود ،
وهل كبرنا نحن أنفسنا هناك ، وعملنا وتزوجنا
. أنجبنا أولادا ما عادوا لنا ؟

كيف حدث ذلك ؟

كيف يمكن حقا أن يكون ذلك الذي ما نزال نتأمله
ونذكره ؟

لابد لذلك أن يعنى - اذن - أن ميلو كانت موجودة ،
أننا - أيضا - كنا موجودين ، وأننا ما نزال -

المرأة الأولى : وأن تلك الكلمة ، ذات شفق ، « وطن » موجودة فينا ،

المرأة الثانية : وأن تلك الكلمة « حرية » موجودة ، ذات مساء ، فينا ،

المرأة الثالثة : وأن تلك الكلمة الأخرى ، رفيقة الحرية ، « الموت » ،
تأكل فى أحشائنا ،

الثلاث معا : كبذرة أزواجنا ، تكبر وتكبر ، فتملأنا -

هيه ، حامل من جديد فى السبعينيات ، فى الثمانينيات ،
لنلد - من جديد - أطفالا كثيرين ، ألف طفل ، أولاد
وبنات جزيرة ،

لنلد - من جديد - ميلو ذات الخدين المتوردين

يا الهى ، هل أصابنا الجنون ؟

يا الهى ، هل متنا وبعثنا كطيوف ليلية من الجانب الآخر
من العالم ؟

الرحمة يا الهى ، الرحمة يا الهى ، الرحمة يا الهى -

نرسم الصليب على أنفسنا ، ها هى يدنا ، - نراها ،

انها ترسم شارة الصليب هناك ،

وهناك ظلها على الشرفة -

يد جديرة - آه ، يا الهى - بأن تحمل من جديد

الخبز ، والطفل ، والسكين ، والعلم .

(الفجر يشرق عن بعد ناحية البحر ، - وهج

وردى فاتن . كتلة جزر صغيرة مبعثرة هنا وهناك

تنبت - لازوردية ، شفافة ، بعيدا ، كذلك الشفق الذى

يعود - الآن - الى ميلو . النسوة العجائز يتطلعن .
 وجوههن تبدو وردية - وتظن أنهن يعدن الى الشباب
 من جديد . ويطونهن تبدو - حقيقة - كأنها تكبر ،
 وهناك ميلو ، هناك ، هناك ، الى اليسار أكثر قليلا ،
 بكل بيوتها - ليست ذكرى وحلما - حية . الزجاج
 يلتصق في النوافذ . وأربعة شبان رائعون عند الميناء في
 الأسفل على الطريق الساحلي - اثنان في المقدمة واثنان
 خلفهما . وعارضتان كبيرتان على أكتافهم . على قمة
 العارضة ، يحملون كنيسة بيضاء . والفخار الأول
 يمر مع حمارة الصغير المحمل بجرار وأباريق جميلة
 الزخرفة . « صباح الخير ، يا سيداتي الكبيرات » ،
 يقول . « هل قال لنا ذلك ؟ » تساءلت النسوة
 العجائز . « صباح الخير ، أيها الشاب الوسيم » ،
 يجبن . يمر . « ألا يشبه ذلك ما يحدث في ميلو ؟ » ،
 قالت احدهن . « الشاب ؟ الأباريق ؟ - نعم ، تماما
 كما في ميلو » ، قالت الثانية دون انتظار لاجابة .
 « انهم يشبهون تماما ميلو » ، قالت الثالث ، وفتحن
 أذرعتهن الى البحر كأنهن يتمطين ، كأنهن يستيقظن
 من كابوس رديء .

(ساموس ، سبتمبر - نوفمبر ١٩٦٩)

حجرة البواب

* بياض كثير

خلف النوافذ الزجاجية ، الدكان الخاوي ، كله أبيض -
حوائط بيضاء ، طاولات بيضاء ،
على الطاولات صناديق بيضاء بها بياض أبيض .
فقط ذبابة كبيرة سوداء رفرفت أمام زجاج النافذة .
وكنت متأكدا تماما أن صاحب الدكان
قد توفي منذ برهة يسيرة في الحمام
والعملات في جيبه من بيع البياض الأخيرة -
بياض كثير لم يطلق سراحه ، بياض كثير غير مطلوب ،
وحيدة تماما ، باهر .

* أعمق

أكثر عمقا ، - قال - بل أعمق
(بايقاع - أيضا - في الهبوط ، باستمراره) -
هناك تكمن النقطة الوحيدة الثابتة .
شيئا فشيئا تعتاد العين على الظلام .
تميز افتقاد الحوائط - افتقاد السقف - افتقاد السلالم .
لا نوافذ زجاجية ، لا مرآة ، ولا الخزنة القديمة .
البيئات معلقة في الفراغ الأوسط يدنايتس .

وذبتبات خطواتك المبكرة الواهية
على ابريق اللبن النحاسي
الذي ترك في الصباح الباكر ، مع ندى الربيع ،
أمام بوابة الحديقة غير المحكمة ، البيضاء
أو على الابريق الفخار الآخر
الذي تحمله على رأسها المرأة الصامتة .

* قرب الفجر

آخر الليل ، عندما يبدأ المرور في الخفوت في الشارع
ويترك رجال المرور أماكنهم ،
لا يعرف ما الذي يفعله بعد ذلك ،
ينظر من النافذة الى أسفل
الى النوافذ الزجاجية للمقهى الكبير ،
المغشاة ببخار السهر ،
ينظر الى عاملي المقهى منكسرين في الضوء ، كاشباح ،
متجاورين خلف الطاولة الطويلة ،
ينظر الى السماء بثقوبها البيضاء ،
التي يمكن - من خلالها - رؤية عجلات الأتوبيس الأخير .
وبعد ذلك ، « لا شيء آخر ، لا شيء آخر » ،
يعود الى الغرفة الخاوية ،
يخني جبهته على كتف تمثاله (الأكبر من الطبيعي)
فيحس ببرودة الصباح على الرخام ،
بينما الحراس - أسفل في الساحة مع أحجار الرصيف
المكسورة -
يللمون شظايا الآلات الوترية من طرود المنافى .

* استقالة جزئية

- هكذا حدث أن انقلب النهار فجأة الى نهار غائم .
- فقد الساحر قبعته الرسمية مع الطيور .
- وربط البهلوان حبله الى رجل المنضدة .
- فى الممر أوراق لعب الليلة الماضية مرمية مبعثرة .
- وفى الغرفة العلوية، الرجل الميت ممدد - وحيدا - على السرير
- بشيابه والحذاء متقاطع فى يديه ، مفتوح العينين ،
- يحملق فى السقف بذلك الغثيان الواضح
- من كل هذه الذرائع ، والالتواءات ، والأقنعة ،
- من كل هذه الأضرار فى البنطلونات ، وخاصة فى الصدرية
- عندما يكون الموت واحدا ، بلا نظير ، وحيدا
- وحوض الغسيل ذو المرأة المكشورة غير صالح للاستخدام .

* حركة

- توفيت أمهاتنا مبكرا .
- فكيف كبرنا على هذا النحو بين أيدي غرباء .
- صباحات شتائية مع كسرة خبز مغموسة فى ماء وقايل من
- سكر .
- رنين المنبهات قطع نومنا الى النصف .
- خرجنا الى الشارع دون اغتسال .
- ظللنا ننتقل من بيت الى بيت كل حين وآخر .
- وكنا دائما ما نترك خلفنا شيئا ما -
- صندوقا به بعض الكتب ، ماندولين مكسورا .
- سوف نمر - هكذا كنا نقول - ذات يوم أحد لناخذهم .
- لسم نمر أبدا .
- وحقيبة الملابس هذه وسط الغرفة ، مغطاة بالخدوش .
- مع أربطتها المبعثرة على الأرض .

بالداخل تركنا تعويذة قديمة فى خيط أسود
مع تلك الصور المتسخة التى رأيناها ألف مرة
المزدحمة بنساء عاريات ، من النموذج القديم ،
لهن حوض عريض ، وخصر نحيل وصدر كبير .
أحدهن كانت ممددة ووجهها لأسفل كأنها تبكى .
كانت - بالفعل - تبكى أمام الحائط
ذى المسامير الصدئة التى يتعلق بها زوج من المقصات وحماة
البنطلون .

* اقتراح

لا تتكلم بصوت عال ، فلا أستطيع احتمال الأصوات العالية .
فالجميع يزعمون ، ما الذى يجنونه ؟ - قال
فاذا ما تكلمت برقة أكبر ، فسوف أصدقك .
المنبه خبأته فى صندوق الثياب ، -
فهو مصمم على تقطيع وقتى الى فتات ، كأنه من أجل عصافير
الشتاء .
لكننى لست طائرا ، - أريد وقتى سليما
بلا صرخات أو صخب مثل قطار ما بعد الظهر ، المنحدر فى
الشارع ،
أسفل طريق « ليوزيون » بعربات كثيرة ، واحدة وراء الأخرى.
محملة بالفحم والمجارف فوق الكومة .

* فناء

عميقا فى الفضاء الداخلى ، بلا أية أشجار ،
لكنه يضم الأشجار التى أصبحت مقاعد ،
وكراسى ، ومناضد ، وصناديق .
على صندوق الثياب تجلس المرأة الصامتة ، تغطى رجليها

تنظر الى اليرقة وهي تزحف على الأرضية -
يرقة خضراء ، لزجة تائهة ،
نفس اليرقة التي أكلت الخشب وتأتى الآن لتأكل البيت .
والصور المعلقة على الجدران والجبل المتدلى من السقف .

✽ قصة امرأة تجاوزت الشباب

لا تخبرنى • دعنى أخمن - تقول - اننى أخمن •
أقفز من شرفة الى أخرى ،
وأنا لا أحرك غير أصابع يدي واحدة •
أحل الستارة البيضاء • أرميها على كتفى •
أتذكر أننى حافية •
وهو ما يجعلنى أشعر بما يشبه الرقص •
أرقص فى الهواء • انظر •
قدمى اليسرى أكثر خفة • اليمنى أكثر مهارة -
اننى مطاعة ، انظر ، وموجودة •
فكل حبل ، فى طرفه ، فى حافته الأخيرة ،
له عقدة محكمة تمنعه من الانتسال •
أليس ذلك هو ما يحدث مع غير المتوقع ؟ - دائما فى النهاية -
آه لو أستطيع تعليم أحد ما هذه الرقصات •

✽ أبنية

أكنت أنت الذى علقت البطانية الصفراء فى الشرفة ؟
أكنت أنت الذى رسمت شارة الصليب فوق الخبز ؟
لقد كنت وراء الحائط • ورأيت ظل يدك اليسرى على الباب •
أما السكين فلم أرها أبدا •
الباقى أغفلناه كله -

كيف تشكلت الكلمات، كيف يتمشى حارس الغابة وحيدا على التل ،

قبل حلول الليل والأحجار تنجدر -
تقضمها الكلاب ، تحملها الى النهر ، عند الرجل ،
حيث تغسل النسوة - فى هدوء - ملابس الميت .
آنئذ تقف الكلاب بلا حراك ، وأقواها مفتوحة ،
تكشف عن أسنانها ، كأنها ما تزال تحمل نفس الأحجار
وتنظر الى أعلى -
هذه الأحجار التى بنينا بها البيت غير المأهول بلا سقف .

* اعتراف صعب

لقد كنت أنا الذى أخذت المسامير وألواح الخشب . فلا تخنى
كان بمقدورى ألا أخبرك . لا أستطيع .
بينما كان الآخرون يدقون ، وهم عرايا فى الشمس ،
صعد السلالم مرتديا ثيابه ، وربطة عنقه .
فتح الخريطة ، كبيرة تماما ، وأشار بأصبعه .
جعلنى أتجمد . فلم تكن الشواكيش مسموعة فى الدق .
الآن أعرف الفرق بين الورق والحديد .
فالعالم ينقسم الى اثنين .
وسواء وافقت أم لا ، فلن يتوحد .

* تحولات

تعاملت مع الدب الأسود برفق - يقول - فروضته .
فى البداية قدمت له خبزي ، ثم رأسى .
فالدب - الآن - هو أنا والمرأة .
أجلس على الكرسي ، أبرد أظافرى ،

ألونهم بالأحمر أو الأصفر ، أنظر اليهم ، يرضوننى •
لا أستطيع لمس أى شىء • فأنا خائف من الموت •
صنعت تاجا بعد ما تحررت من السلسلة حول رقبتي ،
وضعته على جبهتي •
والآن ، ماذا أفعل ؟
على أن أقف مرفوع الرأس ، أنظر دائما الى أعلى •
مع ذلك ، ففى منتصف الليل ، فى سهري الجديد ، ولا يهم
كيف أمشى ،
أسمع صدى خطواتى يتردد فى الأسفل تحت الباب المسحور ،
بينما السلاسل الأخرى تتدلى من الجدران •

* علاقة

لقد اتهمت السيدة العجوز الوحيدة ،
بفكها الملتوى ، وعينيها القاسيتين ، وأسنانها السوداء •
الآن تمشى مع الكلاب وسط القاذورات •
يذاها طويلتان ، نحيلتان ، معتنقتان فى سمو بكر •
تنظر الى نافذتك • ترمى لها منديلها الذى نسيته •
تتركه يسقط على الأرض ، وتلتقطه ، تفتحه ،
تضعه تحت ذراعها ، تصعد السلالم ،
تضعه على عتبة بابك من الخارج -
لا تدخل •

* ايماءة

ها هنا - مرة أخرى - شىء ما يستهويك ، بلا توقع ، شىء
ما بلا أهمية
كإيماءة امرأة تأخذ الورود الجافة من الزهرينة
لا تتخلص منها على الفور ، بل تتوقف ، تفكر ،

حركة مرجأة ، بل نادمة سلفا -
إذا ما حادتها فلن تسمعك -
أيما صماء ، كالكلبة التي تضعها في قصيدة
وبعدها تدور هنا وهناك متسائلا : « هل قلت شيئا ؟ »
ولا تبالي بأن الحرب قد أعلنت
وأن الطائرات الكبيرة تمزق الغروب
بظلال سيوداء ذات حدين فوق الأجر ،

✽ مقارئة مهيبة

المقهى ، والصيدلية ، والمخبز ، باب أحدهم بجانب الآخر ،
أبعد قليلا محل الزهور الصغير .
الناس لا يتوقفون .
النساء ينظرون الى انعكاساتهن في النوافذ قبل حلول الليل
مباشرة .
خلف الحائط غير المكتمل في حقل الخبازي
يرمى الجميع أشياءهم - صواني كرتونية ،
زجاجات دواء ، أكوابا مكسورة ، فناجين ، زهورا عفنة .
هناك مكان تجمع النساء والكلاب :
يبحثون في الكومة بعناية ، يذهن شارد -
لا يرون الغروب الذهبي ،
يبحثون كالشعراء يبحثون عن القصيدة ،
وأكثر النساء العجائز يؤسا ، المهجورات ، سعيدات
بقشرة برتقالية جافة ، بجزء من مرآة مكسورة ،
بزجاجة دواء زرقاء ما تزال تحمل
الآثار البيضاء للحلزون المتشرد
وفي جوفها صوت القطار الذاهب الى « لاريسا » .

* النوع الآخر من الدقة

عليك بالقياس جيدا ، وأن تحسب بدقة الحدود والأبعاد .
بذلك ، تمتد - منحنيا - عصا القياس على الأرض ،
مستغرقا - بذلك - فى المرات التى قد تكون نسييت فيها
الحدود - من يدري - ،
فقد تكتشف الدقة الكبرى ، وحيدا وذاتيا ،
عندما ستلمس أصابعك - بالصدفة - على الأرض
مشبك حزام « هيلين » - الحزام الذى كانت ترتديه ذات مساء
وهى تراقب - من فوق الأسوار - معارك اليونانيين والتروجانز
وخلفها - كالمصير - الكلبة السوداء الحامل
تتبعها - منتشية - بعينها الناعستين .

* لقاء غير متوقع

لاشئ ، بالطبع ، ينشأ بكامله من تلقاء ذاته .
وأنت أيضا لابد أن تبحث كى تعثر عليه .
فى الصباح تدخل الشمس من النافذة الشرقية ،
تغير لون الكرسيين الأرجوانيين ، تبقى برهة ،
ثم تنسحب مخلقة وراءها الشعور بالسكينة -
هذا التلاشى الهادئ .
وزهور السجادة التى داستها الأقدام ، لها حقها ،
لها آذانها التى سمعت فى الأرض ،
تسمع الركض الايقاعى للخيول السريعة .
آنثى تدخل المرأة الصامتة ،
ولك أن ترى أنها حريصة على ألا تدوس هذه الزهور .

ما لا يصدق ربما يمكن قبوله من شخصين معا
رغم أنه لا يكشف نفسه - أبدا - إلا لشخص واحد .

* تعاطف

البيوت التى قضينا فيها حياتنا
نفس البيوت التى نبحت كل يوم فيها
فى الأقبية ، والدواليب ، والمصاييح ،
خلف المرايا ، أو تحت الأسرة ،
عن دبوس شعر ، صندوق مجوهرات ، ساعة مكسورة .
عن علبة كبريت قديم - لم يعد يشتعل -
عن أشياء كنا نعرفها فأصبحت فجأة
مجهولة وبعيدة ، أو العكس تماما ،
فى هذه البيوت ، تحت المناضد
عن شريحة خبز بالية (من يدرى من أى عشاء ؟)
لا لناكلها ، بالطبع (فلم يعد أحد جائعا) ،
فقط لنكتشفها .
ولو ان شخصا ما دخل الغرفة فى هذه اللحظة ،
فاننا - نقضم الخبز فى الحال -
- رغم الخوف من كسر سنتنا الأخيرة ، -
هناك فى شفق الأمسية الهادئة للغرفة ،
فى الليونة العذبة العميقة للزمن
فى تعاطفنا مع أنفسنا ، مع كل شئ ، مع الجميع .

* كلب عجوز مالموف

عرفنا هذا الكلب لسنوات طويلة ، - دائما هو
دائما بعظمة كبيرة فى أسنانه ، لا هو يأكلها
ولا هو يرميها من أسنانه (فكيف يستطيع بذلك أن ينبع ؟)
الا اذا كان يختبئ - كل ليلة ، ونحن نائمون -
ويقضمها فى السر ،
ثم يجد ، بالتنقيب فى مكان ما - من يدرى -

عظمة جديدة لليوم التالي ،
إلا إذا كان قد عرف أن النباح بلا فائدة أبدا
أنه لا يحمي أحدا ، لا البيت ولا الحديقة
لا النافورة ولا هو نفسه من القمر ، والزمن ، واللصوص .

* الى اعلى

كان ذلك كل شيء .
من النافذة كان الناس يرمون عملات ذهبية .
والآخرون ، فى الشارع ، لا يأخذونها .
ظلوا بلا حراك ، بلا صوت ينظرون الى اعلى
ربما الى الجائعة ، المغلولة ،
ربما الى الغيمة أو التمثال الطينى
أو الى ذلك الخطاف الكبير
حيث شنت العمة « أنسا » نفسها منذ سنوات .
بعدئذ ، انحنوا وأخذوها .
وبقيت أنت - من جديد - وحيدا فى الغبار
تخفى يدك المبتورة فى قميصك .

* توجيهه

خطط اقتصادية ، خرائط ، فرجار ، أدوات رسم -
لم نفهم شيئا من كل ذلك .
والتخطيط ينتهى دائما الى فشل .
نزلنا ، ونحن نمسك بالحبل ، نزلنا الى الأعماق فى البئر القديم ،
ونحن نحس على أقدامنا بالبرودة المظلمة للأعماق .
فى فوهة البئر ، وهناك عاليا ضوء ضئيل
(ربما كان طرف سجائرنا المشتعل)
والأحجار التى تهوى الى القاع
حددت موقعا لنا داخل العالم المعلق .

* ونواصل

كل مرة ، اذ يقول « لقد انتهيت » ، لا ينتهى أبدا .
ذات مرة تكون النافذة بستارثها الطويلة ، المسدلة ،
وفى المرة التالية الرجل الأمامية للكرسي ،
بعدها كوب الماء المنسى تحت السرير قرب الحذاء ،
قبل كل شيء داخل الثلاجة - البيضاء بصورة مصطنعة -
بالتفاحة الحمراء المقضومة التى ما تزال محفوظة
وهى تكشف بوضوح تام آثار نفس الأسنان .

* على مستويين

خميلة الورد المتسلقة الجميلة
هذه التى تنحنى على التعريشة الحديد - بلون أحمر داكن
يتحول (من يدري بأية عملية سرية) الى قرنفل نبيل بمسحة
فضية تقريبا -
توهج مشرقة هذه الأيام الربيعية
فتضىء السلالم الحجرية ، والحوائط الداخلية
بل وفناجين القهوة داخل المطبخ ،
هذا الغنى الوافر هو ما يستحضر فى الذاكرة
فصول الخريف الماضية (والقادمة)
عندما تغطي أحجار الرصيف فى الساحة ، والمخزن ،
والصهريج ،
حتى الغرف العلوية ، ودولاب المكتب ، والأسرة
بيتلات ، وغصون ، وأشواك ، وأوراق شجر جافة
ويكون عليك أن تكنسها بين الحين والآخر .
ذلك هو السبب فى أننا - عندما نبلى اعجابنا بسيدة المنزل
على خميلتها الوردية الجميلة - يا له من لون، يا له من اشراق -
فانها بالكاد تبتسم بطريقة حزينة شاردة ،

كان الشيء الوحيد الذي تتمناه
لم يكن سوى خاتم رفيع حول اصبعها الصغير .

* بعد مقاطعة

عندما جلس ليكتب شيئاً بعد شهر عديده
أحس فجأة أنه أشعث ، غير مغتسل ، مهجور
كامرأة غير متزوجة تمر بالصدفة في المساء -
بعد انشغالها طول اليوم بأعمال ترتيب البيت الروتينية -
أمام المرأة ، فتلتقط لمحة من صورتها العانس ،
لتدرك فجأة أنها طوال اليوم لم تنظر الى نفسها في المرأة :
فهل شاخت ، اذن ؟ هل هي - الآن - ميتة ؟
ولماذا يكون عليها الآن أن تمشط شعرها ؟ -
لقد انتهى اليوم . ولن يراها أحد - لا أحد بعد ذلك .
تأخذ المشط الأسود وتبدأ في تمشيط شعرها الطويل ، كله
الى أسفل
كانها تمشط صديقة ميتة ، كانت حميمة
وتباعدت فجأة بعينين مغضتين ، ودمل صغير على أنفها .

* المعجزة

انها معجزة - يقول - بل وأكثر من معجزة :
هناك حيث استهلك كل شيء (وأنا في المقدمة) ، اكتشف
وسط الحصى على الشاطئ الجمجمة المقدسة
لأحد أحصنة أخيل - ربما جمجمة « زاثوس » ،
اكتشف صولجان الأسقف وسط البابونج ،
أخذه في اجلال ، وأصعد السلالم الرخامية ،

لا أخبطه فى السلالم ، الحشد يجتمع
أخطو على المنصة ، أسمع شعري ، المنسدل على كتفى
يصبح بلا حراك ، والحشد ينفذ صبره ،
يتدافعون ويتخبطون ،
أفتح فمى لأتكلّم
أدرك فجأة أننى أحرص وأنهم يستطيعون أن يسمعونى .

(١٠)

هناك حيث الآفاق رفعت بالحبال والبكرات والجواكت الممزقة
هناك حيث السكين تبلغ العظم
هناك حيث صرخة واحدة تعيد توحيد المدينة المتناثرة
بعد أعوام وأعوام من قضبان حديدية ، ودخان ، تحريم
السجن ، وسكاكين في الظهر
ألوان مشوهة ، سلال مشوهة
وليس لك - حتى - أن تحيي شجرة ، أو شقيقك ، أو نجيعة
خلال شق في الباب
صعدت الأتوبيس ، هبطت في المحطة الخطأ ، صعدت أتوبيسها
آخر
كان الزحام دافئاً رغم اللامبالاة الزائفة
نظرة مختلسة الى جريدة الرجل المجاوز لك أو الى عيني شخص
ما أبعد
هبط القلب ، هبوط اليد الصغيرة على المنبه الكبير
دم ينساب من منابح خفية تحت الضخور
أعرفك - قال - من ظلك على الجدار
من يديك في جيوبك دون استغراق ذهني كسول
من عينيك في أعماق العالم
نزولا الى العمق ، أعرفك بالنصل ، - كانوا يرفعون أعلاما

أعمدة كانت تصعد من آبار سوداء
أعمدة فى شكل الآبار ، أعمدة معلقة فى الهواء
عمودا عمودا لبناء المعبد الهائل هناك فى الأعلى
شبان ونساء وقواصر نار مع خيول ، مع مسطرين ، مع ألواح
ملاط

عاليا نساك الحقبة الأخيرة فى التاريخ الجوهري ،
صحت صباح الخير لثلاثة أيام وثلاث ليال وسط الغاز المسيل
للدموع

مثل المشاعل • والسفن الحارقة فى البحار البعيدة
نيران فوق نيران ، دخان فوق دخان
أحرقت الشيايب والحذاء ، الخطابات ، وبطاقة الهوية ، ايصالات
الضرائب

قصائد الحب الأولى فى جيبك السرى
الى هوية واحدة للفرد ، للكثيرين
— ماذا كان اسمها ؟ (يقول)
الى نار واحدة تلغى الليالى والليالى
عليك أن تقول اسمها (يقول) •

(٢)

أحدهم يكتب شعارات على الجدران ،
الآخر يهتف بشعارات فوق الشوارع ،
الثالث — داخل اطار النافذة — ينشد علنا « روميوسيني
روميوسيني »

حملوا الجريح الى المكتبة
ورقة عنب مثل الكف على الركبة الجريحة
تمائيل حزينة وسط الدخان — أين نسيت الحب
طلاب ، بناءون ، لعنات ، لافتات ، هتافات ، أعلام
الحب هو الحلم ، الحب هو العالم

الرأس المنحنية للمخبر ، ناس أكثر فأكثر يأتون
كبار وصغار ، تلاميذ مع حفنة جوز ، مع حقائب الظهر
طائران أحمران مرسومان متقاطعين على كراسياتهم
المتزوجون حديثا يطلون من حقيبة المصور
يربطون أشرطة في البوابة الحديد
باعة أوراق يانصيب عميان ، جيتار منتصب ، مصابيح صيدلية
الليل يحل بالمدينة ، أرقام مضيئة ، مسارح موصدة ،
ختامات مغلقة ، قصائد سرية ، زهور مثقوبة
المشهد الطبيعي الخفى يصعد في السر فوق الليلة من الأعماق
اللانهاية .

الليلة هي أوان كل شيء - يقول
الليلة هي استمرار لكل شيء - يقول
الغد للانسانية كلها ، للمستقبل كله
ذلك ما قاله على السطح
كان يمسك بعجلة قيادة هائلة ويقود المدينة
وفي الأسفل على الأسفلت يمكن للمرء أن يسمع ضوضاء
الزحام
كلب أسود ، سلة ، مرآة صغيرة
حذاءان ضخمان للمهرج الحزين والكوب المكسور
والرائحة تأتي من شواية بائع الكستناء الكبيرة مثل سفينة .

(٣)

الشخص الذي كان يتكلم داخل نفسه وكان مسموعا بالخارج
الشخص الذي صعد الدرج الرخامي درجتين درجتين
الشخص الذي كان ينتظر في الساحة بشوكة طويلة
المرأة العجوز التي جاءت بالحبز والملح في منديلها المربعات .
الفتاة بالوردة ، الولد بالطائر والمنديل
الحشود التي تجلس مترتبة على الرصيف ، والرموش تختزن
نظرات داخلية

جاءوا بأسبرين ، ويود ، وكحول ، وقطن ، وشاش
هذا الشخص جاء بالنار فى كفيه ، كعصفورين
مزقوا القميص أربطة
وظلت صدورهم عارية
لأنهم كانوا كثيرين فأكثر ، فأكثر يصلون من لحظة الى أخرى
عبارات أخوية كتبت على عجل بأقلام حمراء
رسائل قصيرة لثورة صامتة على الزجاج الأمامى للسيارات
الشوارع تفضى الى هنا ، والآتوبيسات تتوقف هنا ،
والأيدي صفرت مزقا من بطاطين المنافى على أشجار الزعرور
صرخات وفولاذ ، يخلع حذاءه ويحك أصابعه
له قدمان قويتان ، باصبع قدمه الكبير يحفر حفرة فى الأرض
ويدس مفتاح غرفته المستأجرة
لأنه الشئ الوحيد الذى لا ينقسم ويمكن المشاركة فيه بالعدل
ليس ملكك ولا ملكى لكنه - فقط - ملكنا
الشوارع تنساب كأنهار فى الشوارع
والحائط الأصفر يتخذ وهجا ورديا فى فجر السهر العظيم
بينما فى جيوب الأولاد وآباط البنات
شذرات من ترانيم قديمة ممنوعة تبحث عن مأوى ،
أوراق دقلى طويلة ، وقرفة وحمص
شباب ينزل عن دراجته ويقف على الجسر
تحت الجسر كانت الأسماك الحمراء والخضراء
وسمكة صفراء كبيرة تجر بأسنانها ستارة بيضاء
هى التى تبقى بالبيت عندما نكون بالخارج وتحلم - فى
ضبابية - بالمستقبل
والخواتم تصلصل واحدا بعد الآخر على درجات الماء بأصوات
صغيرة
كأصوات قيود المساجين على القضبان الحديدية عندما يحل
المساء
أو كأصوات الطابعة المخبأة فى طابق تحت الأرض

والتي تواصل - من تلقاء نفسها - كتابة القصيدة القادمة
عن الأبطال الذين أعيدوا أخيرا .

(٤)

مبنى قديم باهت بسلمين دائريين من رخام
فى الماضى كانت أشجار نخيل لا تراها الآن
منديل ملطخ بدم ومنى على العشب الجاف
كبقعة بيضاء فى مركز الدائرة ،
المحيط اللانهائى طوى داخله المدينة، والضواحي، والساحات
البعيدة
باتيسيا العليا ، ثيماراكيا ، بانجراتى ، جيزى ، كيساريانى،
بترالونا

رائحة بطاطس مشوية فى الشوارع الضيقة المجاورة للبحر
سفن صدئة قديمة ، سفن جديدة ، رافعات ، صناديق شحن
فى الأسفل البعيد الصدى العجول للصوت الشاب فى الراديو
وهج سيجارة ، وأبعد منها أسى الموت
شرائط حمراء ، سهر أحمر ، الحراس بالتفصيل الدقيق
ميجارا ترد، ثيسالونيكى ، فولوس، بريفيزا، ايونينا، دارما،
أركاذى ، ميسولونجى ، ثيودور العجوز بخوذته القديمة
فيضان من الناس داخل البوابة ، خارج البوابة
كرسى مكسور ، أمبول كينين أزرق
كوب على الأرض ، العلم الثالث ، غصن موسيقى على العتبة
هنا حيث بقينا صامتين مع ثمرتى بطاطس مسلوقتين وخمس
سجائر

هنا حيث لم يكن لديهم ما يقدمونه سوى حياتهم
التي بدت لهم ضئيلة للغاية فى ساعة الشباب العظيمة
الفتاة ذات الرداء الأحمر بكت
وبكى الفتى ذو القميص الأزرق

قمر كان ينخل النخالة
ناس أكثر جاءوا ، عبروا ، وسيعودون بالفوانيس
فيما وراء الموت ، فيما وراء البعث ، ليسوا - أبدا - موتى
مقاتلون شبان ، عمال يومية ، رؤوسهم على صوانى الكرتون
أى ، أى ، صاحت المرأة العجوز ، أولاد أولادنا ، أكثر من
أولادنا

سوف نمشط شعركم الطويل بأمشاط كبيرة للعرس الكبير
فاض الدم ، الدم يمتزج بالدم ، الوجوه والأيدى تصبح حمراء
أصبح الطريق أحمر ، والبيوت ، والخبز ، وشرفة أريتوسا
لقاء الأحمر باعادة الشباب الى العالم العجوز
وطفل يجلس فى المنتصف ، محققا فى أظافره التى طالت
فجأة بفعل الشمس .

(٥)

الرعب ، الثورة ، المرارة - أيهم الأول ، أيهم الثانى ، أيهم
الثالث

عيون ساهرة بلا شكل ، ضائعة فى نظرتها المتقلبة
المثبتة هنا ، هناك ، فى لا مكان ، فى كل مكان
الشفاه اشتعلت بكثافة الشعارات
بالبحر وبمجهول الليلة القادمة
والأطفال الذين كبروا فجأة ، أشخاص منحوتون وسط الشعر
واللحي الحمراء

كبروا وكبرت - أيضا - أياديهم تجاه ملامح ثابتة
والشخص ذو النظارات ، ذو البنطلون المتعدد الألوان ، معه علم
على قمة الدرج

يهتف ، يهتف ، فيرمون جرائد فى النيران
هذا الشخص الذى يمسك بسيلاج السلم ، يصبح الحديد دافئا
فى راحة يده

والأربعة جلسوا على الأرض مع كراسياتهم ،

مع القوارير ، والدوارق من المعمل الكيميائي ، والصمامات
المفرغة ، وأجهزة ارسال الراديو
هؤلاء الذين يلتزمون السكون في انتظار
أن يسمعوا
الشخص الذى ينصت للهباء وسط الشمسيات السوداء
المبلولة فى الممر القديم
وسط منبهات فارغة تنطلق أحشاؤها بعنف
الشخص الذى قطع نصفين متساويين تماما
توحدا فجأة من جديد فيمارس الجنس مع تمثاله ومع العالم
ومضات متقاطعة ، تقارير اخبارية ، أعلام
أسنان تحت الأرض تقضم الجذور
ها هنا البداية الجديدة ، الأغنية المنفردة ، الليمونة المقطوعة
ملصق كبير على بوابة قبضات البروليتاريا .

(٦)

ضوضاء من جرارات الصهاريج ، العرف المرتفع لليل
« أخوتى » صرخوا فى البداية « أخوتى ، أخوتى »
ثم « قتلة » صاحوا « مرتزقة ، قتلة »
« حملة النقالات ، ببطء ، ببطء أكبر »
يخرجون ببطء ، يمكنون ببطء ، يعودون ببطء
فلتخبىء جمرة نار فى جيبك الداخلى ، خبىء العلم
الباب الأول ، الباب الثانى ، الثالث ، أصوات مكتومة ، خامدة
سيحين الوقت من جديد ، وستكون هناك أشجار ، وأصائل
على العتبات
مع كسرة منسية فى فم أحدهم فى مواجهة القمر الجديد
وقت متوقف يفتح الوقت ، والشوارع المضاءة بالمصابيح
هنا يتمدد الموتى ، يتخطون بملاءة .
يحسون بالبرد ، ان لم نهتم بهم ، سنحولهم فى الغد الى تماثيل

واحد بقيثارة ، والآخر بسيف ، وآخر بطائر على كتفه وفردة
صندل في يده

حافظنا على المقياس ، نفس مقياس رفاقنا
نفس المقياس الذى يحتفظ به البروليتارى فى جيبه الخلفى
مع مشطه ومفتاح بيته

مع فصى ثوم وعلبة كبريت
واليد تعرف ، تبحر فى الظلام ، تعثر على الركبة ، وزجاجة
المصباح

تعرف أركان الصبر الأربعة ، الطبقة الأرضى ، والسكين
وإذا ما تأخر الكبريت فى الاشتعال فلأنه ينتظر اللحظة
المناسبة

يتكى قليلا ، وينال قسطا من الراحة ، وبعدها من جديد
هناك على الرف الطائر المحنط — انه يتظاهر بأنه محنط
يجلس على القش ، فى انتظار بيضة سرية
داخل البيضة الريش ، والمنقار ، والأغنية
لقد صحت ، وتوقفت ، ركنت الى الصمت ، وسوف تصيح
آى ، آى ، أطفالى

توهج عيون الموتى كى تستطيع الكتابة فى الظلام
عمت مساء فى رقة ، عمت صباحا فى رقة ، أقيس نبضك
القوى صاخبا صباح الخير .

(٧)

فى هذه الحكاية شارك الكثيرون وأيضا آخرون لم يظهروا أبدا
مختبئين خلف الذكريات أو خلف البوابات الحديد
أو خلف المصاريع القديمة المجفورة بأظافر الزمن
وآخرون أعدوا رغيفا كبيرا من خبز وحفروا بسكين الجيب
صليبا عليه

والنسوة العجائز تجمعن فى المطبخ ، الرحمة يارب ، الرحمة
يسارب

وعين على النافذة والأخرى على المنخل
العين الثالثة على الشارع مع الشرطى ، مع الدخان ، والجنود
لأن المفرش على المنضدة يرفرف من جديد
وبآكتافه الدائرية الدافئة يدفع الطائر الآخر الى أعماقهم
والنسوة العجائز مؤهلات من جديد للحمل ،
بصرف النظر عن أن أطفالهن يلعبون مع الموت
وإذا ما فكرت أن تقول سأعود ، فستخشى أن يثبت من جديد
أنك كاذب

فالعقبات هائلة ، وهائل جبين الدخان المتعالى
والترزى ، والنجار ، والحانوتى أغلقوا جميعا دكاكينهم
والرجل العجوز جالس على ألواح الخشب يوزع أوراق
الكوتشينة المسروقة ، ثلاثة فى كل مرة ، لا يمكن تحقيق
الفوز

كم من المرات قلنا « أمين » فأطاحوا بنا من جديد
أطلت الفئران من جحورها ثم انسحبت مرة أخرى
بقية الجحور لم تكن للفئران ، الهواء يتخللها ، كانت مفتوحة
على الخارج

أجزاء من أبراج الجرس ، من الغيوم ، من لافتات محلات الجزارة
يد تحمل شيئاً ما ، ساق بمفاصل متصلبة

لا تركع ، ففى طرقات على الرصيف مثل ساق خشبية ، مثل
حجر تدخل الباب

آنثى يتساقط الجبس عنها والحجر السابع يتداعى
فجوة مفتوحة فى السقف ، سماء بعين واحدة
سيأتى آخرون ويحكون الباقي ، لا تنس فحسب - قال
لا تنس ما جرى ، ما يجرى هنا والآن
والا - قال - فلا شيء يمكن أن يتحقق للنوافذ الموصدة .
والأعين الحولاء

للآلات الوترية الملفوفة بعناية فى صناديق زجاجية وكرتونية
على يد أناس قدامى منسيين
للأوتار المحفوظة فى الدرج وسط ايصالات الماء والكهرباء
أو فى جيوب المعطف الأسود المعلق فى الدولاب بدون نقتالين
بينما الصخب فى الخارج يذوى، تمتصه طلقات البندقية الأخيرة
والأتوبيس الضخم الذى يحترق فى ناصية « باتيسيون »
و « ستيرنارا » .

(٨)

هناك بالطبع أشياء بلا كلمات، لم تكتشف، لم يبحث عنها أحد
إذا ما حاولت أن تقولها ، فلن تكون - بعد - أشياء ،
ستتحول الى غبار أو دخان أو - فى أفضل الأحوال - ومضات
كلمات صغيرة ، عظيمة ، مكثفة ، كلمات الليل ، فراشات
الليل ، بيضاء وسوداء
تجذبها النار ، تبتلعها ، فتحترق سريعاً
هسوسة واهية من قضة الدهن من أجنتها ، من قرون
الاستشعار
فرقة فى مكان ما ، ومضتان صفراوان أو زرقاوان
ومن جديد النار والأشياء - فى مواجهة النار - مضاءة أكثر
حمرة ، مكبرة
فراشات الليل مختلفة فى شعر امرأة
أو قرب زجاج المصباح - تلك لها أسماء مختلفة
مثلاً وقع الخطوات على الأسفلت
والصرخات التى تنطلق عبر كشافات عربات متوقفة
أربعة أجساد وأربعة أعلام تحت القضبان الحديد
أنا امرأة عجوز - تقول - تعذبت بألف موت
ارتعبت بألف واحد عشر خوفاً
لا من ألم أتكلم ، أعض على لسانى ، أغزل قطعة صوف بمغزلى

فيها ناس طيبون كثيرون وأعلام وقيثارات وذرة ودجاج .
لن أكف عنها بأى ثمن ، وبهذا الغزل أصنع سفينة كبيرة
وبكرة حمراء صغيرة من خيوط تبقت من سهر الأسبوع المقدس
لقد أصاب الحبال امرأة عجوزا بلا أسنان - يا بنى - فلا بد
ليدى أن تظلا مشغولتين بشيء ما
والا فساخلع قميصى وأطوحه فى الهواء عارية تماما فى الشوارع
اننى أعطى أطفالى لثلا يصابوا بالبرد لهذا يضعوننى معهم فى
الزنزانات
وأنت تخبرنى كيف للمرء أن يناقش الأشياء ، كيف له أن
يجولها الى أفعال
آه يا سفينتى الصوفية العظيمة ذات الأقفاص الخشبية فى
البحار المفتوحة
تأتى فى العالم وتمضى لا تعرف حدودا ولا ينالها غرق .

(٩)

وعندما تركت الشمعة على بسطة السلام ، قالت : « انتبه »
لثلا يلتقط ثوبك الليلي النار وأنت تمر بها حافيا ومشط فى
يدك
وتحت السلالم تجمع أولئك الباقون على قيد الحياة
ربما يقرعون الباب بقبضاتهم أو كعوب بنادقهم
لا تفتح ، سيكسرونه فى النهاية
ظلال البراميل لا تغطى الجدار كله
والرأس الرخامى ينتصب فوقهم ، يغمز برمشه ، فيفهمون
يقل وقع الخطوات فى الشارع، يتوغل أكثر عمقا، داخل الأرض
توقف شخص آخر ليبول على نافذة دكان المجوهرات
سيعودون فيما بعد ليشعلوا نيرانا أكثر ، ليحرقوا كتباً
ليكسروا الأرفف الزجاجية ، أيد حجرية فى الرماد
خزانات الكتب واقعة ممددة ، صور فلاسفة ، فى الممر زجاج
نوافذ مهشم

جرائد ، رؤوس مشاجب ، خزانات قواقع ، شعر ، قوارير ،
طباشير

ها هو الدليل ، قالوا ، دعوا الصحفيين وهذا وذاك
مسموح ، يقولون ، فوضى ، لحي ، نساء ، قبلات على السلام
حملوا البعض الى بوليس الأمن
وبعض الى الضواحي
وآخرين الى المشرحة

وما يزال آخرون الى أن يحفروا - على عجل - مقابر
أسماء مجهولة ، وشارع ، ورقم ، وعائلة ، وأم
وقال من جديد ، أمي آه يا أمي ، خاتم زفاف مهشم ، حوض
غسيل

انتظرتني بعد ثلاثة مبان
ففي ورشة الخشب تركت بعض الخبز وبصلة
لفقت العلم حول صاريته ودسسته تحت مريلتى
لينخسنى في ضلوعي ، في عمودي الفقري ، فلا يسمح لي
بالنسيان

فاذ يحل الصمت الثقيل ، فان اليقظة العظمى آتت تبدأ
هذه اليقظة التي لا تسمح الا في مفاصل القتلى .

(١٠)

أهدأ صمت بعد الدبابات ، للموا العربات المحترقة ، والرماد
أزالوا الدماء في الفجر الباكر
حملوا الموتى بعيدا الى البوابة الحديد ، والأشجار المحطمة
لم يعد الصغار الى بيوتهم
أشباح تطوف حول أكشاك التليفون
ومن نافذة الى نافذة وجه النار المنطفئة
عثروا في الغرفة المستأجرة على الشخص المشنوق
والآخر في الدولاب المغلق

والآخر وجبينه على ركبتيه كما لو كان يقرأ كتابه الأخير
مرآة صغيرة على المنضدة كانت مرمية مقلوبة، لا تريد أن ترى
قدر ، ومطفأة سجائر ، والكناري فى قفصه بلا ماء وقد تيبس
كعظمه

ستبكي الفتاة عندما تعود ، لحسن الحظ تركنا لحانا تنمو
حتى لا تكشف أننا لم نحلق، فلا أمواس حلقة فى الدكاكين الآن
ولا فى أكشاك المحاربين القدماء - من يدري
طيور صغيرة فرت من النخيل العالى، وتوقفت فى أضيق شارع
« جايار جايار » ، كانت المرأة تنادى فى صوت خفيض ، كلبها
فى الطابق الأرضى مات

مبكرا فى الأصيل تضاء أنوار الشوارع كأن الشوارع مريضة
والغرف القديمة مريضة وأسرة الطلبة خاوية
والملاءات ملطخة بسائل منوى جاف
والماء فى الكوب يتظاهر بالنعاس حتى لا تتم خيانتة
الرجل الذى شرب قطرات معدودة من الماء مفقود ، لا ندري
أين هو

أعلام صغيرة تتنفس كالمتأملين داخل القمصان المزررة
وتدير الرقم بإصبعك للمرة الرابعة، والخامسة، ولا من مجيب
تعود الدائرة - مع الصرير - الى وضعها ، دائرة ودائرة تبدو
الآن مثل صفر

وهؤلاء الذين أخفوهم فى المقبرة يصيحون فى الليل
ليست صفرا ، انتبه ، انهم يصيحون ، انتبه

(١١)

يأتون ، يمضون ، يأتون من جديد ، خطوات مسموعة ، ثم
تتلاشى

الصمت متزاحم فى الأركان ، كروت البريد التى مرت على
الرقابة من المنفى مبعثرة فى الهواء

٤٨ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ومزق كبيرة من ورق خشن تشابكت
بين أرجلهم

من النافذة الصغيرة عاليا هناك ، تنظر لأسفل
أكشاك بها نظارات داكنة ، نظارات للشمس أو - بالأحرى -
للظلمة

الجرائد تتوافق بسهولة مع الأحداث الجديدة
الجيوب تصبح كافية للأصابع ، والناس ، والتاريخ
ترام قديم مرمى في الحقل وسط نبات القراص المبلل
والأشواك

معان أخرى تتجمع في تبادل حر في قبعة الشحاذ
المرأة العجوز تقول للفتاة : انتظري وسأغسل وجهك سأغسل
ثيابك

الرجل العجوز يشعل النار ، يضع قدرا عليها
مثل الزمن الذي ترك فيه « فانجيليس » وردة على المنضدة
وفجأة أصبح كل شيء مستحيل التفسير ، محيرا و - مع ذلك -
جميلا والى الأبد

وكنا محزونين لأننا - حتى - لم نفهمه
وتقول « مارثا » انها ليست تبريرات ، لا
ولا براهين تقول - في الصيف حينما ذهبنا الى الشاطئ
ها هو « بيتر » ، ها هو « ليفتريس » ، ، و « كاتينا » ،
و « نيوفى » ، و « كاكيا »

بعد توزيع الكراسيات كانت هناك قنافذ وقنديل البحر على
الرمال

حدس شعري عظيم بالفواكه والقوارب
فعندما يخلق الرجل ثيابه يدير العالم وجهه
وبين حصاتين ورديتين يمكنك أن تؤمن بعمل عظيم سيأتى
بالتأكيد ليمضى

قطرات صغيرة تسقط من الشعر بين حلمتى الثديين
تلك الأشياء التى نعتبرها زائدة كانت تعود : سلة من أغصان
الكروم ، ملاءة بيضاء

قيلولة قصيرة في الظهيرة وسط صنوبر الشاطئ والزيز
والا - تقول « ماريا » - فلن نعرف السبب في النضال وفي
أى شيء

سيكون شعورا يستحيل نقله مثل بار مغلق على الكؤوس
المهشمة ، كما لو كان الذنب ذنبى

وكنت أقف بالشارع أنظر الى ما بداخل النافذة
قرأيت احدى فردتى حداثى مرمية هناك على القرميد رغم أنى
كنت أرتديهما

بل اننى انحنيت لأعقد رباطى الحذاء حتى أتأكد وكانتا
موجودتين بالفعل

الى أن تذكرت أخيرا أننى خارج على القانون وخلعتهما .

(١٢)

ما أسموه - فى النهاية - مجدا أو عصيانا أو تضحية
يوم بالغ الشفافية كأن لا شيء جديرا باللوم قد حدث الليلة
الماضية

أبعد قليلا فى الأسفل كان يمكن للمرء أن يسمع الهتافات
اطارات النوافذ كانت تغير ألوانها ، وساد الأحمر
الموسيقى طافت فى مكان آخر ، وكراسى البارات ظلت خاوية
كانت النوافذ تتحول الى أبواب - كان يقول - « سأخرج »
وانطلق فى السماء بسهولة كبيرة

فوقها كل شيء طبيعى ، ومن جديد

تتحول النوافذ الى نوافذ مرة أخرى

أكثر ضيقا من ذى قبل ، أكثر انغلاقا

ثم الحائط وحده

ثم المسامير فى الحائط

قمصان غير مغسولة تتدلى من المسامير

أهنا سنبقى اذن ، أهنا سوف نجول ؟ سأل

الشيء الوحيد الذى التقطه كان باقة زهور سقطت على الضوء
بصوت مسموع
زهور بيضاء ، ما من واحدة أفلتت من الرباط المبلول
جاءوا بالاناء ، أخرجوا السمكة الذهبية ، وشربوا الماء
ومن المبنى السكنى عبر الشوارع ، كان الناس ينفضون
المناشف

كأنهم ينفضون الغبار عن مصباح غير موجود
ما من أحد فى مزاج طيب ، عندما يسقط الليل
كيد مقطوعة فى كشف الضوء المتلاشى لمحرك النيران
تنتصب المدينة مرئية على حافة الدخان مع الألواح المحترقة
دوافع غريبة تخلق مواقف غير متوقعة
تماما مثل الأكايل الكثيرة على مدخل الجبانة
مثل نعش زجاجى يقف عموديا ويمشى بمحاذاة الأعلام
والبيت يقفز الى الاستاد ، ينتصب ملفوفا بالأسلاك والتهاليل

(١٣)

العلم هو الأسهل - يقول - فهو يتخذ شكلا بسرعة خاطفة
وخاصة لو انها الصالة بالمرآة القديمة والأحذية الملطخة بالطين
معطف المطر الأبيض على الحامل المتهالك، وتفاحتان على الكرسي
الأسود

رحلة سعيدة قال ، رحلة سعيدة ودولاب الملابس
يرقد مفتوحا على الأرض، مع مناديل مبعثرة، وملابس داخلية
وجوارب

احتمالات كثيرة ، نخيل ، أراجيح ، فاكهة ، بكرات
بلا حقيبة ، ديون ومسئوليات ، العلم سهل - يقول -
« يوريس » كان جالسا فى الحديقة يشاهد سيقان الفتيات
العابرات

تدلت حلقة ذهبية من أعلى
كان بائع الجوز أعرج ، ماهرا فى صناعة القراطيس من الجرائد

والآخرون على ارتفاعات عالية فى صندوق زجاجى طويل مع
حاسب اليكترونى

كانوا يتكهنون بالنبوءات ، يرتبون الآلات ، أية فرصة تلتها
لكن الناس - يقول - ليس لهم سوى يدين، ويملكون التضامن
السرى

رأس ثقيلة من الضرب فى الجدار
قصاصات من جرائد ممزقة احترقت فى مطفأة السجائر وأنت
عليك أن تتحدث عن الأشياء الصعبة ، الهائلة ، الواضحة ،
الاجبارية

مثل الحارس على البوابة الأسمنتية طوال ليلتين ، ثلاث ليال ،
يقاوم النوم

وكيف تجد الوقت لتأخذ من جيبه المرأة الصغيرة والتمشط
لتمشط الى الوراء قليلا شاربه الذى طال فجأة
وما ان سقط فى النوم واقفا ، حتى أتى « كارايسكاكيس »
فى منتصف الليل ومشطه له

(١٤)

أولوية الماء ، والخبز ، والنوم ، تكرارات
الجذر التوى تحت النسيان ، منلتقى من جديد
وفى ركن دكان الفاكهة ودكان الزهور ، هناك مقايضة ،
أضواء فى المساء

يمر القطار خلال النفق محملا بسمك مجهد
وأصوات عالية محفورة على الصناديق الخشبية
آخرون يحتاجون الى التدخل ، وآخرون يتصرفون ، وأولئك
يتسلاشون فى الابتعاد

حلاقو النساء فى باروكات حمراء يعودون الى البيت فى الفجر
وعمال المصانع بالمفكات ، والزرديات ، ولغات ورق
موسيقىون عميان يدخلون المحطات ، يغتربون عن المدينة المثلثة

غجر ، وعرافون يدخلون : « سيكون حظك عظيما »
والأسود سينقلب الى أبيض ، فاترك لحيتك تطول الى صدرك
وعندما تدق الطبول الصفيح فى الليل ، انتظر فى موقف
الأتوبيس

فهناك منزل من زجاج مضاد للرصاص
بداخله يمكن للمرء أن يرى بيانو كبيرا ، ومقاعد جميلة ،
وصورا .

فى الغرف التحتية تتأمر الفئران
وصلنى خطاب بمظروف جنازى أسود، سيشعلون الشموع،
ويروون حكايات
عن الموتى ، عن الأطفال بالمقاليع ، عن أشجار الصنوبر فى
العاصفة .

سفينة غريقة ، قمر تهشم بصورة رأسية
عمال التلغراف فى مواقعهم
والفتيات الكاتبات بأظافر ذهبية ينتظرن الوثائق الأخيرة
لا أستطيع احتمال هذه الهيولى - يقول - موقد الكحول ،
الكوب ، أعقاب السجائر ، وشعرى
أقضم اصبعى ، أضع نغلا ثانيا لحذائى العسكرى
لأنصت الى الجذر فى الأرض وهو يصوغ الأوراق فى عقله .

(١٥)

نقلنا الموازين فى السر ، وزنا اللحوم ، والكلمات ، والسكاكين.
والساعات

كتبنا أرقاما فى كراسيات على المناضد
ونحن نجمع ، نطرح ، نضرب ، نقسم
وإثما ما يجنى المجموع ناقصا ، فنبدأ من جديد ، كنتم
منطئين

وكانت « هيلين » واقفة عند الباب ، مضادة

بفعل نافذة دكان الألبان عبر الشارع، وجبينها ملون بالأزرق
الفاتح

الوهج الوردى تحت ذقنها ، وشعرها بنفسجي
لا بد أنها أنهت حساباتها

يدها اليسرى كانت غاية في الرقة
ولا بد أنها قد أجابتك اذا ما كنت سألتها
وانحنى رأسها كأنها قالت : « نعم »
أتوبيس يمر كل عشرين دقيقة
وعليك أن تحسب بدقة كي لا تنتظر
الضوء أكثر كثافة في الحفر الطينية
ول « فانجليس » شهوة - عمياء مثله عندما يتهيج للنساء
وثيابه تفوح برائحة نكاح ونيكوتين
الشبان الآن يدخلون أكثر

وهكذا الفتيات أيضا ليقبلن الفارق بين الجنسين
فيما بعد عندما ذهبت الى الغرف العلوية
صدمتني مرة أخرى رائحة الأنتيمون غير المشروع
الا أنني لا أستطيع النسيان ، فصحت بصوت أتلّي لأغطي
نفسى

وكان « بيتر » واقفا بصورة صارمة عند الباب
وصوت الآلة الكاتبة كان مسموعا خلف الستارة
وكل واحد كان يفكر في عزلة ، لا يعرف الموتى شيئا عن هذا
المجد

والموت يصبح أكثر صعوبة، ستبدأ المساومات والمضاربة حالا
قيمة الخصوصية - يقول - البعد المسطح للمكعب - يقول -
علقوا منشقة حمراء هائلة في الحمام
تغطي الحمام كله بقرميد أسود لامع
وفاح بصابون معطر ، ولوسيون ، كولونيا ، معجون أسنان .
وشعر مستعار

لم تكن هناك رائحة لجسد انساني ، أو منى . أو لقنن
رياضية ،
أو لقم قب - بعمق ، خرجت لأبول على العشب .

كانت الآتوبيسات تجيء من المناطق المجاورة النائية في
الصباح الباكر

حشود ، عمال ، موظفون ، أطفال ، نساء بماكياج قليل
كعك السمسم ساخن ، جرائد ، كانت المدينة مهجورة في
الصباحات

نفس الحركات ، نفس العناوين السوداء ، ضباب خفيف
معطف رمادي ، مثقوب بالعثة ، في « هافتيا »
وبينما كل شيء يبدو كما هو ، كان واضحا أن شيئا ما قد
تغير

في هذا الوجه قطع من حلاقة متسرعة
وهذه الفتاة الصامته ، شعرها طوحت لأعلى هبة ريع سرية
سوف تخونها

وهذا الولد يده اليسرى في جيب بنطلونه ما تزال تثبث
بانتصابه الصباحي - البلدوزر يبدأ في العمل
هذه الضوضاء ضرورية لتغطي الصمت المحصن
تمضي مع الوريد ، مع الطرق داخل المعابد
زوج من الزرديات على الكرسي ، حلم بلسان مقطوع
منشار على الأرض ، مشط في الجيب الخلفي للبناء
سلم ، أغنية متشظية بكلمات أخرى
صندوق خشبي مع قطرات طلاء

فعاليا في مواقع البناء هناك أسمنت سريع الالتصاق
وبذلك فلم تنس هذه الليالي مع الشبايبك الحمراء
نيران في الأرصفة ، الأصوات النخرة للمسجونين
الانسجام الكامل ، المنطق البسيط ، السيجارة المشتركة
النساء العجائز وكل واحدة معها حقيبة سكر ، وقليل من
القهوة ، والبرتقال

الكلمات والأشياء التي تنتمي لنا جميعا ، قال
الليلة العظمى تنتهي بالأعلام .

ما قد قيل مرات عديدة كان يعود بمعان أخرى -
لأليكوس بحزامه المشدود تعبير طفل غاضب بعد مشاجرة
بقذف الطوب

خلف ظهره أشجار وأنهار صغيرة مختبئة
و « مارثا » ترتدى ثوبها الأزرق ، وشعرها
مصنف على طريقة يوم أحد قديم يجيء من المستقبل
« ديمترى » يبين من الحائط ، يتغلق الحائط خلفه
كيف لجبل أن يقترب وليس معه سوى شجرة واحدة وخطى
منحوتة فى الصخر

وتحت الشجرة نبع تطفو فيه الأوراق .
غريب - تقول « ماريا » - لقد احتفظت بشمعتين فى الدرج
ذابتا دون أن أشعلهما ، لم أجد سوى الذبالتين الصفراوين
أشياء كثيرة تحترق من تلقاء ذاتها مستسامة لزمانها الخاص
فى الليل وأنا نائمة أسمع ناقلات ضخمة
تدخل فناء الكنيسة ، أدير مفتاح الضوء
أنظر الى صورتى فى المرآة وأبدو مشابها كثيرا لنفسى .
مشابها تماما لشخص غريب
أريد أن أرسم وجهى أحمر ،

و « ميروبي » كانت تأتى بورد من الحديقة كأنها أصيبت
بفقدان ذاكرة مفاجئ
ولهذا يبدو الرجال - مع ذلك - مقطوعين من قماشة أخرى
- فلأخضر لك بعض الفاكهة من الثلاجة
هراء - قال « الكسندر » - هراء ، لقد رأيتهم
فرسانا وسيمين على جيادهم السوداء الطويلة
وحوافر الأحصنة لا تكاد تلمس الدرج الرخامى
اندفع الراقصون المحاربون نحو المعبد وهم يمسكون بالأسنة
كانوا يقفون ساكنين أمام الأيقونات ذات الحجم الطبيعى

عيونهم - شرارات مثبتة على العيون المرسومة
غضب على النكران واستبدال القديسين
الكبرياء الرجولي في مواجهة الأسى الواهي
لحظة واحدة وبعدها قبضوا على الأعنة واندفعوا في الشمس.
خلفهم كانت الدراجات البخارية تسرع ، لم تستطع أن تلحق
بهم
انكسرت نظارة الرجل القصير النظر على العتبية
والقنيسوة السوداء الخشنة تتماوج على الصخور كغابة
أشجار كاملة
فلتتذكر التاريخ في لحظاته العظيمة
أما الباقي فعويل على الهاربين والمخصيين .

(١٨)

ثم أصبحت الضواحي مهجورة ، تلاشت الأشجار
أصيل أصفر طويل كان يتدلى من مرآة الحلاق
وعربة بائع الجوز مهجورة أمام دكان النجار
عندى صدام نصفي - قالت « مارثا » - طنين من أشياء
لا أعرفها
تلك التي حدثت وتلك التي لم تحدث بعد
وأنا فيها بنفسى ، أمسك مشطا لكنى لا أمشط شعري
اننا نتردد بين خوف وانتصار - قال « اليكس » - عند نقطة
مجهولة
ومعنى التأخر نفسه غامض
ماذا عن ، من أين ، من أجل ماذا صنعت ثقباً - تقول « أنا » -
في زجاج النافذة
ثقباً ناعماً دون تهشيم الزجاج ، أدس اصبعي فيه
كأننى أبحث عن عين غريم يمكنها - رغم ذلك - أن ترى
انه من نقص النوم ، يقول « بيتر »
بل هو من الانتظار - تقول « مارثا » -

وهو بسبب شيء ما علينا أن نفعله ولا ندرى ما هو ، أو كيف .
أو متى

والشموع تنطفئ أمام الباب أو تتلاشى وراءه
عندما تفرس عصا في حفرة الجير الحي
وتتوقع أن تعثر على معنى الايماء أو تعثر على كلمة
لأن ذلك لابد أن يحدث ليستم
والا ما حدث شيء

ولابد أن الشبان الذين قتلوا غاضبون علينا
وسوف يجلسون في المساء على مقاعد وطيئة متظاهرين
بتطريز كيس وسادة -

لثلا يروا عيوننا التي فقدت الهدف
وسوف يرفعون الصمت الى أعلى مثل قتييل المصباح القديم
المنسى

وعندما دخل الكلب الحجرة أحس بندمنا فورا من دخان
السجائر الكثيف
فتظاهر بأنه لم يفهم شيئا ، شد - فحسب - طرف ثوب
« ماريا »

وخرج بلا صوت كأنه يرتدى حذاء من مطاط لرجل ميت
آنئذ نهضنا في الحال جميعا ، خرجنا الى الشارع في منتصف
الليل

وكتبنا على جدران المخبز ، ومصنع الأسمنت، ودكان الزهور
نفس تلك الكلمة المتجانسة

أتناجارج أتناجارج أتناجارج

وبعدها سمعنا بوضوح فوقنا التنفس العميق للأعلام المخبأة

أتناجارج أتناجارج أتناجارج

ذلك ما كانت تهتف به الأعلام .

* * *

أثينا ، كالامبوس

١٧ نوفمبر / ١٩ ديسمبر ١٩٧٦

القصيدة مكتوبة في الأصل بدون علامات ترقيم

روميوسيني : قصيدة ريتسوس التي قام ميكيس
ثيودراكيس بتلحينها . وقد تم منعها خلال
الحكم الديكتاتوري . وأصبحت رمزا للمقاومة .

ثيودوروس كولوكوترونييس : أحد قادة حرب الاستقلال
اليونانية .

جورجيوس كارايسكاكيس : أحد أبطال حرب الاستقلال
اليونانية .

الأنثيمون : أحد العناصر الهامة للخليط المستخدم في
الطباعة . « الأنثيمون غير المشروع » إشارة
إلى مطبعة سرية .

— مختارات من القصائد القصيرة —

* ضوء

غصن صغير من شجرة لوز
أمام النافذة ،
غصن صغير فحسب
يخفي نصف القرية •

الحب يخفي بكفه
كل العالم •
لا يبقى سوى الضوء •

* وحدة صغيرة

في ركن الفناء ، وسط المياه الصابونية
افحنت بضع وردات تحت ثقل أريجها •
ما من أحد أبدا تشمم هذه الوردات •
ليست هناك وحدة صغيرة •

* الخيال والواقع

« أفعال تافهة » ، قال « ناس تافهون ، أثاث تافه ،
زهريات ، مطفآت سجائر ، محابر ،

مناضد عرجاء ، أسرة غائرة – تكرارات ،
أمسك بنفسه ، بكلتا يديه ، من الهواء ، كما لو من عارضة
سقف لا مرئي وظل هناك ، معلقا .

شخص ما عابر ، برغيف خبز فى يديه
توقف برهة وسأله : « ما الذى يجرى ، يا صديقى ،
لماذا تسحق قدميك ، لماذا ترفع ذراعيك عاليا ؟ »
وقطع شريحة خبز وقسمها له .

أخذها الآخر ، وضعها فى فمه ، نظر حوله مذهوشا
وهكذا ، مع امتلاء فمه ، بدأ الكلام
فى وضوح ، فى بساطة ، فى دفء ، وتقريبا فى بهجة .

* مشهد ريفى طبيعى

منضدة فى برودة الغرفة ، ثلاثة مقاعد .
عنب على المنضدة ، ماء مثلج .
حمرة الطماطم فى مقابل الطبق الأبيض ،
رشح الملح على القوط فى لحمها .
أسماء صغيرة لخضروات وفواكه تنتشر فى الصالة .
فى المرأة على الجدار ، السماء . وخارج الباب
خس ، وكثيرى ، وفول أخضر ، وبامية ، وباذنجان –
حديقة الله الصغيرة . كيف يتمشى
الغدير فى خطوات قصيرة ، صغيرة متقافزة . نعمة .
يد ترسم شارة الصليب .
ظل اليد متواضع على الأكواب .
مشهد طبيعى صغير ، جليل ، فى اتساق . بعد ذلك بقليل
ترمى يد القداسة الهائلة المعقودة

ظلها على الظهيرة الذهبية ، الباهرة .
الهي ، فلتكن مشيئتك ألا تسمح لنا برؤية ما أمامنا ولا ما في
الوراء .

* ظهيرة

الشمس هنا لا تمزح - هذه الشمس الحانقة ، الجبارة .
بحاجبها المعقود ، بفكها القوى ،
بصدرها ذى الشعر الكثيف العارى من الكتفين حتى البحر .

شهر . شهران . شهور .
أحصيناهم جميعا ، ظهور محملة بالحجر والقرع .
اصمبع محنى ينقر كتف الابريق
ليسمع صوت الماء بالداخل ،
مثليا تسمع صوت المرأة خلف الباب ،
أو مثليا تسمع المرأة صوت أصغر نجمة ،
أو مثليا تسمع النجمة ثغاء الغسق .

ظهيرة مديدة هنا ،
مديدة كيوم أحد فى الريف بلا أطفال
- ظهيرة تدوم من الصباح الى المساء .

لو كنا أقل عطشا، لما فكرنا فيها ،
لو كانت هناك شجرة على منحدر فى قمة الجزيرة ،
لو كانت هناك حفنة ظل ، مرارة أقل ، ظلم أقل .

لا نتذكر شكل الشجرة - أربما
تشببه راية هائلة من ماء ؟
أتشبه « شكرا » سمعت منذ زمن بعيد ؟
أتشبه يدي حبيبة عثرت على يدك ؟

بعد غد سنغرس ألف شجرة .

* اعتياد

شمس من حجر ذهبت معنا
حارقة ريح الصحراء والأشجار الشوكية .
استرخى الأصل على حافة البحر
مثل بصلة صفراء عارية في غابة غامضة بالذاكرة .
لم يكن لدينا وقت لهذه الأشياء - ومع ذلك
فبين الحين والآخر كنا نرفع أبصارنا ، وهناك على بطاطيننا
مع الأقدار ، وبقع الزيت ونوى الزيتون
بقيت بضع أوراق من الصفصاف، وبضع أوراق من الصنوبر .
وحتى تلك التي كان لها وزنها - أنواع عادية من الأشياء -
ظل مذراة على الجدار نحو الغروب
وقع حوافر حصان في منتصف الليل
مسحة وردية تتلاشى في الماء
فتترك الصمت أكثر وحدة في يقظته -
وفي الأسفل وسط القصب والبط البري ، الأوراق المتساقطة
من القمر .

لا ، لا وقت لدينا - ما من شيء نحتفظ به ،
عندما تتخذ الأبواب هيئة الأيدي المعقودة
والطريق هيئة رجل يقول « لا أدري شيئا » .

ومع ذلك ، عرفنا أن في البعيد عند المفترقات العظيمة
كانت هناك مدينة يضيئها ألف نور ملون
حيث يحيى الرجال بعضهم بإضاءة رأس بسيطة -
نتعرف عليهم من أيديهم
من الطريقة التي يقطعون بها الخبز
من الظلال التي يرمونها على مائدة الغداء
عندما يزداد كل صوت نعاسا في عيونهم
وترسم نجمة وجيدة صليبا على وصادتهم .

نعرفهم من الكفاح الذي يجعل جبينهم
بل الأكثر من ذلك - عندما تعمق سماء الليل في الأعالي ،
نعرفهم بطريقتهم المتأمرة ، الرصينة
وهم يفتحون قلوبهم كمنشور سري
تحت الباب الموصد للعالم .

* غرفة الشاعر

الطاولة السوداء المنقوشة ، والشمعدانان القضيان ، وجليونه
الأحمر .
يجلس ، غير مرئي تقريبا ، في مقعده الوثير ،
وظهره دائما الى النافذة .
من وراء نظارة ضخمة يراقب - في حذر - كل زائر
يسقط عليه الضوء الكامل ، وهو - نفسه - مختبئ وسط
كلماته ،
خلف أقنعتة في التاريخ ، بعيدا ، متيحا ،
وهو يشد الانتباه الى شرك الوهج الرهيف الخاتم من ياقوت
في أصبعه :
انه على أهبة تذوق عباراتهم ، مثل مراقبين ساذجين
يبللون شفاههم في تباه - بلسانهم .

ويجلس هناك ، شرها ، شيقا ، ماكرا ،
امرؤ بلا اثم ،
متأرجحا ، بوجوده كله كدفتى ميزان فى يد الله
متأرجحا بين نعم ولا ، بين الرغبة والنسم ،
فيما الضوء من النافذة وراء رأسه
يتوجه بتاج المغفرة والطهارة •
« لو لم يكن الشعر غفرانا » - يهمس لنفسه -
فلا انتظار - اذن - لرحمة فى أى مكان •

❖ لا ، لا

هذه الأشياء البطولية ، الفاتنة (ربما الساذجة - الفاتنة ،
مع ذلك) -
الأحجار البيضاء الضخمة ، المطارق ، وهؤلاء العرايا
فى الورشات (معظمهم مصارعون ، وملاكمون أشداء)
وساقان انفرجتا فى توازن زائد ، لا ، لا ،
ذلك ليس شيئا مضحكا - يقول ، انه يتجاوز الأسى ، -
ذلك الكلب المهزول ، المغطى بالقراد والقروح ،
الذى يشرب ماء قدرا من دلو الغسيل
المترك بجوار التماثيل شبه العارية للأبطال الموتى •

❖ آئند والآن

كانت الآلهة دائما ما تتدخل فى اللحظة الأخيرة
لتمنع ما هو أسوأ من الوقوع •
فقبل أن ينهى الرسول الكلام ،
أو قبل أن يكتمل تشكيل صورة دمار السفينة فى ذهن الملك ،
كانت أثينا تظهر على سطح المعبد ،
فتخاطب الملك البربرى واليونانيين الذين جذفوا بعيدا

فى زورقهم ذى الخمسين مجدافا : « المصير » ، أعلنت ،
« هو واحد لكل من الآلهة والمخلوقات »
ولهذا فغضبك يا « ثاعوس » ، ليس مناسبا .
أما أنتم أيها الآخرون – أتمنى لكم إبحارا صيحوا ،
لكن الآن لم تعد هناك آلهة ، ونخاف الأسوأ –
ذلك الغضب المناسب – حتى ولو كانت سفينة أوريسست
قد تعطمت بالفعل على الصخور فى الأسفل ، حتى ولو لم
يبق منها
سوى لوح خشب وحيد ظافيا ، منقوشا بكلمة
الصمت ،

* المدينة الأخرى

هناك قفار كثيرة تتداخل – يقول – صعودا وهبوطا
وأخرى فى الوسط ، قفار مختلفة أو متشابهة ، بعضها
اجبارى ، ضرورى ،
وبعضها كأنه اختيارى ، كأنه حر – لكنها دائما متداخلة .
مع ذلك ، فى العمق السحيق ، عند المركز ، هناك قفر وحيد
– يقول ،
مدينة جوفاء ، كروية تقريبا ،
بلا اعلانات اليكترونية متعددة الألوان ، بلا بقالات
أو موتوسيكلات ،
وحده الضوء الأبيض الفارغ للضباب ،
تكسره ومضات اشارات غير مألوفة .
فى هذه المدينة ، عاش الشعراء لزمان طويل ، طويل .
يمشون بلا صوت ، أيديهم معقودة ،
يتذكرون مشاهد وكلمات وأشياء منسية ، غامضة ،
هم – الذين يمنحون العزاء للعالم – دائما بلا عزاء ،
فريسة للكلاب والناس ، والعثة والفئران والنجوم ،

قريسة أيضا لكلماتهم — هم أنفسهم — التي نطقوها أو لم
ينطقوها .

* حفلة تنكرية

وسط الأتعة الكثيرة فقد وجهه ، ينظر —
القناع الأحمر ، الأزرق ، الأسود ، الأصفر ، وذلك القناع ،
البنفسجي مع الترتير حول الفم والعينين ،
أول هذا الآخر باللحية المتعجرفة الطويلة — انه أول ما ارتدى
عندما كان في العاشرة — كان يناسبه تماما
(وثبت أنه كان حقيقيا بشكل كامل تقريبا بعد حوالى خمسين
عاما) ،
والقناع الأبيض ، الجبسي ، بعينه الخاويتين وبلا أنف ، كأنه
يمثل موته ، —
كان يريحه ، ارتداه كثيرا ، ولم يكن سوى
وطوبة الجبس وذلك الغبار الدقيق ،
كان خائفا من أن يلتصق بجلده (آه ! هذا القناع كان وجهه
حقا) ،
هناك على الجدار — انه هناك ، معلق ،
يدس غليون بحار بين أسنانه ، يضع نظارات شمسية على
عينيه —
عينين غائرتين ، عمياوين ، تحدقان فيه ،
تدفعانه الى اختيار جديد — مرة أخرى ، القناع الأحمر ،
الأصفر ، الأزرق .

* ركود

تلك هي الكيفية التي اعتدت بها على كل شيء — قال ،
حتى تلك الأشياء التي ربما أدهشتنا ذات يوم ،
هي الآن عادية وبالية .

وليست المسألة فحسب أن الأشياء تذوى
فعيوننا أيضا تذوى - الآن يتجنبون النواقد الملوقة ،
والأضواء الصناعية القوية - يفضلون الآن الممرات المعتمة
أو الطرق السرية المتماثلة - تماثلها يشبه الأبد •
ولم تعد تراها غريبة أن تبدأ السماء في الهطول عند الفجر ،
أو أن تدق ساعة مبنى البلدية الثانية عشرة في الظهيرة ،
والساعات المتروكة بالخارج لا مبالية ، وحيدة ،
مكشوفة في العراء ، غير مشبعة أبدا •
امرأة مجهولة تتجول في المنزل ، شعناء ،
وجواربها النايلون ترتخي راكدة •

* التناقضات المعتادة

الكلمات - قال - الكلمات التي لم تنطق ، رفقتنا الوحيدة ،
ندرسها ، نقيمها ، تقيمنا - يتعمق المشهد الطبيعي ،
لا تعثر فحسب على عظام ، بل أيضا على أجنحة وأجساد
جميلة -
تلائمك ، تلائمها ، تتلاشى ، ها قد رحلت •
يعثرون علينا خلف الأبواب ، الجدران العالية ، متفتحين -
تعرف ذلك - انها الوسائل الوحيدة للتواصل •
الحوائط الخشبية بين الغرف تتحول الى زجاج •
تري الكلمات وهي تسقط على منضدة الطابق التحتي العائرية
بصوت أجوف
مع حشرات الليل حول المصباح الخارج على القانون •

* ازدهار غير طبيعي

أراد أن يصرخ - لم يعد يستطيع الاحتمال •
ما من أحد كان هناك ليسمع ،

ما من أحد اراد ان يسمح
هو أيضا كان خائفا من صوته ، فأغرقه بداخله .
لا بد لصمته أن ينفجر .
ولسوف تتناثر شظايا جسده في الهواء .
سوف يللمها بعناية ، يهدوء ،
يعيدها الى أماكنها ليسد القجوات
واذا ما عثر بالصدفة على خشخاشة ، أو سوسنة صفراء ،
تحيلة ،
فسيلمها أيضا ، ويضعها في جسده ،
كأنها كانت جزءا منه -
هكذا كان ، مع امتلائه بالقجوات ، مزدهرا ، غرابية .

* حفريات ١

٢٢٠٠ ق م ، ١٩٦٥ ق م ، ٨٢ م - زهریات فاتنة ،
معبد أبوللو ، الساحة العامة ، أبعد في الأسفل النبع المقدس ،
عملات ذهبية ، وفضية ، وبرونزية ، محفور على أحد وجهيها
« بيرين »
و « بيجاسوس » على الآخر ،
المنصة حيث وقف « بول » ليدافع عن نفسه أمام القنصل
« جاليو » ،
أجزاء من مبنى ، وأساسات ، وجدران ، وأجساد ساكنة من
حجر ،
سلالم بلا حصر ، سلالم بيضاء الى أعماق الأرض .
« أنا ، عزيزتي أنا » ، تمتعت المرأة العجوز .
« ما فائدة كل هذه السلالم ؟ »
نصف خطوة الى أسفل فلا يمكنني العثور عليك في أى مكان .
واصل السيد « ويليامز » حفرياته الرائعة .
وعلى أحد الأجانب بالخارج ، كان جورج المراكبي يزور بنطلونه .

ومضى مشبك حزامه فى الشمس -
تماما مثل حزام بوسيدون الكورنثى .

✽ حفريات ٢

عليك بالمواصله ، الى الاسفل أكثر ، أعمق -
ينقصك اصبع ، يد ، ينقصك ضلع ، والسيف ، والعنب
الذابل - فلتواصل .
القديم يكملنا . ما الذى يمكن أن يأخذه فى الحاضر منك .
لكننا نحتفظ بالآخر - رفيقا سريا ، مفيدا فى التمشيات
المنفردة
عند النزول الى الموانئ القديمة فى ليشاى وكينشيراى
وكورنثة
أو هنا على شواطئ ساموس .
فى أصائل الصيف الحار يرتشف أهل سيكيون الصودا
المثلجة فى مقهى كياتو ،
الآخرون يصطادون السمك فى المرفأ بالصنارة .
نساء صامتات يحملن ماء الخلود فى جرار ملونة رائعة
تحت أشجار الحور والليلك .
دع قمة كورنثة الى السيد « سترونجا » ،
دعه ينقب عن كنوز « كياميك » بك .
وستشعل محرقة الموتى ، فترمى بضوئها
على موكب التماثيل العارية التى نخبئ أنفسنا بينها ،
وبمفتاح ، كاعلان ، تندس قصيدة فى ابطننا .

✽ مشهد

فى الرواق ، وقفت المرأة الحزينة ، والمحامى ، والحارس .
فى المكتب المجاور للباب یرن التليفون . « فى الرابعة » .
قالوا « القارب » .

- « فى الرابعة » ، قالوا ، « تماما » .
- قرقت البوابة الحديد من جديد .
- كانوا يجيئون بمزيد من الناس الى الساحة .
- « سأرسل لك سبائىر » ، قالت المرأة .
- « حان الوقت » ، قال الحارس .
- على الجدار كان عنكبوت كبير يزحف .
- انفتح الباب الثانى فجأة - انكفأ الرجل الميت على وجهه .
- والآخر اختطف العنكبوت ، ودسه فى فمه ،
- وهو يضحك وأسنانه منطبقة .
- « تكلم » ، صرخوا فيه . « تكلم » .
- « تكلم » ، هددوه . لم ينطق بكلمة . كان يضحك .
- جلست المرأة على البطاطين وأخفت وجهها فى يديها .

✽ أحجار

- تأتى الأيام ، وتمضى ، بلا مجهود ، بلا دهشة .
- والأحجار تغوص فى الضوء والذاكرة .
- واحد يجعل من حجر وسادة .
- آخر يضع حجرا فوق ملابسه قبل السباحة حتى لا تطير مع الريح .
- وآخر يستخدم حجرا مقعدا له ،
- أو ليحدد شيئا ما فى حقله ، فى المقبرة ، فى الحائط ، فى الغابات .

فيما بعد ، بعد الغروب ، عندما تعود الى البيت ،
 فان أية حصاة من الشاطئ تضعها على منصبتك
 هى تمثال صغير - « نايكى » صغيرة أو كلب « أرتميس »
 صغير .

وتلك الأخرى ، التي وقف عليها شاب بأقدامه المبتلة في
الظهيرة ،

هي « باتروكلوس » ذو رموش طويلة مسدلة .

* متتالية الاحساس

غاصت الشمس أرجوانية ، فبرتقالية

والبحر معتم ، أخضر لازوردي .

وبعيدا ، هناك قارب -

علامة سوداء متأرجحة .

شخص ما نهض وصاح : « قارب ، قارب » .

ترك الآخرون - في المقهى - مقاعدهم ، ونظروا .

كان هناك - بالتأكيد - قارب .

لكن الرجل الذي صاح ،

كما لو كان - الآن - مذ

نظر الى أسفل ، وقال ،

« لقد كذبت عليكم » .

* لحظة خشوع

كانوا ينخلون الرمل على الشاطئ ، وحملوا ،

في الشمس الحارقة كانوا يقطرون عرقا

بعد الظهر ، خلعوا ثيابهم ، امتطوا جيادهم ومضوا الى البحر ،

منهبين سمرا من الشمس الحارقة ومن شعر أجسامهم .

أطلق شاب صرخة وأسقط يده الى مفترق ساقيه .

أسرع الآخرون اليه ، حملوه ، أرقدوه على الرمل ،

وهم ينظرون اليه صامتين ، عاجزين عن الفهم ،

الى أن أبعد أحدهم اليه - في خشوع - عن مفترق الفخذين ،

أنشد، رسموا جميعا - وهم يتحلقون حوله - شارة الصليب .

والجياذ ، بليلة ، ذهبية ، تنشقت ،
ورؤوسها تشير بعيدا الى الأفق .

* ذنب

أخذ قبعتيه وخرج .
ظلت عند المنضدة بالقرب من المصباح .
عندما أصبح وقع خطواته بعيدا ،
نظرت الى يدها فى الضوء .
« انها جميلة » ، قالت .
بعد ذلك ، كما لو كانت تبرئ نفسها أمام شخص ما هناك ،
أخذت الخبز الى المطبخ وأطفأت النور .
فى الخارج مرت عربات الكارو والقمر .

* اذعان

فتحت النافذة .
أطلقت الريح ، فى هبة مفاجئة ، شعرها ،
كطائرين كبيرين ، على كتفها .
أغلقت النافذة .
كان الطائران على المنضدة ينظران اليها .
أحنت رأسها بينهما
وبكت فى هدوء .

* رحيل

تلاشى فى نهاية الطريق .
كان القمر عاليا

- صرخ طائر على الشجرة .
- انها قصة عادية ، بسيطة .
- لم ينتبه أحد .
- بين عمودى اضاءة الشارع
- بقعة دم كبيرة .

* سباق الظلال

- عند انقلاب الصيف ، حينما كان شديد الحرارة ،
- كنا نتمشى لساعات فى الطريق المقدس خارج جدران المدينة .
- تراب لا ينتهى ، وعرق ، وشمس تسمى .
- المظلة البيضاء مرفوعة فوق رأسى اثنين من الكهنة
- بيد اثنين من ذرية « اتيوبوتادى » ،
- وهم ينزولون عرقا ، فى حالة يرثى لها ، متمسكين بعجرتهم .
- كان يبدو كأن الشمس كلها قد تركزت
- على هذه الخيمة البيضاء الباهرة المتحركة .
- عندما وصلنا ، فى النهاية ، والصخور البازية تعمينا ،
- غطينا الأيقونة بالتراب .
- آنثى ، توقف العرق فى الحال .
- ندى عذب رطب المظلة .
- ظهرت غيوم خفيفة فوق قمم التلال . سقط ظل على الرموش .
- ربما كان من انهاك هذا المسير . لكن لا .
- كان الشبان يخلعون ثيابهم .
- والمباريات الرياضية كانت تبدأ .

* بعد الهزيمة

- بعد تدمير الاثنيين فى « أيجوسبوتامى » ، بعده بقليل ،
- بعد هزيمتنا النهائية . « ثبت المناقشات الحرة » ، والمجد
- اليريكليسي ،

وازدهار الفنون ، والملاعب ، ومنتديات فلاسفتنا .
الآن الكتابة ، صمت ثقيل فى الأسواق ،
وقذارة الطغاة الثلاثين .
كل شيء (حتى أخص ما يخصنا) يحدث باهمال
دون فرصة لشكوى ، أو دفاع ، أو تبرير ، أو حتى احتجاج
شكلى .
أوراقنا وكتبنا أحرقت ، وشرف وطننا يبلى .
حتى اذا ما سمح لصديق قديم أن يمثل كشاهد ،
فسوف يرفض مخافة أن يقع فى نفس المتاعب -
وسيكون محقا بالطبع .
لهذا ، فمن الأفضل أن نكون هنا - من يدري ،
فربما يمكننا أن نحظى بتواصل حى مع الطبيعة ،
ونحن ننظر الى جزء من البحر ، والصخور ، والغابات
أو الى غيمة عند الغروب ، نائية ، بنفسجية ، ترحل ، خلف
السلك الشائك .
وربما يصل ذات يوم « كيمون » آخر ، يقوده فى السر نفس
النسر ،
وسيحفر ويعثر على رأس حربتنا الحديدية ،
صدئة ، متهاكة ،
فيمضى الى أثينا ، ويرفعها فى موكب للعويل أو الانتصار
مع الموسيقى وآكاليل الغار .

✽ ونحكى عنهم ...

بالطريقة التى انحدرنا بها مع كلماتنا وأفكارنا ،
لا يمكن أن تربكنا الأمجاد القديمة أو اللاحقة ،
ولا كتب السيرة لأرستيديس -
وعندما يبدأ أحدنا - أحيانا - فى تذكر أحداث الثلاثمائة
أو المائتى عام ،

يُقاطعه الآخرون على الفور بإزدراء ، أو - في الحسد
الاجننى - بريية .

لكن أحيانا - مثل الآن - عندما يصفو الطقس ذات يوم أحد ،
ونحن نجلس تحت شجر الأوكالبتوس ، فى هذا الضوء
العنيد ،

يطغى الحنين الى الأمجاد القديمة على أحننا
- لا يهم ان كنا نصفها بأنها رخيصة -

عندما بدأ الموكب فى الفجر ، نافخ البوق فى المقدمة ، خلفه
المركبات المحملة بأغصان الخار والآس ،

ثم الثور الأسود وفتيان يحملون جرار اللبن والنبيد
من أجل القرايين وقوارير زيت وعطر جميلة -

لكن أكثر ما كان يبهشنا ، فى نهاية الموكب ،

حاكم « بلاتياى » بكل ما يرتديه من أرجوان ،

وهو الذى لم يكن مسموحا له بقية العام بلمس الحديد

وعليه بالتزام الأبيض فى كل ثيابه ،

الآن يرتدى الأرجوان ويحمل سيفاً طويلاً ،

عابراً المدينة فى مهابة ، نحو مقابر الأبطال ،

حاملًا جرة من جرار الدولة .

وبعد غسل شاهد المقبرة ، بعد الأضحيان السخية ،

يرفع كأس النبيد ، يعلن وهو يريقه على المقابر

« اننى أقدم هذا الكأس الى أشجع الرجال

الذين سقطوا من أجل حرية اليونانيين » ، -

وتمرق رعشة خلال غابات الغار القريبة ،

رعشة تظل ترفرف خلال أوراق هذه الأوكالبتوس

وخلال هذه الثياب المرقعة من كل الألوان

المعلقة كى تجف فى الشمس .

✽ الرقصة الجديدة

ليست أعذارا فحسب ، بل دوافع أصيلة ، نتائج هامة -
أهواء، ومصالح ، ومخاطر، ومخاوف - بأسيفاي، والمينوتور،
والمناهة ، وأرياذنى ، وخطها الشبقى الجميل
الذى لا يرتخى ، فيقوده فى الظلام الحجرى .
ثم عودة « ثيسىوس » الظافرة .
توقف فى ديلوس وهناك رقص « ثيسىوس » حول الكيراتون
(المذبح الشهير المصنوع بكامله من قرون الحيوانات)
مع فتیان أثينا الذين رافقوه ، رقصة جديدة خارقة
بخطوات متقاطعة ترددت - ربما - فى ضوء الظهيرة القوى ،
وفى المنعطفات المظلمة للمناهة ،
وربما من يدرى - صنعت الطيور وزير الحصاد هذا الصخب
العظيم
فى غابة الصنوبر الصغيرة القريبة -
ما الذى لم تستطع اكتشافه ، وكنت مشدوها
من الشمس والانعكاسات الصادرة من البحر ،
زجاج دقيق مسحوق ، والحركات الباهرة للأجساد العارية -
رقصة خارقة .
وفيما بعد نسينا كل ما يتعلق بالمينوتورات والباسيفايات
والمناهات
وحتى أرياذنى البائسة التى تموت وحيدة مهجورة فى
ناكسوس .
لكن الرقصة سرعان ما انتشرت فى البلد وما نزال نرقصها .
منذ ذلك الحين ، واكليل السعف مقضى بأن يكون
رمزا تذكاريًا للمباريات الرياضية فى « ديلى » .

✽ أفول الأرجو

الليلة ونحن نتحدث عن كيف تمر الأشياء وتشينخ ، تصبح
رخيصة -

النساء الجميلات ، والمآثر البطولية ، والقصائد -
تذكرنا السفينة الأسطورية عندما جاءت الى كورنثة ذات ليلة
ربيعية ،
وقد نخرها السوس ، متهاكة ، ومساند المجاذيف محطمة ،
ملينة بالترميمات ، والثقوب ، والذكريات .
الموكب الطويل عبر الغابة ، بالمشاعل ، والاكاليل ، والنايات،
ومباريات الفتيان .
كانت الأرجو القديمة هبة فاتنة الى معبد بوسيدون .
ليلة جميلة ، ترتيل الكهنة ، بومة تنعب من قوصرة المعبد ،
الراقصون يقفزون - بخفة - على السفينة
يقلدون الفعل العنيف بتكشيرة غير مهذبة ،
حركة المجاذيف غير الموجودة ، والعرق ، والدم .
آنثذ ، بصق بحار عجوز عند قدميه ومضى الى الغابة الصغيرة
ليبول .

* ياس بنيلوب

لم تكن المسألة أنها لم تستطع التعرف عليه
في الضوء الكاوي للنيران ،
لم تكن أسمال المتسول ، وتنكره .
لا .
كانت هناك علامات واضحة :
الندبة في مقدمة الركبة ،
جسده المقتول العضلات ، ونظرته الماكرة .
حاولت - في رعبها ، وهي تستند على الجدار -
أن تجد تبريرا ما ، مهلة ما ، كي تتفادى الرد ،
حتى لا تخون أفكارها .
آكان من أجله أن ضيعت عشرين عاما ،
عشرين عاما من الانتظار والحلم

من أجل هذا البائس ، الغارق في الدماء ، بلحيته البيضاء ؟
انهارت على المقعد بلا كلمة ،
أمعنت النظر في الثياب الذبيحة على الأرض ،
كما لو كانت ترى رغباتها القتيلة .
قالت : « أهلا » ،
فتسمع صوتها كأنه يجرى من بعيد ،
كأنه صوت شخص غريب .
والنول - في الركن - يرمى بظله كقفص على السقف ،
والطيور التي نسجتها بخيوط حمراء زاهية وسط الأخضر.
تتحول الآن الى الرمادي والأسود
وترحل مرفرفة خفيفة في السماء الفاترة
لمحنتها الأخيرة .

✽ أئينا ١٩٧٠

في هذه الشوارع
يمشي الناس ،
يهرع الناس ، يتعجلون
أن يتعدوا ، أن يفروا (ممن ؟) ،
أن يذهبوا (أين ؟) - لا أعرف - لا وجوه -
منظفات للفراغ ، أحذية ، صناديق -
يهرعون .

في هذه الشوارع ، في زمن آخر -
مروا بأعلام كبيرة ،
وكان لهم صوت (أذكر ، سمعته) ،
صوت مسموع .

الآن ،

يمشون ، يهرعون ، يجرون ،
ساكنين في هرولتهم -
يأتي القطار ، يركبون ، يتدافعون ،
ضوء أخضر ، أحمر ،
البواب خلف الفاصل الزجاجي ،
البغى ، الجندي ، الجزار ،
الحائط رمادي ،
أعلى من الزمن .

حتى التماثيل لا تستطيع أن ترى .

* تعذيرات

ربما سيكون عليك أن تظل متمالكا لصوتك ، -
غدا ، بعد غد ، بعض الوقت ،
وعندما يهتف الآخرون تحت الأعلام ،
سيكون عليك - أنت أيضا - أن تهتف ،
لكن تأكد أنك تسدل قبعتك على عينيك ،
إلى أسفل ، أسفل تماما ،
حتى لا يروا إلى أين تنظر عيناك ،
ولا يهم ان كنت تعرف أن هؤلاء الذين يهتفون
ينظرون إلى اللامكان .

* ذنب سرى

الاثم والبراءة - قلنا - شيء واحد في نفس الليلة .
الآخر أقسم ألا يقول . لكن من يدري -

فأنت لا تستطيع أبدا أن تتأكد ما إذا كان وهم من الوقت
سيظل صامتا ، وستظل صامتا ، -
وربما ستتندفع بحماسة لتسبق الآخر ،
وأنت تنظر الى المطر يقطر
أسفل الزجاج المضاء للمطعم ،
حينما يسمع المقعد وهو يسقط في الزحام ،
والكوب يتهشم ،
وهو ، والطعنة في جنبه ، دامي العينين ،
يمد ذراعه الكبيرة ، المفتولة
ويشير اليك .

* وظيفة الشاعر

في الممر ، المظلة ، والحذاء المطاطي ، والمرآة ،
في المرآة ، النافذة أقل سكونا ،
في النافذة ، بوابة المستشفى عبر الشارع ،
هناك ، طاير طويل من المتبرعين بالدم ،
المألوفين ، ذوى الصبر النافذ -
أوائلهم شمروا أكمامهم
بينما المصابون الخمسة في الغرف الداخلية ميتون .

* رسام تجريدى

رسام - ذات أصيل - رسم قطارا .
هربت العربية الأخيرة من الورقة .
عادت الى المخزن بنفسها .
في هذه العربية - بالذات - كان يجلس الرسام .

* إيضاح ضرورى

هناك مقطوعات معينة - وأحيانا قصائد بكاملها -

لا أعرف معناها .

انه ما لا أعرف هو الذى يحملنى على الصمت .

فأنت محق فى أن تسألنى .

لكن لا تسألنى .

فأنا لا أدرى ، أقول لك :

ضوءان متوازيان يأتیان من نفس المركز .

صوت الماء المتساقط فى الشتاء

من ماسورة صرف المياه الزائدة ،

أو صوت قطرات الماء وهى تساقط

من زهرة فى حديقة مروية ،

بطيئة ، بطيئة على مساء ربيعى

كنشيج طائر .

لا أعرف ما يعنيه هذا الصوت ،

ومع ذلك ، فانتى أقبل به .

فأيا ما كان ما أعرف ، فقد أوضحت لك .

لست متجاهلا .

لكن هذه - أيضا - تضيف الى حياتنا .

فانتى لاحظ - عندما نامت -

كيف شكلت ركبناها زاوية على الملاء -

لم تكن - فحسب - مسألة حب .

فقد كان هذا الركن ملتقى العذوبة ،

وشذى الملاء ، والنظافة ،

والربيع المكمل: لذلك الشئ المستعصى على التفسير

الذى حاولت - دون جدوى مرة أخرى -

أن أفسره لك .

* لحظة

حتى بحارة منبوذ • الأضواء ناعسنة •
حانات البيرة البائسة مصفوفة في طابور كنساء معدمت ،
ينتظرون بلا أمل أمام المستشفى القروي •
الشارع مظلم • الجميع قرروا النوم مبكرا •
لكن فجأة
تضاء الحانات حتى مقاعدها الأخيرة
بالضحكة البيضاء الناصغة لأحد الشبان •
وبعد ما مباشرة
جاء صوت البحر اللانهائي ، المنتظم ، الذي لا يقهر •

* تطابق

هذا التمثال البرونزي اتخذ وضعا وفق هواء في منتصف
الشتاء ،
تلك الخطوة العملاقة للحصان
كأنه يقفز على الرياح العكسية الجبارة ،
حتى لو كانت سيماء الفارس المتكبرة ، المتعالية
قد تعادلت مع الهطول والخيوم والعواصف المرعدة
عندما حولت ومضات البرق العنان الى شعلتين نحيلتين ثابتتين
حتى أنك لا تستطيع أن تقول ما اذا كان الهواء
قد صدر من الريح على طول الشوارع العارية
أم من القسم المفتوح للتمثال •
لكن الآن •
مع هذا الريح ، المسترخي ، المتساهل ، المتسامح ،
مع هذا الضوء الناسي ، هذا الضوء ذي المزاج الطيب
(ربما بسبب الجبن ، أو منهكا من الحر)
الذي تربط به أشعة الشمس المتاحة ورقة الشجر بالآخرى ،

الشجرة بالأخرى أو بالبيوت ،

النظرة بالأخرى أو بالشفاه -

مزاج التمثال أصبح الآن فوق الاحتمال، مستفزا ، غير لائق ،
الى حد أن الفارس البرونزى - نفسه - قد ترجل عنه ،
نادى ثلاثة عاطلين كانوا ينتظرون فى الحديقة العامة بالمعاول،
وبدا - وهو ينز عرقا ، راضيا - فى تحطيم تمثاله .

* ملوج مسرحى قديم

عندما وقف شباب يونانى - حوالى الظهيرة -
فى مركز ملوج مسرحى قديم دون أن يرتاب ،
ووسيميا مثلما كانوا ،
أطلق صيحة (لا من الاعجاب ، فلم يحس أبدا بالاعجاب
وحتى اذا كان قد أحسه ، فلم يكن - بالتأكيد - ليظهره) ،
صيحة بسيطة ، ربما من فرح لم يروض بشبابه
أو ببساطة - ليجرب خصائص السماع - بالمكان .
فى الجهة المقابلة ، عاليا فوق الجبل المندفع ، رد الصدى -
الصدى اليونانى ، الذى لا يقلد ولا يكرر
لكنه يتواصل - ببساطة - الى ارتفاع بلا حدود
الصيحة الخالدة للقصيد الحماسية .

* شجرة

تجذرت هذه الشجرة فى الجانب الأقصى من الحديقة ،
طويلة ، نحيلة ، وحيدة -
ربما خان ارتفاعها فكرة سرية عن الاقتحام .
لم تنتج ثمرة ولا زهرة ،
بل ظلا طويلا - فحسب - يقسم الحديقة الى اثنتين ،
وقياسا على التعارض مع الأشجار المحنية ، المحملة .

كل مساء ، بعد ما يتلاشى الغروب المجيد ،
يجثم طائر يرتقالي اللون ، غريب ، صامتا وسط أوراقها
كأنه ثمرتها الوحيدة -

مثل جرس ذهبي صغير فى برج هائل ، أخضر ..
عندما قطعت الشجرة ، رفرف الطائر حولها بصرخات وحشية ،
قصيرة ،

وهو يرسم دوائر فى الهواء ، يرسم فى الغروب
شكل الشجرة الذى لا ينفد ، وذلك الجرس الصغير
دق فى الأعلى دون أن يرى ،
بل وأعلى من ارتفاع الشجرة الأصلى .

* صعود

جلس طوال أيام فى حقل أحد الغرباء ،
وهو يخطط دائما لتسلق شجرة التين الجرداء ذات يوم فى
السر

كى ينظر الى العالم من أعلى ، باحساس ورقة شجر
أو باحساس طائر ،

لكن دائما ما كان يمر شخص ما ،

فاستمر بذلك - دائما - فى التأجيل .

ذات غسق ، تلفت فى حذر حوله - ما من مخلوق -

وتسلق بمشقة الى أعلى غصن .

آنثذ ، سمع أصواتا وسط الأدغال :

« ما الذى تفعله عاليا هناك ؟ »

أصوات عالية ، ورد : « تينة ، كانت هنا تينة أخيرة » .

انكسر الغصن .

أنهضسوه .

أطبقوا ياحكام على يده اليمنى :

عندما أجبروه على فتح أصابعه ، لم يجدوا شيئا .

* اعادة تشكيل

ذلك الذى تسميه سكينه أو انضباطا ، رحمة أو لا مبالاة ،
ذلك الذى تصفه بأنه فم مغلق على أسنان مطبقة ،
يكشف الصمت العذب للقم ، يخفى الأسنان المطبقة ،
هو - فحسب - تحمل المعدن تحت المطرقة النافعة ،
تحت المطرقة الرهيبة - ذلك ما تعرف :
أنك تعبر من اللاشكل الى الشكل .

* أرضنا

تسلقنا التبل لنلقى نظرة على أرضنا :
حقول قليلة وفقيرة ، صخور ، أشجار زيتون .
مزارع كروم تمتد الى البحر .
بجوار المحراث نار صغيرة ترسل الدخان .
صنعنا من ثياب الرجل العجوز خيال مائة لمواجهة الغربان .
وأيا منا تتقدم نحو خبز قليل وشمس كبيرة .
تحت أشجار الحور تلتمع قبعة من قش .
الديك فوق السياج .
البقرة صفراء .
كيف توصلنا الى تنظيم بيتنا وحياتنا
بيد من حجر ؟
وثمة سناج - حتى عتبة النافذة -
من شموع عيد الفصح ، عاما بعد عام :
صليبان صغيرة سوداء رسمها هناك
الموتى العائدون من صلاة النشور .
هذه الأرض مفتونة بالصبر والكرامة .
كل ليلة ،
تشرئب التماثيل من البثر الجاف فى حذر ،
وتتسلى الأشجار .

* العودة

- في البداية ، رحلت التماثيل
- وبعد قليل ، الأشجار والناس والحيوانات
- أصبحت الأرض - بكاملها - مهجورة
- هبت الريح
- تجمعت الجرائد والأشواك في الشوارع
- في الغسق ، انطلقت الأنوار من تلقاء نفسها
- عاد رجل وحده ، نظر حوله ،
- أخرج مفتاحه ، وغرسه في الأرض
- كأنه يسلمه إلى يد تحت الأرض
- أو كأنه يزرع شجرة
- ثم صعد السلالم الرخامية
- وصدق أسفله في المدينة
- في حذر ، واحدا وراء الآخر ، عادت التماثيل

أعمال ريتسوس الشعرية باليونانية حتى عام ١٩٨٠

- | | |
|---|--|
| <p>١٩٥٩ : العجوز والبحر
امرأة بجوار البحر
١٩٦٠ : النفاذة
١٩٦١ : القديس الأسود
(باتريس لومبيا)
قصائد ، الجزء الأول
قصائد ، الجزء الثاني
١٩٦٢ : البيت الميت
تحت ظل الجبل
١٩٦٣ : شجرة السجى والمرأة
شهادات - ١
١٢ قصيدة الى كافاني
١٩٦٤ : قصائد ، الجزء الثالث
ألعاب مرحة للسماء والماء
١٩٦٥ : فيلوكتيت
١٩٦٦ : روميوسيني
أوريست
شهادات - ٢
١٩٦٧ : أوسترافا
١٩٧٢ : أحجار وتكرارات وقضبان
هيلين
إيماءات
البعد الرابع
عودة ايفيجيني
كريسوثيميس
ايسمين</p> | <p>١٩٣٤ : تراكتورات
١٩٣٥ : أهرامات
١٩٣٦ : ابيتافوس
١٩٣٧ : أغنية أختي
١٩٣٨ : سيمفونية الربيع
١٩٤٠ : مسيرة المحيط
١٩٤٢ : مازوركا قديمة على ايقاع
المطر
١٩٤٣ : محاولة
١٩٤٥ : رفيقنا
١٩٥٢ : الرجل ذو القرنفلة
(نيقوس بيلويانيس)
١٩٥٤ : سهر
١٩٥٥ : نجمة الصباح
١٩٥٦ : سوناتا ضوء القمر
١٩٥٧ : تاريخ
وداع
الجرة
شفافية الشتاء
وقت حجرى
(ماكرونيسيوتيك)
جيران العالم
١٩٥٨ : عندما يأتى الغريب
مدينة بلا خضوع
معمار الأشجار
فيما وراء ظل أشجار السرو</p> |
|---|--|

- ١٩٧٣ : ١٨ أغنية قصيرة الى الوطن
المريتر
الممر والسلالم
جراجاندا
- ١٩٧٤ : وعشاء السخام
برج الكنيسة
الحائط في المرأة
ورقيات
محاولات
- ١٩٧٥ : سيدة الكروم
القرن الأخير قبل الانسانية
أشغال ظرفية
ملحق المجد
(أريست فيلوشيو تيس)
يوميات المنفى
النسوة المبعوثات
قصائد : الجزء الرابع
- ١٩٧٦ : الحراسة
١٩٧٧ : البعيد
ملائم
- ١٩٧٨ : عسكري المرور
البوابة
الجسد والدم
امرأة مونيفاسيا
الرائحة الرهيبة
فيدرا
اذن ؟
مطرفة الباب
- ١٩٧٩ : كتابة الأعمى
١٩٨٠ : شفافية
آلات ذات وتر واحد
ايروتيكا
محاكاة تهكمية

* * *

المراجع

رفعت سلام ، يانيس ريتسوس : قصائد من دم وجبر ، مقدمة (يانيس ريتسوس : اللذة الأولى ، ترجمة وتقديم ، المبحر الثقافية اليونانية ، القاهرة ١٩٩٢) .

ريتسوس ، القصيدة فعل جمالي متكامل (حوار) ، ترجمة ضياء نافع ، مجلة الأعلام (بغداد) ، يونيو ١٩٨٧ .

Edmund Keely, Ritsos in Parentheses, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, U.S.A.

Gérard PIERRAT, La Longue Marche d'un Poète, in : Yannis Ritsos, AVANT L'Homme, Flammarion, Paris, 1975.

Peter BIEN, Introduction, in : Yannis Ritsos, Selected Poems, Efstathiadis Group S.A. Athens, 1993.

C. CAPRI-KARKA, Doorman's Booth ;

Peter BIEN, ORESTES, Cow ;

William SPANOS, Yannis Ritsos' Romiosini, Style as Historical Memory ;

Yannis RITSOS, By way of Introduction to the Testimonies ;
Upon Reading Again the Collections The Wall In The
Mirror and Doorman's Booth ;

in

The CHARIOTEER, Special Double Issue (20-30), 1987-1988. Pella Publishing Company, New York.

تعريف بالمترجم

- ★ شاعر ومترجم
- ★ تخرج من كلية الآداب / قسم الصحافة ، بجامعة القاهرة ١٩٧٣ .
- ★ صدر له خمسة دواوين شعرية ، وكتابان فى الدراسات ، وخمسة كتب فى الترجمة .
- ★ منح شهادة تقدير من « لجنة كفافيس الدولية » عن ترجمته لقصائد ريتسوس التى صدرت عام ١٩٩٢ ، بعنوان « البلدة الأولى » .
- ★ ترجمت أشعاره الى الفرنسية الانجليزية والايطالية واليونانية والكرواتية .
- ★ منح جائزة « كفافيس » الدولية فى الشعر ، عام ١٩٩٣ ، عن دوره المتميز فى الشعر المصرى والعربى .
- ★ صدر - عن تجربته الشعرية - كتابان نقديان ، للدكتور محمد عبد المطلب أستاذ النقد الأدبى بجامعة عين شمس ، والدكتور على البطل رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب / جامعة المنيا ، بالإضافة الى عشرات الدراسات النقدية ، وفصول فى بعض رسائل الماجستير الدكتوراه .
- ★ شارك فى العديد من المهرجانات الشعرية العربية والدولية .

المترجم

- شعر : وردة الفوضى الجديدة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
• ١٩٨٧
- نشرقات رفعت سلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
• ١٩٩٢
- انها توميء لي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٣ •
سلسلة (نوانث) ، القاهرة ١٩٩٦ •
- هكذا قلت للهاوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
• ١٩٩٣
- كرغوة على جسدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
• ١٩٩٧
- دراسات : المسرح الشعري العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
• ١٩٨٦
- بحثا عن التراث العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ •
دار الفارابي ، بيروت ١٩٩٠ •
- ترجمة : الفجر .. وقصائد أخرى ، بوشكين ، دار ابن خلدون ، بيروت
• ١٩٨٢
- غيمة في بنطلون .. وقصائد أخرى ، ماياكوفسكي ، دار
الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٥ ،
المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٧ •
- الابداع القصصي عند يوسف ادريس ، كبرشبيوك ، دار
شهدي ، القاهرة ١٩٨٧ •
دار سعاد الصباح ، القاهرة ١٩٩٣ •
- الشیطان .. وقصائد أخرى ، ليرمونتوف ، اتحاد أدباء وكتاب
الامارات ، الشارقة ١٩٩١ •
- اللذة الاولى .. وقصائد أخرى ، يانيس ريتسوس ، الملحقة
الثقافية اليونانية ، القاهرة ١٩٩٢ •
دار الينابيع ، دمشق ١٩٩٦ •

اقرأ في هذه السلسلة

جوزيف دامروس
سبع معارك فاصلة في العصور
الوسطى

د. لينراير تشامبرزرايت
سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية آراء مصر

د. جون شتيلر
كيف تعيش ٣٦٥ يوما في
السنة

بيير الير
الصحافة

د. غبريال ومبة
الر الكوميديا الإلهية لداكني
في الفن التشكيلي

د. رمسيس عوض
الأنب الرومي قبل الثورة
للبنشنية وبعدها

د. محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز في عالم
متغير

فرانكلين ل. باومر
الفكر الأوربي الحديث ٤ ج

شوكت الربيعي
الفن التشكيلي المعاصر في
الوطن العربي

د. محي الدين أحمد حسين
القتلثة الأسرية والإبقاء الصغار

ج. دانيلى أندرو
نظريات الفيلسوف الكيرى

جوزيف كورنراد
مختارات من الأدب القصصى

د. جومان دورشتر
الحياة في الكون كيف نشأت
وأيّن توجد

طائفة من العلماء الأمريكيين
مبادرة النفاذ الاستراتيجى
حرب الفضاء

د. السيد عليوة
ادلوة الصراعات الدولية

د. مصطفى عشانى
الميكروكمبيوتر

مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء
والحديثين

مختارات من الأدب الياباني
للشعر - الدراما - الحكاية -
للقصّة القصيرة -

بيل شول وأدبتيه
القوة النفسية للأمرام

د. صفاء خلوصى
فن الترجمة

رالف تى مانتر
تولستوى

فكتيتور برومير
ستندال

فيكتور هوجو
رسائل وأحاديث من الفن

فيرنر هيرتسبرج
الجزء والكل - محاورات في مضمار
القيزياء الثرية -

سنتى هوك
التراث القامش - ماركس
والماركسيون

د. ع. انيتكرف
فن الأدب الروائى عند تولستوى

هادى نعمان الهيتى
أدب الأطفال - فلسفته - فنونه -
وسائطه -

د. نعمة رحيم المزوى
أحمد حسن الزيات كاتبا وثاقدا

د. فاضل أحمد الطائى
أعلام العرب في الكيمياء

جلال المشرى
فكرة المسرح

منى باريوس
الجميل

د. السيد عليوة
صنع القرار السياسى في
منظمات الادارة العامة

جاكوب برونوفسكى
التطور الحضارى للإنسان

د. روجر ستروجان
هل نستطيع تعليم الأخلاق
للأطفال ؟

كاتى ثير
تربية الدواجن

١- سبتسر
نابولى وعالمهم في مصر
القيمة

د. ناعوم بيتروفيتش
الدحل والخطب

برتراند رسل
أحلام الأعلام وقصص أخرى
ي. راندو نكاياروم جابرتتسكى
الإلكترونيات والحياة الحديثة

آلس مكسلى
نقطة مقابل نقطة

ت. و. فريمان
الجغرافيا في مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ج. فوريس و١- ج. نيكسترمور
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليسريل اى
الأرض الغامضة

والتر آل
الرواية الإنجليزية

لويس فارحاس
المرشد الى فن المسرح

مرانسو دumas
آلهة مصر

د. قدرى حفس ولحرون
الإنسان المصرى على الشاشة

أولج مولكف
القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة

ماشم النحاس
الهوية القومية في السينما

ديفيد وليام ماكروال
مجموعات النقود - صيانتها
تصنيفها - عرضها

عزيز الشوان
الموسيقى تعبير نفسى ومنطق

د. محسن جاسم الموسرى
عصر الرواية

ديلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الإنسان ذلك الكائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة - الإنجليزية
والفرنسية

د. عبد المعطى شعراوى
المسرح المصرى المعاصر
أصله وبدايته

د. انور المعداوى
على محمود طه الشاعر والإنسان

جابريل باير
تاريخ ملحة القرائن في مصر
الحديثة

تطوني دي كرسيني وكينيث هينري
اعلام النهضة السياسية
الاشتراكية

دايت مزين
كتبة الصيحات السياسية

زاتيانكي ف. س
الزمن والسياسة (من جزء من
الجزءين جزء من ثقافة وحتى
الجزء الثاني)

مهندس ابراهيم الترشاوي
اقتصاد مصر في العهد

بيتر رداي
الخدمة الاجتماعية والتضامن
الاجتماعي

جوزيف دامروس
سبعة مؤرخين في العصور
الوسطى

م. م. بوزا
التجربة الديمقراطية

د. عاصم محمد رزق
مراحل التنمية في مصر
الاشتراكية

رونالد د. سمبسون ونورمان د.
أندرسون
العلم والكتاب والمدرسة

د. انور عبد الله
الشؤون المصرية والفكر

ولت وتمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

لورد. م. هيس
تخطيط للكيماويات

جون لويس بيركهارت
العادات والتقاليد المصرية
من الزمان الشعبية في عهد
محمد علي

الان تاسينار
التقنين السياسي

سامي عبد الحلي
التخطيط السياسي في مصر
بين النظرية والتطبيق

فريد مودل وشا. را ويكراما سينج
اقتصاد التنمية

حسين حاتم الهندس
مروحة التنمية (بين النظرية
والتطبيق) - دراسات التليفزيون
٢ ج

روي روبرتسون
الهيروين والهيرواثرهما في
المجتمع

دور كاس ماكليتوك
صور اشرية - نظرة على
حيواتهم اشرية

هاشم النحاس
نجيب محفوظ على الشاشة
د. محمود مري طه

الكوميوتر في مجالات الحياة

بيتر اريدي
المخترعات مخاطر تقنية

بوريس فيسرروفيتش ميرجيف
وظائف الانسان في الوقت
الحاضر

ويليام بينز
للهلوسة التي اية المجتمع

ليفيك المرتون
قوية اسماك لينة

احمد محمد الشترلي
كتب غيرت الفكر الاشتراكي

جون. ر. بورر وميلتون بيرلينجر
الفلسفة وتكنولوجيا العصر ٢ ج

ارنولد تورين
الفكر القوي في الشرق

د. صالح رضا
ملاحق وقضايا في الفن
التشعبي المعاصر

م. ه. كنج ونشرون
التشعبي في البلدان النامية

جورج جامرف
بداية بلا نهاية

د. السيد طه السيد ابو منيرة
الحرف والصناعات في مصر
الاشتراكية منذ النسخ القديم
حتى نهاية العصر الحديث

جاليبي جاليبي
حوار حول التفكير الرئيسي
للكون ٢ ج

لوك موريس راتن مر
الخطاب

ميل اللويد
المتن

ارثر كيدنار
القيمة الثالثة عشرة ويرد
القيم

ب. كولان
الاساطير الاغريقية والرومانية

د. توماس ا. هاريس
القوافي النفسية - تحليل
الجماليات الانسانية

لجنة الترجمة
المجلس الاعلى للثقافة
الايال النيابية
روائع الادب العالمية ج ١

روي آرمن
لغة الصورة في السينما المعاصرة

تاراس تشيخو
الثورة الروسية في اليابان

بول دارمبون
العلم في العالم

ميخايل اليكس. بيس لافرا
التقنيات الحديثة

أدامز نيايب
دليل تنظيم الحفلات

فركتور مورجان
تاريخ الثورة

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتزويد الاقتصادي

ابو القاسم الداروي
الشعرية ٢ ج

بينتون بورتر
الصناعة الحديثة ٢ ج

جاك كراس جونسون
كتبة التاريخ في مصر لتقريب
الشيء على

محمد شاد كروبي
قيام الثورة الاشتراكية

توان بار
التشكيل في مصر والتليفزيون

تاجور، شين دن بنج وانرون
مختارات من ادب الاسيوية

ناصر شمس علوي
تشرية

فالح جوراجير وبيريس اربوت
وانرون
سقوط الفكر ونقص اخرى

احمد عبد الفتاح
كتب غيرت الفكر الاشتراكي
٧ ج

جان ارنس بورى واشين
في النقد الشيوعي الغربي

المعتدلين في اوربا
بول كراز

موريس بير براير
صناع الخلود

زيجمونت ميز
جماليات فن الانحراج

جوناثان ريبلى سميت
الحملة الصليبية الاولى وفكرة
الحروب الصليبية

الفريد ج. بيلر
الكنايس القبطية القبطية في
مصر ٢ ج

ريتشارد شاخت
روك الفلسفة الحديثة

ترانيم زراعت
من كتاب الانسنة انفس

الحاج يونس المصري
وحلته فاروقيا

هربرت فيلر
الاتصال والهيمنة الثقافية

برتراند راسل
السلطة والفرد

بيتر نيكولز
السياسة الخيالية

انوار ميرى
من النقد السيماى الأمريكى

لغتالى لويس
مصر الرومانية

ستيفن اوزمنت
التاريخ من فتى جوانبه ٢ ج

مولى براج وآخرون
السيما العربية من الخليج الى
المحيط

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر ٢ ج

جابر محمد الجزار
مستقرات

د. ابرار كريم الله
من هم القاتل

ج. س. فريزد
الكاتب الحديث وعالمه
٢ ج

سوريال عبد الملك
حديث الله
من روائع الاداب الهندية

لوريتو ترو
منخل الى علم اللغة

اسحق عظيموف
الضمير والفجوة
اسرار التصوير فوفا

مارجريت روز
ما بعد الحداثة

د. بيدارد بودج
الآزهر في ألف عام

سفين رانسيان
الحضارة الحديثة

د. ج. واز
معالم تاريخ الحضارة
٤ ج

جوستاف جروندرام
حضارة الاسلام

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيوترون الى مصر والحجاز
٣ ج

جانل عبد الفتاح
لكون ذلك المجهول

ارنود جزل وآخرون
الطفل من الخامسة لى العاشرة
٢ ج

بلى اونيورد
افريقيا - الطريق الآخر

د. محمد زينهم
فن الزواج

برنيسالو مالفونوسكى
المصر والحلم والدين

ادم مكر
الحضارة الاسلامية

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة تاسكى داجاما

ليفرى شاتومان
كونك القصد

موندلرى
الفلسفة الجوهرية

مارفن فان كريفلد
حروب المستقبل

فرانسيس ج. درجين
الاعمال الحقيقية

جيه مباشر
للبحرية المصرية من مصر على
العبادات

ج. كارفيل
تفسير للنظم الهندسية

توماس لينهارت
فن المايه والبلاتونجيم

لورارد ديونو
التفكير المتجدد

ويليام د. ماتيزو
ما هي الجيولوجيا

كريستيان ساليه
السيكولوجيا النفسية

بوا، واند
خلفاء تدم النجم الأمريكى

جورج مستانير
بين كولستوى ونزوتريونكى
٢ ج

يانكو لاترين
الرومانسية والنوعية

محمود سامى حلا الله
انيلم التهجى

جوزف بتي
رحلة جوزيف بتي

ستانلى جيه. دوان
انواع انيلم النجوى

مارى ب. تالى
المصر والقيصر والعبود

جوزيف م. ديجز
فن للفرجة على انتم

كريستيان ديرين فونلكر
الزراعة النفسية

جوزيف وينغام
موجز تاريخ العلم والحضارة
فى الصين

ليوناردو دالتشى
نظرة انصوير

د. ج. د. جيمز
كتوز الفرائض

رونولف فون هابشيرج
رحلة الاسير وديلف الى الشرق
٢ ج

مالكوم براينرى
الرواية اليوم

وليم مارسدن
رحلة ماركو بولو ٢ ج

هنرى بيرين
تاريخ اوريا فى العصور الوسطى

ديفيد شينير
نظرية الحب انما هو قراءة للشعر

اسحق عظيموف
العلم والحق المستقل

رونالد دانييل لانج
الحكمة والجوهر والحق

كارل بيرجر
بحثا عن علم الثقيل

فورمان كلارك
الاقتصاد السياسى للعلم
والتكنولوجيا

السيد نصر الدين السيد اطلالات على الزمن الاتي ممدوح عطية البرنامج النووي الاسرائيلي والامن القومي العربي) د- ليوبوسكاليا الحب انلور ايفانص مجلد تاريخ الانب الانجليزى ميريرت ريد التربية عن طريق الفن وليام بينز معجم التكنولوجيا الحيوية الفين توفلر تحول السلطة ٢ ج يوسف شرارة مشكلات القرن الحادى والعشرين والعلاقات الدولية رولاند جاكسون الكيمياء فى خدمة الانسان ت- ج- جيمر الحياة ايام الفراغة جرج كاشمان ماذا تشب الحروب ٢ ج حسام الدين زكريا انطون بروكتر ازرا ف- فوجل المعزة اليابانية	ونفرد مراز كانت ملكة على مصر جيمس هنرى برستد تاريخ مصر بول دافيز البناتق الثلاث الاخيرة جوزيف وهارى فيلسمان دينامية الفيلم ج- كرننتو الحضارة القينية ارنست كاسبرو فى المعرفة التاريخية كنت ١ - كشن ومسيس الثاني جان بول سارتر وآخرون مختارات من المسرح العالمى روزالد ، وجاك يانسن الطفل المصرى القديم نيكولاس ماير شراوك هولز ميجيل دى ايبس الفنران جوسيبى دى لونا موسولينى الوزير جريلتر موتسارت على عبد الرؤوف اليمى مختارات من الشعر الاسباني	رزيوت سكرانز وكخرن الهابق انب الخيال العلمى ب- من ديليز المفهوم الحديث للمكان والزمان من- هوارد اشهر الرحلات الى غروب افريقيا و- بارتولد تاريخ الترك فى آسيا الوسطى فلانيمير تيمانيانو تاريخ اوربا الشرقية جائبريل جاجارسيا ماركيز الجنرال فى المتسامة هنرى برجسون الضحك د- مصطفى محمود سليمان الزلازل م- و- ثرنج هيمير المهنس ١- ر- جرنس الحيثيون ستينو موسكاتى الحضارات السامية د- البرت حورانى تاريخ الشعوب العربية محمود قاسم الانب العربى المكتوب بالفرنسية
--	--	---

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٤٨٣٨

ISBN — 977 — 01 — 5171 — 8

أحس بأنى ما أزال طفلاً يافعاً، وأن عمري يمتد إلى ملايين
السنين. وكل عام يمر، أزداد فتوةً بما أكسب، أى بما أفقد. لقد عبرتُ
ميتات كثيرة، وسأمت أخيراً وأنا أجمل بعض الأبدية. والنهار الذى
يمر ليس نهراً أخسره من حياتى، إنما هو جديد لا يشبه الذى
مضى. إنه نهار غير مُعبر عنه يضاف إلى حياتى. فما أكتشفه اليوم
كنت أجريه بالأمس. هكذا يغتنى شبابى الروحى. إننى أقيس الحياة
بالمعرفة المدهشة للحياة. فالزمن الذى يمر هو إضافة لى: «إننى
شِخْتُ شباباً لا يشيخ». أجل، أنا متفائل. لقد خرجتُ من أحلك
الظلمات. خرجتُ حياً من الأمراض، ومن جلسات التعذيب. ويمكننى
القول أننى خرجتُ من أغوار الموت. والتفاؤل ليس سهلاً، وليس
وسيلة سهلة لتجاوز الصعوبات أو تجاهلها. تفاؤلى لا يتزعزع، وهو
راسخ لأنه ينجم - تحديداً - عن اليأس.